

موسوعة أشراف الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

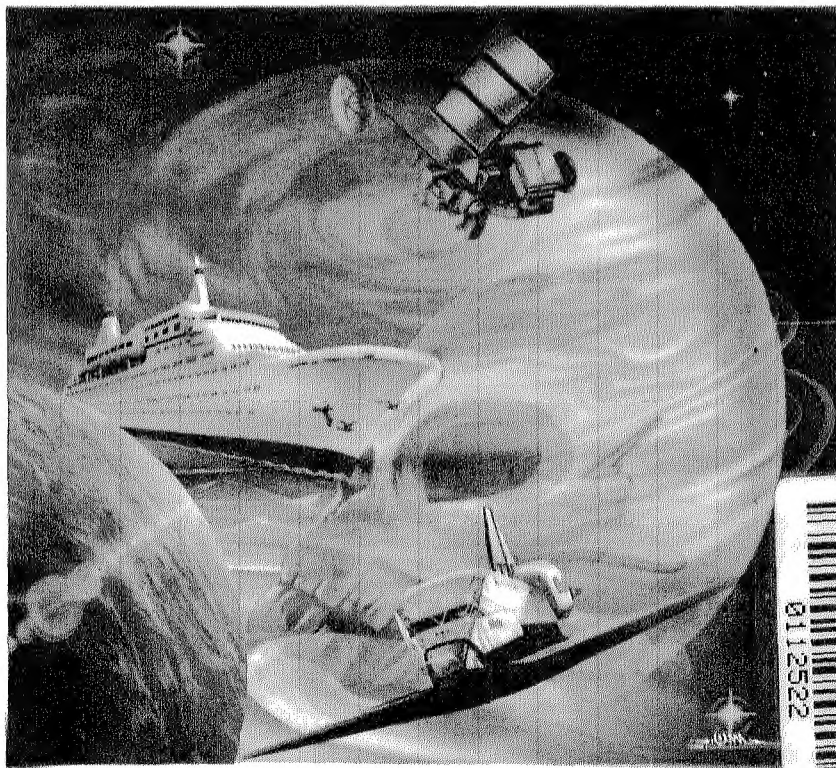
الجزء الثالث

أمارات القيامة العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



موسوعة أشراف الساعة

٤

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثالث

أمارات القيامة العلمية
والتكنولوجية في الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

فاروق أحمد الحاسوقي

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

رقم الإيداع ٣٢٩٨ / ٩٨

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 19 - 5459 - 8

تحرير

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف وكل من

يحاول الاقتباس أو النقل من الكتاب بأي شكل من الأشكال

سوف يعرض نفسه للمساءلة القانونية

عبد الرحمن فاروق دسوقي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الاثمان الدائمات على اشرف الخلق اجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،

فانى أحمد الله تعالى الوهاب المنان، إليك أخی القارىء، أن وفقنى سبحانه لوضع بين يديك الجزء الثالث من كتاب القيامة الصغرى على الابواب، وموضوعه: الكشف عن الامارات العلمية والتقنية والصناعية المعاصرة فى الكتاب والسنة.

وستتعجب، أخی القارىء المسلم، أيما تعجب، لأنك كنت تتلو وتسمع الآيات القرآنية المخبرة عن هذه الامارات التقنية والعلامات الحضارية المتمثلة فى أدوات وأجهزة ووسائل ومعدات وانظمة نستخدمها ونزاولها ونمارسها ونتعامل معها صباح مساء، ومع هذا ما كان يخطر ببال واحد منا أن هذا الذى يتلوه أو يسمعه من القرآن الكريم متضمنٌ لهذا كله.

فلست أنت وحدك الذى ستتعجب، فلقد تعجبتُ قبلك حين هدانى الله تعالى، وعلمنى وكشف لى هذه المطابقة الدقيقة للدلالات اللغوية المحضة للآيات القرآنية والاحاديث النبوية على هذه المظاهر والاشياء الحضارية المعاصرة، لاننا كنا نحفظها وتتلوها من غير ان ندرك تأويلاتها المتحققة تحت ايدينا وبنا، فسبحانك ربى لاعلم لنا الا ما علمتنا، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك وحدك.

لقد عشتُ رذحاً من عمرى العلمى. قبل ان يلهمنى الله تعالى ويعلمنى ويرزقنى فهم ما فهمته من نصوص الوحي الخاصة باسراط الساعة واحداث آخر الزمان الذى هو عصرنا الراهن، وكنت أتساءل فى نفسى: هل ذكر الوحي: قرأنا وسنة هذه المظاهر والاشياء الحضارية؟! وهو سؤال ملح لامهرب منه، لان الاجابة عليه لابد أن تكون بالاثبات وليست بالنفى لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ السَّلَافَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٧-٣٩﴾ الانعام] فقولوه تعالى رداً على الذين يطلبون من النبي ﷺ إنزال آية حسية، بانه، سبحانه، ما فرط في الكتاب من شيء يدب في الارض أو من شيء يطير بجناحيه في السماء، ومن ثم فكل آية من كتابه هي معجزة من المعجزات، إلا أنهم صم وبكم وعمى في الظلمات، ضلوا بكفرهم عن هذه المعجزات التي تتلى عليهم، هذا القول الحكيم فيه تصريح بان كل شيء سيدب في الارض ويطير في السماء بجناحين مذكور في الكتاب، لان الله تعالى لم يفرط فيه من شيء، أي لم يترك شيئاً لم يذكره وخص بالذكر كل مادب وسيدب، وكل ماطر وسيطير بجناحين. وقد دبت وسائل الانتقال الحديثة في الأرض: القطارات والسيارات والدراجات الآلية والمعدات الثقيلة وكذلك طارت الاجيال المتعددة من الطائرات ذات الجناحين ابتداء من المروحيات إلى النفاثات، أفليس في كتاب الله تعالى ذكراً لهذا كله؟! بلى والله الذي لا اله الا هو.

الم يقل رسول الله ﷺ عن القرآن الكريم للصحابه رضوان الله عليهم «فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم؟»^(١) بلى والله الذي لا اله الا هو، وكذلك ألم يخبرنا رسول الله ﷺ في خطبة واحدة، استغرقت نهارة كاملاً، ما سيكون من بعده إلى نهاية الدنيا؟.

افلا يكون قد أخبر بكل هذه الامور العظام التي تعيشها البشرية في عصرنا الراهن في شتى المجالات؟! بلى والله الذي لا اله الا هو، وعلى هذا فالسؤال الملح الذي لامه رب منه هو: ماهي نصوحى الوحي: قرآناً وسنة، تلك التي ورد فيها ذكر كل ما استحدثته الحضارة المعاصرة من مخترعات تخدم جميع نشاطات الانسان، فتغيرت بها اساليب العيش وأنماط الحياة، في السلم والحرب، وفي المسكن والملبس

(١) جامع الترمذى ك فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضائل القرآن/ ح رقم ٢٩٨٢، كما رواه الدارمى أيضاً.

والمأكل وفى الإقامة والسفر وفى النشاطات الانسانية العلمية والفنية والتروجية. وهى مخترعات كثيرة كثيرة، إبتداء من ماكينة الحياكة التى حلت محل الابرة. وانتهاء بالسيارة والقطار والطائرة التى حلت جميعا محل الخيل والحمير والبغال والابل، وكذلك إبتداء بالصاروخ الذى حل محل السهم، وانتهاء بالسفن العملاقة والغواصات وحاملات الطائرات التى حلت محل السفن الشراعية.

ابن هذا كله فى كتاب الله تعالى وفى سنة نبيه ﷺ!؟

لم استطع الهرب من هذا السؤال الذى ظل يطاردنى ردحا من الزمن، حتى هدانى الله تعالى بفضله إلى مواضع هذا كله فى كتابه تعالى وفى سنة رسوله المصطفى الخاتم ﷺ. وهو محتوى هذا الجزء الثالث من القيامة الصغرى على الابواب، وسيرى القارئ الكريم أن كل هذه المخترعات والمعدات والاجهزة وردت كامارات وعلامات على القرب الشديد لنزول عذاب القيامة الصغرى، بل ان النصوص تصرح بان هذه المخترعات لا تكون فى الارض إلا يوم الرجفة والزلزلة ويوم نزول العذاب الذى ليس له من دافع. وسيعلم القارئ الكريم أن هذه الحقيقة ثابتة بالدلالة القطعية المحكمة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ولكى يزول تعجبك، أخى القارئ، هذا التعجب الناتج عن عدم ادراك مواضع ذكر القرآن الكريم للتقنيات المعاصرة رغم تلاوتها والاستماع إليها، أقول: إن أهم اسباب حجب اخبار التقنيات التى فى نصوص الوحي هو جهلنا بأسرار اللغة العربية العبقريّة التى نزل بها الوحي من ناحية، ومن ناحية أخرى لان أكثر هذه المخترعات تحمل اسماء غير عربية لأنها بلغة الذين صنعوها، وهى الانجليزية فى أغلب الاحيان، أو تحمل اسماء عربية مترجمة عن هذه الاسماء الانجليزية، وحيث ان أكثر هذه الاسماء لا تُعبر عن الخاصية الذاتية لحقيقة الشيء المصنوع، ومن ثم يكون من الخطأ لغويا اطلاقها على مسمياتها، وحيث أنه من المحال أن يرد فى كتاب الله تعالى أدنى خطأ، ولو فى لفظ أو اسم واحد لشيء واحد، لذا فإن لكل هذه المخترعات المعاصرة اسماء فى القرآن والسته تُعبر عن حقيقتها الجوهرية، وخاصيتها الذاتية، وتدل على ماهيتها الواقعية دلالة المطابقة الدقيقة التامة بصورة معجزة.

فجاءت هذه الاسماء، نتيجة هذه الدقة، مخالفة أو مغايرة للأسماء التي يطلقها عليها الناس، وكذلك المسلمون، فإذا ما سمعوا اسماءها الحقيقية في نصوص الرّوحى ظنوا أنها أسماء لأشياء أخرى، خاصة وأنّ المفسرين الأوائل لم يتصوروا هذه المخترعات، ولم تخطر على بال أحدهم، وفسّروا هذه الاسماء تفسيرات مناسبة لثقافتهم وعصورهم، حتى يستقيم معنى الآيات بالتأويل وليس بمحض المدلول اللغوى، ومن ثمّ فإننا ظللنا نتعامل مع هذه الظواهر الحضارية باسماء وتتلو الآيات المتضمنة لها، ولكن باسماء أخرى، هي الاسماء الصحيحة الدقيقة لها، فنظن أن النص يتحدث عن أشياء أخرى.

ولتوضيح هذا التعليل اضرب لك، اخى القارىء، مثلاً بآخر ما توصل إليه الانسان من وسائل ركوب البحر، واعنى به ما نطلق نحن عليه خطأ «الفواصة» وهى إحدى المخترعات التى انحصرت استخدماتها فى الأغراض الحربية والعلمية.

فما نطلق عليه فى لغتنا العربية «غوّاصات»، جاء ذكره صراحة فى الذكر الحكيم باسم «النازعات غرقاً» لأنها منازعات الغرق، الواحدة منازعة الغرق. إذ لو دققنا فى الأمر ملياً لعدّنا عن تسميتها بالفواصة إلى تسميتها منازعة الغرق، لماذا؟!!

لأن جوهر حقيقة هذه القطعة البحرية من قطع الأسطول البحرى الحربى ليس فى كونها تغوص فى الأعماق حتى القاع، لأنه ما من شىء كثافته أعلى من كثافة الماء كالمعادن إلّا ويغوص بمجرد إلقائه فى الماء، ماعدا السابحات سباحاً أو الجاريات يسرا أو الجوارى فى البحر كالأعلام، لأن جوهر حقيقتهم أنهم تقاوم الغرق بالطفو مع الحركة أى السباحة أو بالطفو مع السكون، فيظلون رواقداً على ظهر البحر، لهذا سميت سابحات، لأنها تظل مرتفعة على سطح الماء فلا تغوص، أى لا تغرق، فهى تقاوم الغرق أى الغوص فى الأعماق، من حيث أن كل غريق لا يكون غريقاً إلا بالغوص فى العمق، والسفينة الغارقة غائصة فى العمق، ومن يشاهدها وهى تغرق بسرعة يصح منه الإشارة إليها مع قوله: هذه السفينة غواصة أى تغوص بشدة تماماً كما يصح منه القول أن هذه السفينة تغرق، فهل يصح بهذا المعنى أن نطلق على هذه القطعة البحرية «غواصة»؟

إن كونها تغوص إلى القاع ليس هو الخاصية الجوهرية الذاتية المعبرة عن ما هيته، لأن أكثر مايلقى في البحر يفرق ويغوص، إنما الخاصية الذاتية المعبرة عن ماهيتها، وتميزها عن سائر قطع الأسطول، أو عن كل مايركبه الإنسان في البحر، هو أنها تنازع الغرق، ولانقول: أنها تقاوم الغرق لأن السابحات الطافيات هن اللاتي يقاومن الغرق، وهذا هو معنى الطفو في اللغة، أما تلك التي تكون أهم ماتتميز به عن غيرها من أخواتها المقلعات في البحر، هو منازعة الغرق، فهي النازعة غرقاً لأنها تنازع الغرق، أى بعد أن تغرق وتستقر في القاع، يمكنها أن تنزع نفسها صاعدة إلى سطح الماء، لتطفو وتسيح فوقه مرة أخرى، كما كانت علي سطحه من قبل، فالغائصات هن الغارقات اللاتي لايمكنهن الطفو والسباحة بعد الغرق، أما النازعات غرقاً فهن اللاتي يصعدن للطفو والسباحة بعد الغرق.

واللغويون يضربون مثالا لمعنى النزاع في لغة العرب بنزع الماء من قاع البشر إلى أعلى بالدلو، فالنزع هو أخذ الشيء من أسفل إلى أعلى بالقوة، ومن ثم فالنازعات غرقاً هن اللاتي يمكنهن أن ينزعن أنفسهن بقوة إرتفاعا وصعوداً من القاع، أى حالة كونهن غرقى، إلي سطح الماء للطفو والسباحة، لأن لفظ «غرقاً» في الآية يفيد حال هذه القطعة أثناء نزاعها نفسها من أسفل إلى أعلى إذ تكون غارقة.

أرأيت أخى القارىء، كم هى دقة التعبير القرآنى، وبيانه المعجز؟! ولوجاء القسم بقوله تعالى ﴿والغواصات غوصاً﴾ لما جاز لنا أن نفسره بهذه القطعة الأسطولية البحرية المعاصرة التي تطلق عليها (الغواصة)، لماذا؟

لأن اللفظ سيصدق على كل ما يغوص غارقاً، من ثم لا يكون لمن يفسر هذا النص بالغواصة حجة في قصرها على هذه القطعة التي نسميها «غواصة» لأن العبرة بمفهوم اللفظ وما صدقات المعنى الذي يحمله، أما قسّمه تعالى بقوله ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ فلا يصدق إلا على مانسميه الغواصات، هذا بمقتضى محض الدلالة اللغوية، وهى دلالة قطعيه محكمة لا سبيل أمام أحد لرفضها.

أرأيت أخى القارىء كم هو عظيم كتاب ربنا فلا تنفذ عجائبه ولا تنتهى معجزاته ولا يخلق على كثرة الرد، كما وصفه الصادق المصدوق أبو القاسم عليه السلام بأبى هو وأمى، حتى لكأن هذا الكتاب العظيم قد نزل اليوم أوبالأمس القريب.

فلا تتوقع أخى القارىء أن تجد ذكرا للطائرة والصاروخ والقمر الصناعى والسيارة والقطار والكمبيوتر والبتروول والكهرباء والتليفزيون والإذاعة واستنساخ الكائن الحى وغير ذلك بأسمائها التى تتعامل بها فى عصرنا هذا، فهى جميعا وكل ما إستحدثته هذه الحضارة مذكور صراحة فى الكتاب والسنة ولكن بأسمائها الصحيحة وعلى هذا فستقرأ أخى القارىء الكريم تفسيرا لكثير من آيات الذكر الحكيم وشروحا لكثير من الأحاديث ليست موجودة فى المصادر القديمة أو الحديثه ولا حتى فى المعاصرة منها.

ولا شك أن منهج المطابقة الذى سلكناه فى هذه الموسوعة سيثير إعتراض البعض بحجة مخالفة القديم، وغالبا ما يكون أولئك من (*) الذين ينسبون أنفسهم للسلف زورا وبهتانا، إذ لا يأخذون من السلف رضى الله عنهم إلا الصورة والشكل والرسم والظاهر غير مدركين أن الإسلام صورة وروح وشكل ومضمون ورسم وحقيقة وظاهر وباطن، وصدق قول رسول الله ﷺ فيهم إذ يقول «يوشك أن يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود» (١) ورواه الحاكم يلفظ «سيأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود» (٢) وفيهم وفى أمثالهم يصدق أيضاً قوله ﷺ (سيخرج

(*) (من) هنا للتبعض والذى أقصده أن منهم أصحاب هوى، وليس كلهم، والله أعلم بما فى القلوب، وصدقت وصية رسول الله ﷺ بقتالهم فى آخر الزمان بعد ظهور حركة الطالبان التى خرجت على اجماع المجاهدين ومعلوم أنها مدعومة أمريكيا، والا فهل يتصور ترك أمريكاهم لو كانوا مجاهدين مخلصين فى سبيل الله، وهم يسيئون تطبيق الشرع صدا عن سبيل الله وصرفا للأفغان عن دينهم.

(١) رواه البيهقي فى شعب الايمان عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

(٢) رواه الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فى آخر الزمان قوم: أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرأون القرن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) (١) فقله ﷺ أحداث الإنسان أى من الشبان ومع هذا فهم يتناولون على الشيوخ (٢) وسفهاء الإحلام أى همهم سفاسف الأمور وهى ظواهرها وأشكالها وفروعها. وقراءتهم للقرآن بالحناجر دون القلوب، يعنى أنهم لا يستوعبون منه إلا رسمه ونغمات نطقه لا يتجاوزونه إلى حكمته وهديه للقلوب، ومن ثم لا يرقى فهمهم للقرآن إلى إدراك معالى الغايات، فهؤلاء وأمثالهم هم خوارج آخر الزمان يجهلون أو يتجاهلون أن كتاب الله تعالى معطاء فى كل العصور ولكل الأجيال.

ومما يجهله هؤلاء وغيرهم الذين يظنون أنهم الموحدون دون غيرهم وأنهم الأعلام بكلام خير البرية دون من سواهم، أن كثيراً من آيات الله تعالى ظل باب الاجتهاد مفتوحاً فيه حتى الآن، وسيظل إلى أن يرفع الله تعالى القرآن من المصاحف، لأنه نزل لكل زمان حتى زمان رفعه، وليس للقرآن الأولى فقط، وإلا فما معنى وصف النبى ﷺ له: «لاتنقضى عجائبه» وهل يتحقق هذا إلا بفهم جديد يرزقه الله تعالى لمن يشاء من عباده لآيات كتابه ولسنة نبيه، ﷺ؟! وليس هذا هو معنى قول النبى ﷺ «نُصِرَ الله أمراء سماع مناشئنا فبلغه كما سمعه قرب مبلغ أوعى من سماع؟» (٣) أليس هذا السماع منه ﷺ هو الصحابى، وأليس المبلغ من الصحابى هو التابعى، وهذا معناه أن التابعى التلميذ ربما يكون أوعى وأفقه من الصحابى الأستاذ، ويصدق هذا على أجيال التلاميذ المتتابعة حتى آخر الزمان فيرزق الله تعالى لأهل آخر الزمان مفاهيم لآيات لم يدركها السلف وبخاصة فيما يخص أحداث القيامة وأشرط الساعة وعلاماتها.

كما يثبت أيضاً ويؤكد هذا الذى نقول، الأدلة التالية:

-
- (١) رواه الشيخان والإمام أحمد وأبو داود الطيالسي وأبو داود السجستاني والنسائي.
(٢) أول ظهورهم كانوا يتناولون على أئمة الامة الكبار اى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رحمهم الله وقالوا هم رجال ونحن رجال، فما بالك بالمعاصرين لهم؟!
(٣) رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن جمع الفوائد للمغربى ج١، ص ٤١.

(١) أن رسول الله ﷺ قد امسك عن تفسير بعض الآيات، وقال عن بعض آيات تخبر عن أحداث مستقبلية «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» أى سيكون أهل هذا الزمان الذين سيأتى فيه تأويلها أعلم بها، إذ يعاينون هذا التأويل ويدركونه واقعاً مُعَايشاً «عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد»^(١) وصدق رسول الله ﷺ إذ وقع تأويلها فى عصرنا فالعذاب من فوق الرؤوس بالقنابل والصواريخ، ومن تحت الأرجل بالالغام، وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: لم يجىء تأويل هذه بعد، ثم قال عبدالله: إن الله أنزل القرآن حيث أنزله: فمنه أى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل، ومنه أى وقع تأويلهن على عهد النبى ﷺ، ومنه أى وقع تأويلهن بعد النبى بقليل، ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه أى يقع تأويلهن بعد الحساب، وذلك ما ذكر من الحساب والجنة والنار^(٢) ومن الواضح أن معنى قوله سيقع تأويلهن بعد اليوم، أى يتحقق الخبر الذى تخبر به هذه الآيات، وعلى هذا يكون أهل الزمان الذى يقع فيه التأويل أقدر على فهم هذه الآيات وتفسيرها من قبلهم الذين لم يشاهدوا وقوعه، وهذا يعنى أننا أهل آخر الزمان مكلفون بالبحث عما وقع تأويله فى زماننا وتسجيل تفسيره بمقتضى هذا التأويل المتحقق، وإلا نكون قد قصرنا فى حق ديننا وكتابنا، وهذا فرض كفاية على العلماء، يجب أن يقوم بعضهم به.

(٢) أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بجلد عبد الله بن صبيغ التميمى مائة جلدة بسبب تساؤلات طرحها عن معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وقوله ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ وأمثالهما. ثم أمر بحبسه ومنع الناس من مخالطته، ولهذه الحادثة مغزى وحكمة، تكمن فى أنه عاقبه ليس على تأويله لهذه الآيات، وإنما على مجرد تساؤله عن تأويلها، والحكمة العمرية معلومة، وهى أنه، رضى الله عنه، كان

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن حديث رقم ٤٣.

(٢) رواه نعيم بن حماد فى الفتن حديث رقم ٣٨.

يقمع فتنة يمكن أن يتسبب فيها التمييم بإثارة هذه الأسئلة، لأن هذه الآيات محاسياتى تأويلها بعد فى آخر الزمان، ومن ثم لن يدرك أهل زمان عمر رضى الله عنه تأويلها، وإثارة الأسئلة حولها سيؤدى إلى بلبه وفتنة وفرقة وإختلاف بلا طائل وسيظل تفسيرها الصحيح الدقيق محجوباً عن كل المسلمين فى كل العصور، حتى يأتى العصر الذى يقع فيه تأويلها، فيفسرها أهله على الوجه الصحيح الدقيق، لأنهم سيروُن الأحداث أو الأشياء المخبرة عنها رأى عَيْن، ومن ثم يكون أهل آخر الزمان أو زمان وقوع تأويل مثل هذه الآيات، أقدر على فهمها وتأويلها ممن سبقوهم بما فى ذلك السلف، مع أنهم رضى الله عنهم أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبلغه القرآن الكريم من غيرهم من أجيال المسلمين، ما عدا آيات ونصوص أشراط الساعة وأحداث القيامة.

(٣) ومن قواعد البحث بمنهج المطابقة، القاعدة التى تمنع من الخروج على إجماع الأمة فى تفسير كتاب الله عز وجل، وهى أن الآيات التى إختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى تفسيرها، وهذه لابد أن تكون مما سكوت عنه رسول الله ﷺ ومن ثم حقٌ للتابعين من بعدهم أن يجتهدوا فيها، ثم إن الآيات التى إجتهد فيها التابعون رضى الله عنهم وأختلفوا فيها دون حسم لهذا الخلاف قد حق لتابعى التابعين أيضاً أن يجتهدوا فيها، فإذا ما اختلفوا يحق لمن بعدهم من المفسرين أن يجتهدوا، وما ظل المفسرون مختلفين فى تفسيره على مدى العصور الإسلامية حتى عصرنا الراهن فباب الإجتهد فيه مفتوح حتى يجمع العلماء والمفسرون على تأويل لا يختلفون عليه، ولن يكون إجماعهم إلا على الآى التى وقع تأويلهن.

(٤) أكثر آيات الذكر الحكيم المخبرة عن إشارات الساعة وأحداث القيامات الثلاث مختلف فيها، ولم يصل العلماء خلال عصور الإسلام كلها إلى ما اتفقوا عليه، بل تبدو هذه التأويلات مضطربة غير مطابقة لدلالات اللغة ولا لمقتضيات السياق القرآنى الذى وردت فيه، ومن ثم ظل باب الاجتهاد فى فهمها مفتوحاً حتى

عصرنا الراهن ، مع العلم أنه ليس من هذه الآيات ما يخص التوحيد أو الأحكام
الفقهية والشرعية أو أخبار الأمم السابقة إذ هي من القسم الذى لم يقع تأويله إلا فى
عصرنا، أو لم يقع تأويله بعد.

(٥) يبقى بعد هذا كله اعتراض تقليدى يلوذ به العلماء الذين يرفضون الاجتهاد
فى الفهم إشاراً للسلامة وتجنباً لتحمل مسئولية الخطأ، ويتمثل هذا الإعتراض فى
عبارة منسوبة لصديق الأمة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه وهو قوله «
أى أرض تقلنى وأى سماء تظلمنى ، لو قلتُ فى كتاب الله تعالى برأى؟» والمعنى
بالعامية المصرية «أروح من ربنا فىن لو فسرت كلام الله على مزاجى، أى حسب
هواى.؟!»

فما هو العاصم من إقحام الهوى فى تفسير كتاب الله عزو جل ١٩

هو فى عبارة واحدة: أن يكون التفسير للنص القرآنى من خلال السياق الوارد فيه
وبمحض المدلول اللغوى للكلمات والعبارات لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]

فإذا توصلنا إلى تأويل للنص متوافق مع سياقه ومطابق لمطابقة تامة ودقيقة حسب
مدلوله اللغوى المحض لمظهر أو لحدث أولشىء من المستحدثات المعاصرة ، يمكننا أن
نقرر مطمئنين أننا بازاء تأويل للنص خالى من الهوى والرأى الشخصى، إذ تكون
المطابقة مع الواقع دليلاً إضافياً مع الأصل اللغوى على صحته. ويكون هذا الحديث
أو الواقع المطابق لهذا النص هو تأويله قد وقع.

هذا هو النهج الذى إتبعته بحمد الله وتوفيقه فى هذه الموسوعة . والذى أسأل الله
تعالى أن يوفقنى به إلى الحق والصواب ويجنبى الخطأ والزلل فى فهم كتابه الكريم
وسنة نبيه ﷺ.

فإن رفض هذا النهج رافضون بعد ذلك، فهذا شأنهم، ولأيتبنى شىء بعد هذا
عن الإستمرار فيما تفضل الله تعالى وتكرم به على، وهو فضل عظيم أحمدته وأشكره

عليه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكريم منه، وجليل نعمائه، طالبا المزيد منه، سبحانه، لاعلم لى إلا ما علمنى، ولا حول ولا قوة إلا به، له الخلق وحده، وله الأمر وحده، وله الحكم وحده، هو الذى ألهم الحق وهدى إلى الصواب، وهو الذى أنجز وأتم، قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فله الحمد وحده.

فما كان فيما كتبه صوابا وحقا وهدى، فهو منه سبحانه وحده، وما كان فيه من خطأ أو زلل أو نسيان أو ضلال، فهو منى، وأسأله واسع غفرانه، وأن يشغل به ميزاني وميزان من يعيننى علي نشره يوم لقائه، والصلاة والسلام الأتمان الدائمان على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د . فاروق الدسوقي

٦ من جمادى الأولى ١٤١٩ هـ
الإسكندرية فى
٢٦ من أغسطس ١٩٩٨ م .

الباب الأول الإستخلاف الإبتلائي وصلته بنهاية الحياة الدنيا

الفصل الأول: استخلاف الإنسان في الأرض حقيقته ودلالته
الوجودية وصلته بالابتلاء.

الفصل الثاني: علم الأسماء هو الأساس في توسيع دائرة
الاستطاعة الإنسانية.

الفصل الثالث: الاستطاعة الإنسانية الموسعة والمدعمة بالعلم
والتقنية من أهم أمارات القيامة الصغرى.

الفصل الرابع: استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة
بالعلم والتقنية في الإفساد للعلو في الأرض.

الفصل الخامس: سنة الله في استئصال الكافرين تضدق على نزول
بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين في
أحداث القيامة الصغرى.

الفصل السادس: إخبار النبي ﷺ بكل ما سيحدث بعده إلى قيام
الساعة بما في ذلك التقنيات الصناعية المعاصرة.

الفصل السابع: أمارات الساعة في الكتاب والسنة.

الفصل الأول

(١) استخلاف الإنسان فى الأرض حقيقته ودلالته الوجودية و صلته بحقيقة الابتلاء^(١)

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢٧ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٨ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢٩ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٠ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣١ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣٢ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٣ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ السَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٣٤ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٣٦ [البقرة/ ٢٩ - ٣٩].

تتضمن هذه الآيات الكريمات عدة حقائق إيمانية إنسانية، أى تخص تفسير الإنسان من الناحية الوجودية ومن الناحية المعرفية.

أما الوجودية فتتمثل فى اعتبار استخلاف الإنسان فى الأرض هو الغاية الوجودية العليا لبني آدم فى الحياة الدنيا.

(١) لمن يريد أن يتوسع فى العلم بهذه الحقيقة التوحيدية الهامة فيمكنه الرجوع إلى كتابي (الخلافة الإسلامية حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحنمية هودنها).

إن إخبار الله عز وجل الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة أثار دهشتهم وتعجبهم من أن يكون الذى اصطفاه الله تعالى من بين أنواع المخلوقات لاستخلافه فى الأرض هو الإنسان ، لما سبق إليهم من علم عن فساد الإنسان فى الأرض، وعن كثرة سفكه للدماء، فى حين أن الملائكة لا يعصون الله عز وجل ولا يفسدون، كما أنهم يسبحون بحمده ويقدمون له.

فأبطل الله عز وجل تعجبهم وأزال دهشتهم بأن طلب منهم الإدلاء بأسماء الأشياء والأحياء المعروضة عليهم فعجزوا واعتذروا قائلين (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فلما أمر الله تعالى آدم أن يثبتهم بأسمائهم وفعل آدم هذا بنجاح، قال الله تعالى لهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ؟﴾ والذى أبدوه بسؤالهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ هو الدهشة والتعجب، أما الذى أخفوه وكنموه حياءً من الله تعالى، وخشية منه فهو الغيرة من آدم وبنيه الذين اصطفاهم الخالق عز وجل للخلافة، وما حدثتهم به أنفسهم من أنهم كانوا يظنون أنهم سينالونها أو أنهم أجدر بها من آدم وذريته، فهى غيرة من غير حقد أو حسد، فلما أمرهم بعد ذلك بالسجود لآدم إقراراً منهم باستخلافه فى الأرض، واعترافاً بتكريمه بهذه المكانة الوجودية المرموقة التى تاقَت أنفسهم إليها، سجدوا فكان هذا السجود منهم إقراراً واعترافاً بذلك.

وإعلاناً فى الكون كله بأنهم صاروا أولياء لآدم وذريته منذ هذه اللحظة أى عوناً له ولذريته على تحقيق هذه الغاية الوجودية العليا، فى حين أن رفض إبليس الذى أصله من الجن، وكان معهم وقت تلقى الأمر بالسجود، كان هذا الرفض منه إعلاناً بتحويله إلى عدوِّه ولذريته منذ هذه اللحظة، ومن ثم جند نفسه وأتباعه لمناهضة الإنسان حتى لا يحقق غايته العليا من وجوده فى الأرض، وهى تحقيق خلافته لله عز وجل فى الحياة الدنيا برجاء الفوز بالحياة الأبدية الخالدة فى الجنة.

ولما كان أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة تَفَضُّلاً منه وكرماً ومناً عليه وعلى زوجه، وجعل شرط بقائهما في الجنة الابتعاد عن معصية الله عز وجل، وحيث لا معصية ولا طاعة إلا بعد تكليف وتخيير واختبار، فقد كَلَّفَ الله عز وجل أبانا وأمنا بالابتعاد عن شجرة واحدة من أشجار الجنة، وأذن لهما في أن يأكلا رغداً حيث شاءا من جميع الأشجار، ما عدا هذه الشجرة، ومع أنها شجرة واحدة وليست نصف أشجار الجنة مثلاً، أو أكثر أو أقل، بل كانت واحدة، ومع هذا التكليف الخفيف الهين فقد استطاع إبليس أن يزلهما عنها، وأخرجهما من النعيم الذي كانا فيه، ثم لما نزلوا جميعاً الأرض، نزل آدم وزوجه مغفوراً لهما زلتهمما وتاب الله تعالى عليهما، وحذرهما من عدوهما اللدود إبليس، لأن الخسران في الابتلاء على أرض الابتلاء في الحياة الدنيا ستكون عاقبته ليس فُقدان الجنة فحسب، بل ودخول الجحيم أيضاً.

ويتفضل من الله تعالى وبمنه ورحمته أخبر البشرية الساکنة في الأرض بأنه سَيُرْسِلُ لهم طيلة الحياة الدنيا رسلاً بالهدى فمن اتبعهم والتزم هدى الله عز وجل فسيعود إلى الجنة موطنه الأصلي مع آدم عليه السلام ومع أنبياء الله ورسله. ومن كفر بالهدى الإلهي وبالرسل، وبالكتب وعبد الشيطان بطاعته إياه وتحول عن عبادة خالقه الواحد الأحد، فإن مصيره النار، أي أن بنى آدم سينقسمون إلى فريقين عباد الرحمن وأوليائه وخلفائه في الأرض. وعباد الشيطان وخلفائه وأوليائه في الأرض.

فالإنسان إذاً إما أن يصبح - بعد الابتلاء - عبداً لله وحده فائزاً بالجنة إذا جعل نفسه خليفة لله عز وجل وحده.

وإما أن يصبح عبداً للشيطان إذا أطاعه وعبدته، ومن ثم يصبح خليفة للشيطان. لهذا السبب جاءت كلمة خليفة في الآية مطلقة غير مقيدة ولا مُتَعَيِّنَةٌ بأثبات المخلف الذي سيخلفه الإنسان، فلم يقل تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة لي) ولم يقل عز وجل (إني جاعل في الأرض خليفة لغيري) وإنما قال ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وهذا معناه أن الطبيعة الاستخلافية التي يخلق الله تعالى الناس عليها هي

طبيعة استخلافية «لامتعينة» أو «لامتوجهة» حتى يتحقق الابتلاء بتخيير ابن آدم بين أن يجعل من نفسه خليفة لله عز وجل أو يجعلها من خلفاء الشيطان والعياذ بالله.

أما حقيقة الخلافة المكلف الإنسان بتحقيقها فهي خلافة الله تعالى في الأرض، وحيث إن الخلافة بالمعنى المطلق غير المحدد أو المعين هي عبودية الذات الإنسانية لغيرها، أي لغير هذه الذات، وليس من عبودية ذات من الذوات إلا لغيرها. هذا هو الوجه الأول للخلافة.

والوجه الثاني هو السيادة في الأرض.

وعبودية الذات الإنسانية لغيرها بالضرورة يستلزم أن يكون للإنسان معبود يعبد به بالضرورة، فهو إما أن يكون عابداً لله وحده وإما أن يكون عابداً لغير الله عز وجل.

فإذا حقق الناس عبوديتهم لله وحده وسيادتهم على كل مخلوقات الأرض، من غير البشر طبعاً، فإنهم يكونوا قد حققوا وجهي الخلافة وهؤلاء هم خلفاء الرحمن. وإذا حدث العكس وسقط الناس في مجتمع ما أو في عصر ما في عبوديتهم لغير الله عز وجل فإنهم يكونوا قد عبدوا الشيطان على الحقيقة، إما الشمس المعبودة أو البقر أو الصنم أو الطاغوت الحاكم، أو أو... فكل هذه مجرد أقنعة يختنئ خلفها إبليس لعنه الله قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) وأن عبدوني هذا صراط مستقيم ﴿٦٠ / يس﴾.

فالكافر أو المشرك عابد للشيطان ومن ثم يكون بهذه العبادة قد حقق نصف خلافته للشيطان.

والمؤمن أو الموحد عابد لله وحده ومن ثم يكون قد حقق نصف خلافته لله عز وجل.

والسؤال الآن: وماذا عن النصف الثاني أو الوجه الآخر من حقيقة الاستخلاف وهو السيادة؟!

كيف يحققه الإنسان وما هو منهج تحقيق العبودية أولاً، ثم ما هو منهج تحقيق السيادة ثانياً؟

أما بالنسبة لمنهج تحقيق العبودية فهو الهدى المذكور في قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨/ البقرة) والهدى السماوى الربانى هو الرسالة المنزلة من عند الله على رسله الذين خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم جميعا وسلم.

او هو الدين الذى هو عند الله تعالى الإسلام والذى لا يرضى الله تعالى من العباد أن يعبدوه تعالى ويخضعوا له إلا به وبمقتضاه.

هذا هو منهج تحقيق العبودية لله وحده.

أما الوجه الآخر للاستخلاف فهو تحقيق سيادة الإنسان فى الأرض على نباتها وأحيائها وأنعامها ومعادنها وبحارها وأعماقها وأنهارها وتربثها وصخورها وجبالها ورمالها، وفضائها وسمائها وتسخير كل ما فيها لحياته، بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) (البقرة) فكل ما فى الأرض خلقه تعالى لنا أى لبنى آدم. ثم قال تعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣٠/ البقرة) ذلك لأن الله تعالى وهو يخلق الأرض كان يُهيئُها لحياة الإنسان أى بكيفيات ملبية لإحتياجاته وبسُننٍ مُستجِبة لتسخيره لها وسيطرته وهيئته عليها، وهذا هو معنى السيادة. فالسيادة على الأرض تتم باستطاعة منحها الله تعالى لمن استخلفه فيها، لكى يتمكن بها من الهيمنة والتسخير والاستخدام لكل ما فى الأرض لنفسه.

فإذا تساءلنا: وَمَا الْحِكْمَةُ؟ جاءت الإجابة: هى الإبتلاء بمعنى الإمتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧/ الكهف) وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٤٨/ المائدة). وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١- ٢/ الملك) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ (١- ٢/ الملك) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

خَلَايِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ (الأنعام) وقال تعالى ﴿١٦٤﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
﴿١٦٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٣ - ١٦٤﴾ (يونس)
فقاله تعالى في آيتي يونس : ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أى نختبركم بهذا الاستخلاف
بعد الذين ظلموا، وهم الذين سبق أن ابتلاهم الله عز وجل أيضا وخسروا وظلموا
أنفسهم، فاستخلاف الأجيال هو للإبتلاء.

وفى آية الأنعام بيان للحكمة من جعل الناس خلائف الأرض مع جعلهم بعضهم
فوق بعض درجات أى سنن الله تعالى الضرورية للإجتماع البشرى، إنما هذا وذلك
للإبتلاء أيضا.

وفى آية الملك بيان للحكمة الإلهية العليا من خلق الإنسان فى الدنيا خاضعاً لسنة
الموت والحياة أجيالاً، وهى أيضا الإبتلاء.

وفى آية المائدة بيان ربانى للحكمة التى من أجلها شاء الله تعالى أن يخلق الناس
قابلين للاختلاف إلى أصحاب ملل وعقائد وأديان مختلفة الأمر الذى صاروا به إنما
مختلفة وهذه الحكمة هى الإبتلاء والاختبار أيضا.

وفى آية الكهف بيان للحكمة التى من أجلها جعل الله تعالى ما فى الأرض وما
عليها زينة أى أسباباً للمتاع والنعيم واللذة والسرور والفرح ترغيباً فيها وهى الإبتلاء
أيضاً.

وعلى هذا فالعلاقة بين الإبتلاء وبين الاستخلاف وثيقة لإرتباط الإثنين بالتفسير
الوجودى الإسلامى للإنسان، لأن الإستخلاف هو غاية الإنسان العليا من وجوده
والإبتلاء هو الحكمة الإلهية الربانية التى من أجلها جعل الله تعالى الإنسان خليفة فى
الأرض.

أى أنه استخلفه فى الأرض وأعطاه كل ما فيها وما عليها وما فى باطنها وما فى
سمائها لينظر ماذا يفعل، وكيف يتصرف فيما سخره الله تعالى فيه، وهل يستخدمه فى
طاعة الله تعالى لتحقيق عبوديته لله تعالى أم يَسْتَخْدِمُهُ وَيُسَخِّرُهُ فى معصية الله عز وجل
لتحقيق عبوديته وطاعته للشيطان. وهذا هو جوهر الابتلاء بالخلافة أو حقيقة
الاستخلاف لتحقيق الابتلاء.

الفصل الثانى

(٢) علم الأسماء هو الأساس فى توسيع دائرة الاستطاعة البشرية وتقويتها.

فالسيادة تتمثل فى عمارة الأرض وإثارتها واستخراج ما فيها واستغلاله واستغلال ما فيها وما عليها من نبات وحيوان وعناصر.

ومن ثم فهى تقرب من مفهوم الحضارة، وكلما كان الجيل أو الأمة أكثر إثارة للأرض وتعميراً لها كلما كانا أكثر تحضراً من غيرهما من الأجيال والأمم.

فالخلافة لله عز وجل عبودية لله تعالى وسيادة فى الأرض.

وهذا يؤدى بنا إلى سؤال هام وهو:

ما هو المنهج الذى يتحقق به خلافة الإنسان فى الأرض؟

الإجابة: هما منهجان متكاملان وليسا مختلفين أو متعارضان وإن كانا متباينين: هما الدين والعلم أى أن الدين - وهو عند الله الإسلام - هو منهج تحقيق عبادة الله وحده، بإعتبار أن العبودية لله تعالى وحده هى الوجه الأول للخلافة الإسلامية والعبودية للشيطان هى الوجه الأول للخلافة الطاغوتية.

أما الوجه الثانى للخلافة فهو السيادة وتحقق بالمنهج الذى يقابل الدين وهو العلم وسيادة الإنسان هى سيادته على كل ما فى الأرض.

ونعنى بهذا العلم العلم التجريبي وأساسه العلم بالأسماء كلها هذا الذى أعطاه الله تعالى آدم وخصه به دون الملائكة ودون الجن وثبت به أهلية آدم وذريته للخلافة.

وعلم الأسماء هو أصل ومصدر العلوم الكونية (فلك وفيزياء وكيمياء وعلوم طبية ونبات وحيوان وأحياء وعلم طبقات الأرض وعلوم البحار والأنهار والجغرافيا وعلوم كل شىء يمكن أن يخضعه الإنسان للتجربة سواء فى الحمل أو فى كينونته النظرية الطبيعية).

وذلك لأنه لا يمكن للإنسان أن يتمكن من استخدام أى شىء من المخلوقات فى الأرض وتسخيرها لمنفعته أو يتجنب ضرر أى شىء إلا إذا علم خصائص هذا الشىء ومكونات هذا الشىء ومنافعه ومضاره والسنن الحاكمة له فى وجوده وتغييره، فإذا علم عنه هذا كله تمكن من تسخير واستخدامه، فكلما علم عن كائن حى أو جماد سنن وجوده وقوانين تغييره كلما استطاع تسخير واستخدامه والاستفادة بما فيه من فوائد والإبتعاد عما فيه من ضرر، فإذا اكثرت وازدادت حدد الأشياء التى علم عنها الإنسان هذا كله إتسعت دائرة التسخير للأشياء، فإذا ما تخطى علم الإنسان بالأشياء والأحياء إلى القوانين والسنن الحاكمة لتغييراتها فإن هذا معناه أن استطاعة الإنسان تتسع وتقوى وتشتد ومن ثم يمكنه أن ينجز من عمارة الأرض وإثارتها فى جيل واحد ما كان ينجزه أهل الأجيال السابقة التى لم تكن متقدمة فى العلوم الكونية وتطبيقاتها فى خمسة أجيال وربما فى عشرة أجيال.

إن الاستطاعة البشرية هى القوة الفاعلة عند بنى آدم، وهذه القوة تتمثل اوضح وأجلى ما تتمثل فى الأخذ بالأسباب المفضية إلى النتائج المرجوة لحياة الإنسان وأهم الأسباب وأولها التى يتمكن بها الإنسان من تسخير الأشياء والأحياء هو كما قلنا العلم بخصائص الشىء وقوانينه الحاكمة له فى ذاته وفى تفاعلاته مع غيره من الأشياء والأحياء.

ولكن العلم وحده لا يكفى لأن العلم الذى يظل فى رؤوس الناس أو فى عقولهم أو فى الكتب على أرفف المكتبات لا يجدى ويظل كما هو لا ينفع إذ هو مقوم أول من مقومات الفاعلية الإنسانية أما الثانى فهو الاستطاعة، والاستطاعة هى قوة السمع عند الإنسان وهى قوة البصر وهى القوة الذاكرة والحاسبة وهى قوة اليدين أى التحكم فى الأشياء والرجلين أى حركة النقلة والانتقال وسائر القوى البشرية تلك هى الاستطاعة التى أساسها الصحة ومقوماتها الثلاثة الرئيسية التى صار بها الإنسان إنساناً: السمع والبصر والفؤاد، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦ / الإسراء) وقال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٩٦ / النبأ)

جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ (السجدة).

فأهم مقومات الاستطاعة الإنسانية هي هذه الثلاثة السمع والأبصار والأفئدة، ومعنى هذا أن توسيع دائرة الاستطالة البشرية يعنى توسيع دائرة كل واحد من هذه الثلاثة بالإضافة إلى القدرات والملكات والقوى الأخرى وأهمها بعد هذه الثلاثة فاعلية اليدين والرجلين، فإذا توسعت الدائرة فى جميع قوى الاستطاعة توسعت السيادة الإنسانية.

وهذا هو ما حدث باختراع الأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الحاسبات الالكترونية التى تقوم بوظائف الأفئدة وكذلك جميع معدات البناء والهدم والتشييد ورصف الطرق والزراعة وآلات المصانع كلها وسعت دائرة استطاعة اليدين ثم جاءت وسائل الانتقال لتوسيع دائرة حركة الانتقال أى استطاعة الرجلين.

فليست هناك قوة عند الإنسان إلا وقد توسع مجالها حتى شمل كل حدود الكرة الأرضية وربما السماء أيضا سمعا وبصرا وانتقالا وزراعة وصناعة بمساحات وكميات هائلة فى الكم والسرعة كل هذا بسبب الأجهزة والمعدات والوسائل، وكلها قد توصل الإنسان إلى صنعه وإقامته بعد العلم بخصائص الأشياء والأحياء وقوانين الطبيعة وعناصر الكيمياء واكتشاف قوانين الميكانيكا والكهرباء وأصل هذه كله عند الناس ما ورثوه من أبيهم آدم من علم الأسماء فالصلة بين تحقيق الخلافة فى الأرض وعلم الأسماء وثيقة إذ به أدركت الملائكة أن آدم وذريته قد آثرهم الله تعالى بمؤهل الاستخلاف وهو علم الأسماء كلها أى كل شئ أو كل حى له إسم. ومامن شئ هو موضوع لعلم إلا ولا بد أن يكون له اسم فإن صنعوه أو اكتشفوه لأول مرة وضعوا له اسما.

فعلم الأسماء الذى أساس العلوم الكونية هو منهج تحقيق السيادة، كما أن الهدى الربانى أو الرسالة السماوية أى أن الدين الإسلامى هو منهج تحقيق العبودية.

الفصل الثالث

(٣) الاستطاعة الإنسانية المدعمة بالعلم والتقنية من أهم وأخطر الإمارات بين يدي القيامة الصغرى

السؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو: ما الذى يحدث حين تتوسع دائرة الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة والتقنية؟ وما أثر ذلك على حياة الإنسان ومصيره الأبدى؟ وما صلة هذا كله بالقيامة الصغرى؟!

للإجابة على السؤال الأول نقول: إن الفرق بين مجتمع متقدم علميا وتقنيا وبين المجتمع المتخلف كالفرق بين المحراث الذى تجره الأبقار وبين الجرار الزراعى أو بين قافلة الجمال وبين القطار أو الطائرة من حيث كم الإنتاج وطول المسافة والسرعة.

إن الفاعلية الإنسانية قد تضاعفت آلاف المرات بسبب المعدات والأجهزة الحديثة، إن جهازا من أجهزة الحاسب الإلكتروني يحسب فى ثانية واحدة ما يحسبه عشرات الألوف أو مئات الألوف من الرجال فى ساعة أو أكثر.

إن الأجهزة والآلات والمعدات الحديثة تضاعف الفاعلية الإنسانية فى الخير والشر وفى السلم وفى الحرب فينتج الإنسان من أحداث التاريخ فى شهر ما كان يحدث فى عقد من الزمان.

وحيث إن خلافة الإنسان لله هى المنتجة للخير والحق والسلام فإن توسيع دائرة الاستطاعة بالنسبة لخلفاء الله فى الأرض إنجاز عظيم جدا وإنتاج ضخم هائل من الخير ونُصرة الحق وإنشاء السلام وترسيخه، ونشر البر.

وبالعكس فإن خلافة الشيطان فى الأرض هى المنتجة للشر والباطل وسفك الدماء وإفساد عظيم فى الأرض ومن ثم فإن توسيع دائرة الاستطاعة البشرية فى ظل خلافة الشيطان إنجاز عظيم وضخم لترسيخ الشر ونصرة الباطل وسفك كميات أعظم وأضعاف أضعاف من دماء الناس.

إن خلافة الشيطان في مجتمع متقدم علمياً وتقنيا وذو استطاعة واسعة قوية أعظم شراً من خلافة الشيطان في مجتمع متخلف علمياً - لأن إنجاز الشر في الأول يعادل إنجاز الشر في الآخر عشرات بل ومئات الآلاف من المرات، كما أن التدهور والانحطاط والنسفل في الذاتية الإنسانية في مجتمع خلافة الشيطان التقني الصناعي يكون أسرع وأقوى وأشد وأسوأ منه في العصر غير الصناعي حتى إن الرجل في مثل هذا المجتمع يصبح مؤمناً ويبيت كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً. أي يتم كفر المفتون في يوم واحد بل في نصف يوم.

أما المجتمع غير الصناعي وغير التقني والذي تكون استطاعته ضعيفة بطيئة محدودة. فإن فتنة الكفر لا تتم بين يوم وليلة أو بين صباح ومساء، وإنما تتم على مراحل، أورد الهندي في «كنز العمال» بسنده إلى (ميمون بن أبي شبيب، قيل للحذيفة: أَكْفَرَتْ بنو إسرائيل في يوم واحد؟. قال: لا، ولكن كانت تُعرض عليهم الفتنة فيأبونها فيُكرهون عليها، ثم تُعرض عليهم فيأبونها، ثم ضُربوا عليها بالسياط والسيوف حتى خاضوا خاضةً أَلَمًا لم يعرفوا معروفًا ولم يُنكروا منكرًا^(١)) ومعنى الحديث أن بنى إسرائيل كفروا في زمانهم أيام أنبيائهم وأيام وجودهم بيت المقدس وبعد طردهم منه أي في القرون التي قبل سيدنا عيسى عليه السلام وفي عهده أو بعده فكانت على مراحل ينجون من الفتنة ثم يكرهون عليها ثم تُعرض لهم الأخرى فينجون منها ويأبونها فيضربون عليها بالسياط ويُعَذَّبُونَ وَيُقَتَّلُونَ، وهكذا مرت عليهم المحن الواحدة تلو الأخرى خلال سنين بل وقرون حتى جاءت أجيال لا تصبر على بلاء ومحنة فلم يقاوموا ولم يرفضوا الفتن حتى خاضوا خاضةً أَلَمَتْ بهم، وتحولوا منها إلى الحال الذي يصبح المرأ فيه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا. ثم بعد ذلك تَدَرَّجُوا إلى الحال الذي يقبلون المنكر ويرفضون المعروف ثم وصلوا إلى الكفر الذي يَرَوْنَ فيه المنكر معروفًا والمعرف منكراً ثم أصبحوا شياطين الأرض وقادة الإفساد ثم

(١) الهندي/ كنز العمال/ ح رقم ٣١٣١٨/ ج ١١.

إنحدروا وتسفلوا إلى الدرك الذى يأمررون فيه بالمنكر ويتهنون فيه عن المعروف^(١).

فتنة الكفر إذن التى أصابتهم كانت على مراحل وأزمان ممتدة، وذلك لأنهم كانوا فى العصر الذى كانت استطاعة الإنسان فيه ضعيفة ومحدودة وبطيئة، عصر الجمال والخيل والبغال والحمير والمحراث والفأس والسيف والمنجنيق والحربة والسفن الشراعية والمياه العذبة غير الملوثة والبيئة النظيفة.

أما فى العصر الراهن الذى صارت فيه استطاعة الإنسان على الفعل والإنتاج والإنجاز فى جميع المجالات قوية وسريعة وغير محدودة الآفاق، أى واسعة جداً.

فإن فتنة الكفر فيه تكون بنفس القوة والسرعة والانتشار والإنساع. يدل على هذا ما أورده الهندي بكنز العمال عن حذيفة رضى الله عنه رفعه قال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل....^(٢) فانظر إلى الذى يكفر من فتنة واحدة وفى ليلة واحدة أو فى نهار واحد، إن حدوث الفتنة فى ليلة واحدة يعنى حدوثها فجأة بلا مقدمات حتى ليدخل فيها الرجل ويقع فيها ويكفر فى ساعات قليلة ينتقل فيها من معسكر أهل الإيمان إلى معسكر أهل الكفر، وما هذا إلا لتسارع الأحداث ولقوتها ولانتشارها وتعميمها بعد ظهور وسائل الإعلام البصرية والسمعية: الراديو والتلفزيون والفيديو والإرسال من الأقمار الصناعية والقلمية أى الصحف وكلها واسعة الانتشار وسريعة ولها تأثيرات قوية جداً وخطيرة جداً على المشاهدين والمستمعين والقراء، وكذلك يتم الحدث الهائل كالحرب العظيمة أو غيرها بسرعة فائقة لوجود وسائل الانتقال الحديثة ووسائل ومعدات الحرب الحديثة، كما أن عظمة حجم الحدث وضخامة الجريمة تكون سبباً فى كفر المشتركين فيها مثل المشاركة فى قتل آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين بضربات قليلة فى دقائق معدودة.

(١) وقد وصل إلى هذا الحال بعض فئات من المسلمين دعاء الضلالة المجاهرون بالكفر والحاد باسم التنوير والعلم وهم لا يدرون أنهم يدعون إلى الظلام والجهل فهم الذين يعمهون.

(٢) الهندي / كنز العمال / ح رقم ٣١٣٤٩ / ج ١١.

إن الرجل كان قديماً يعيش أياماً بل وشهوراً أو أكثر في المجتمع لا تتاح له فرصة النظر إلى امرأة غير محببة إلا مُصادفةً وبطريقة عابرة، وهو اليوم - إذا أراد - يمكنه أن يرى عاريات تماماً أو عاريات كاسيات وبأقل جهد وأقل مال، يُستدعى هذا كله وهو متكئ على أريكته، أى فتنة هذه في سرعتها وقوتها وإمتدادها وسعتها وانتشارها في أنحاء الأرض المعمورة. بل إنها تطول حتى البدوى في الصحراء.

إن قوة الاستطاعة الإنسانية في الحضارة المعاصرة وسرعتها وشمولها وبطشها أظهرَ في الأرض الهَرَجَ الذى ليس شيئاً سوى القتل الجماعى، فَنَحْنُ في زمان الهرج وهو الذى يطلقون عليه في العصر الحديث أسلحة الدمار الشامل النووى والكيمياوى والجراثيمى أو البيولوجى الذى يبىد أهل المدن بكاملها.

(فَعَنَ أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن من ورائكم أياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج. قالوا: يا رسول الله؟ ما الهرج قال: القتل)^(١) فالكثرة تفيد القتل الجماعى بأسلحة الدمار الشامل، فقبيلة هيروشيما وهى الجيل الأول البدائى من القبيلة النووية قتلت في لحظة كثيفة من لحظات حكم الجبوت والطاغوت قرابة ربع مليون نسمة وشوهت وسببت أمراض السرطان لمئات الألوف في دوائر ممتدة حول موضع انفجارها وبدرجات متفاوتة في الإصابة حسب ضيق الدائرة واتساعها حول هذا الموضع.

أى استطاعة في الهرج هذه التى أوصلت الحضارة المعاصرة أهلها إليها؟!

ولكن قوة وسعة وسرعة الاستطاعة الإنسانية في الحضارة المعاصرة ليست في ذاتها شريرة بل هى مجرد استطاعة محايدة يمكن أن توجه وتستخدم في الخير كما توجه وتستخدم في الشر، كما أنها أنتجت وسائل حيادية ومن ثم فهى جميعاً قوى محايدة قابلة للاستخدام الطيب كما أنها قابلة للاستخدام الخبيث الشرير. فما الذى يوجهها نحو الشر نارة ونحو الخير أخرى؟

هذا هو موضوع الفصل التالى بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذى/ ك الفتن باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه/ ح ٢٢٣١ وقال هذا حديث حسن صحيح.

الفصل الرابع

استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية فى الإفساد للعلو فى الأرض

(٤) علو خلفاء الجبت والطاغوت بالإفساد مستغلين الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية من الإمارات المباشرة للقيامة الصغرى - ما الذى يرجع استخدام الاستطاعة فى الخير أو فى الشر .

المرجع هو العبودية، الجانب أو الوجه الآخر من الخلافة المقابل للسيادة أى أن الاستطاعة الإنسانية المرشدة بالعلم والمدمعة بالتكنولوجيا قوة محايدة.

فإذا كانت العبودية لله عز وجل فإنها تُحوّل استخدام الاستطاعة العلمية التكنولوجية إلى الخير فيكون كل إنتاجها خيراً وباراً وطيباً وسلاماً وسعادة فى الدنيا وفلاحاً وسعادة فى الآخرة، وإذا كانت العبودية للطاغوت أى محققة لخلافة الإنسان للطاغوت يكون إنتاج الاستطاعة الإنسانية الموجهة بالعلم والمدمعة بالتقنية شراً وإثماً وباطلاً وفساداً وسفكاً لدماء المؤمنين بخاصة وفاحشة وتقطيعاً للأرحام وإهلاكاً للحرث والنسل ودماراً وهدماً بعامه.

وأى واحد من الفريقين ظهر على الآخر يظهر أثره المذكور فى الأرض، فإذا تعادل خلفاء الله تعالى فى قوة الاستطاعة وسرعتها مع خلفاء الشيطان تعادل الخير مع الشر فى الأرض أو كاد، وإذا غلبت خلافة الله تعالى على خلافة الشيطان غلب الخير والحق والعدل والسلام على الأرض، وإذا ظهر خلفاء الطاغوت والجبت على خلفاء الله عز وجل ظهر الفساد فى البر والبحر، وغلب الشر وعلا الباطل وفشت الفاحشة والإثم وساد الظلم وعم الظلام، وأهلكوا الحرث والنسل والويل كل الويل للبشرية إذا كانت الغلبة لخلفاء الطاغوت والجبت فى عصر الاستطاعة البشرية القوية السريعة الشاملة، وهذا هو حالها فى هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لم يترك خلفاء الجيت والطاغوت على الأرض وفي الأرض مجالاً من مجالات
الفاعلية إلاّ وتمكّنوا منه وتمكّنوا فيه وبقوة لحساب الجيت والطاغوت وهذه أهم
وأخطر إمارات القيامة الصغرى بل هي إمارات كثيرة تشكل في مجموعها الآية
الأولى من الآيات العشر وهي المسيح الدجال.

الفصل الخامس

(5) سنة الله في استئصال الأمم الكافرة تصدق على نزول بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين في أحداث القيامة الصغرى

إن خلفاء الجبت والطاغوت إذا تمكنوا من خلفاء الرحمن تمكنوا تماماً يُتيح لهم استئصالهم من الأرض حتى تخلو لهم، فلن يتوانوا لحظة عن ذلك.

حدث هذا على مدار التاريخ فما من مرة تمكنوا فيها من المسلمين إلا عملوا فيهم بالإبادة والاستئصال بالذبح وأبشع أنواع القتل والتصفية الجسدية في شكل مذابح جماعية.

وهذا هو الحادث الآن في العالم كله ضد ضعفاء المسلمين الذين يشكلون أقليات في مجتمعاتهم، بل بدأت تجربة الذبح البشع بين مسلمين يشكلون أكثرية في مجتمعهم وهم أهل الجزائر، وأخرى في العراق بإثارة الفتن والقتال بين قوميات ومذاهب وطوائف مختلفة من المسلمين ويعدون مثلها لتقسيم أوطان إسلامية عربية عريقة في التوحد في شعب واحد من آلاف السنين مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرهم، استئصالاً للمسلمين وبخاصة الملتزمين بدينهم، واستئصالاً أيضاً لأوطانهم ودولهم وتفتيماً لشعوبهم وتقسيمهم إلى دويلات صغيرة لتتمكن إسرائيل من السيطرة عليها. وهذا كله من إمارات الساعة المباشرة.

إن نهاية الدنيا لا تكون إلا بعد أن تتحول البشرية كلها إلى الكفر التام والظلام المطبق والإلحاد الذي سيجعل فيه أهله معنى الألوهية وينسون لفظ الإله ويعيشون كالأنعام بل أضل، هذا حسب سنة الله تعالى في معاملة الخلق وبأمره وقدره عز وجل، وتلك هي القيامة التي يموت فيها كل حي أي القيامة الوسطى.

كذلك القيامة الصغرى لن تقوم ويحدث الهدم في الأرض إلا بعد أن يظهر خلفاء الجبت والطاغوت على خلفاء الله عز وجل، وبعد أن تختل موازين القوى بين الفريقين، وبعد أن يستفتح فريق الشيطان ويسعى لاستئصال المؤمنين استئصالاً تاماً شاملاً من الأرض.

وهو ما يخططون له الآن بل إنهم خططوا وانتهوا من التخطيط، وشرعوا في التنفيذ ونفذوا بعض مراحل الخطة، ويستعدون لمراحل قادمة، ومن هذا الإعداد توحيد أوروبا. ومحاولة إضعاف المسلمين بالقضاء على كل قوة أو دولة أو حكومة تحاول أن تجمع من القوة العسكرية ما يمكنها من الصمود. كما هو حادث الآن مع العراق المحاصر الصامد.

إن استطاعة أهل الاستكبار وعباد الطاغوت يعدون لكي يجلبوا على المسلمين بخيلهم ورجلهم بعد أن شاركهم الطاغوت في أموالهم، وأولادهم واعدن إياهم بالتنمية والرخاء والمدنية والتقدم.

لقد أخذت الأرض زخرفها وإزَّيْنَتْ وامتَلأت عمراناً وتخطيطاً وزراعة وصناعة وإضاءة ومواصلات واتصالات وإعلاماً وصارت مجتمعاً واحداً يحكمه خلفاء الشيطان. بحكومة واحدة ومؤسسات واحدة وأنذرهم الله تعالى بالعذاب النازل من السماء وبالعذاب من تحت أرجلهم، وجاءت الإنذارات من أهل الأديان ومن علماء الفلك يحدثونهم عن نيزك خطير الحجم قادم إلى الأرض، ومن علماء الجيولوجيا والزلازل عن زلزال رهيب مرتقب لعلهم يتوبون ويرجعون. وعلا اليهود بالإفساد في الأرض كلها وقال الله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (٦/ الإسراء) لكن لا أحد يستجيب للإنذارات ولا اليهود يلبون نداء السلام ولا يعطون الفلسطينيين بعض أرضهم. وأمريكا القوية تصوب أكثر من ١٥٠٠ صاروخ محملة بالرؤوس النووية للعالم الإسلامي، فتُغيّر وجهها من الاتحاد السوفيتي إلى البلاد الإسلامية لقد صار مكروهم لتزول منه الجبال وسيبطله الله عز وجل بقدرته في يوم من أيام مجده سبحانه. لقد زخرفوا الأرض وزينوا بلادهم ويستعدون الآن للنيزك القادم لإنقاذ الأرض من خطره وعمل الاحتياطات بدلا من التوبة والرجوع إلى خالقهم لكي يرحمهم ويمنع عنهم العذاب قبل نزوله ومجيئه ويؤخر عنهم عذاب القيامة إلى جيل آخر غيرهم لا يتوب، بدلا من ذلك فلإنهم مصرون على ما هم فيه من فاحشة وربما وتجبر وطغيان وذبح للمسلمين، أما النيزك القادم فهم قادرون حسب زعمهم وظنهم وسلوكهم على رده ودفعه عن الأرض من خلال المحطات الفضائية والصواريخ المحملة بالقنابل الهيدروجينية بقذفون بها النيزك في الفضاء الخارجي قبل دخوله المجال الجوي أو إقترابه من الأرض وقد أعلنت أمريكا في مارس ١٩٩٨ هذا وطلبت تعاون الدول الفضائية معها.

إذا استمروا على هذا الحال. ولم يستجيبوا للإنذارات الكتاب المقدس والقرآن والسنة وإنذارات العلماء، فسيأتيهم العذاب.

وسيكون آخر ابتلاء يبتليهم الله تعالى به هو النيزك الذى هو دعوة صريحة جلية من الله تعالى للتوبة، حتى يبعده الله تعالى القادر على كل شيء، والذى لا يتم شيء فى الكون إلا بمشيئته سبحانه، فإذا لم يتوبوا وتصدوا له بقصد تدميره معلنين لخالقهم وخالق الكون والشمس والقمر والأرض والسماء سبحانه وخالق كل شيء أنهم قادرون على حماية الأرض مما يأتى من السماء بأمره كان هذا الفعل إعلاناً منهم على استحقاقهم للعذاب وللاستئصال قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَّا هُمْ أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (/ ٢٤ / يونس). هذه هى القيامة الصغرى وتلك هى موجباتها تضخم الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة فى عصر علو خلفاء الحب والطاغوت المحاربين لله عز وجل، حتى ظنوا واهمين أنهم قادرون على دفع عذاب الله تعالى الذى سيبعثه عليهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.

إن مظاهر الاستطاعة الإنسانية العلمية التقنية عمت جميع مناحى الحياة البشرية فى مجالات القوى النفسية: سمعية وبصرية وعقلية ويدوية وانتقالية فى الأرض وفى أعماقها وسمائها بل وخارج سمائها أى سماء الدنيا وفى مجالات البناء كما فى مجالات الهدم وفى مجالات السلم كما فى مجالات الحرب. ولكن كل ذلك فى خدمة أهداف الحب والطاغوت وفى ظل خلافة الشيطان الظاهرة فى الأرض.

وهذا هو ما سنقرأه تفصيلاً باعتبار هذا كله من إشارات الساعة وأوائل القيامة الصغرى الدالة على قرب وقوعها فى القرآن الكريم والسنة. وهو ما أبلغه البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة بكتابه هذا، برجاء التوبة والعودة إلى الخالق جل وعلا.

ومن ثم سنعرض فى فصول لاحقة بإذن الله تعالى كل ما جاء فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة عن إشارات الساعة فى زمن العجائب وعصر علو خلفاء الشيطان بالإفساد فى الأرض باعتبار هذا كله مقدمات مباشرة لعذاب القيامة الصغرى وذلك قياماً بواجب البلاغ.

الفصل السادس

إخبار النبي ﷺ بكل ما سيحدث
بعده إلى قيام الساعة بما فى
ذلك التقنيات الصناعية المعاصرة

٦ - إخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية
للنبوة.

٧ - طوى الله تعالى الزمن لرسوله حتى رأى المستقبل إلى يوم
القيامة وبلغه للأمم.

٨ - أهم وأخطر موضوعات علم أشراف الساعة.

٩ - هل أخبر رسول الله ﷺ عن التقدم العلمى والتقنى والمخترعات
المعاصرة.

١٠ - هل تضمن القرآن الكريم ذكرا لإمارات الساعة وآياتها بما فى
ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة؟

(٦) الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة:

أُشتق لفظ النبي من النبوة لأنه يخبر بالغيبات التي ستأتي في المستقبل ومن بعده، ولذلك قُرئت النبىء أى الذى يتنبأ الغيب وأحداث المستقبل قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن ٢٦/٢٧] وعلى هذا فمن مهام النبي الرئيسية الإخبار بما سيحدث في مستقبل الأيام من أحداث وأحوال للبشر.

والإيمان باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس من أركان الإيمان إنما هو نبوءة من نبوءات الغيب التي جاء بها أنبياء الله تعالى بعامة ورسول الله خاتم النبيين صلى الله عليهم جميعا وسلم بخاصة.

وإبتداء اليوم الآخر لا يكون فى الآخرة، بل هو فى الدنيا كما صرح بهذا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وقد (سئل عن القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة؟ قال: صَدُرَ ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة)^(١) وبديل غلق باب التوبة بخروج الشمس من مغربها، وهو وقت احتضار البشرية، كما لا تقبل توبة المحتضر وهو حى لم يمت بعد ولم تَزَلْ قدماء من الدنيا لأنه يكون فى أول آخرته.

وقد نبأ الرسول ﷺ بكل ما سيحدث من بعده حتى يدخل أهل الجنة منازلهم ويدخل أهل النار دركاتهم.

(٧) طوى الله تعالى الزمن لرسوله ﷺ حتى رأى المستقبل إلى يوم القيامة وبلغه للأمة.

روى الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل قد رفع لى الدنيا، فأنا أنظر إليها، وإلى ما هوكائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفى هذه)^(٢) قوله ﷺ (كأنما انظر إلى كفى هذه) يفيد أنه كان ينظر فى

(١) لوامع الأنوار البهية للسفارينى حد ٢ ص ١٦٩.

(٢) عن اتحاد الجماعة حد ١ ص ١٢ وعزاه إلى الطبرانى.

صفحة مسطحة تتوالى فيها أحداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة، وأنه رأى الأحداث كأقرب ما يكون الرائي منا اليوم ناظرا في شاشة تليفزيونية، ومن ثم علمها علم مشاهدة، وليس علم استماع وتلقى بالألفاظ.

وهذا يعنى أن رسول الله ﷺ قصَّ علينا بتعبيره وبيانه البليغ ما رآه عيانا، فهو يصف ما شاهده.

والسؤال الآن: هل أنبا رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بكل ما شاهده أى بكل الأحداث المستقبلية إلى يوم القيامة، أم انبأهم ببعض ما شاهد، أو بأكثر ما شاهد، ومنع عنهم بعضه؟!

للإجابة على هذا السؤال أقول: مما نسب بسند صحيح إلى السيدة عائشة رضى الله عنها قولها (من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئا من الوحي فقد أعظم على الله الفرية) (١) لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة/ ٦٧] أى وإن كتمت شيئا فما بلغت، ومن ثم يلزم الاعتقاد بأن النبي ﷺ لم يكتم عن أمته كلمة ولا حرفا، ومن يجيز أنه كتم شيئا فقد افترى على النبي كذبا أنه لم يبلغ رسالته.

وبناء عليه فإن ما نظر إليه ﷺ من أحداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة لا بد أن يكون قد بلغه صحابته ونقله إليهم وصفاً ببيانه البليغ المعجز.

وهذا ما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو الذى خصه رسول الله ﷺ بما لم يعطه لغيره حتى قيل عنه انه سر رسول الله ﷺ فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: (أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة) (٢).

وهذا معنى صريح وواضح بأنه علم من النبي ﷺ كل الأحداث الكائنة إلى يوم

(١) سنن النسائي الكبرى حديث ١١٠٤٨

(٢) رواه مسلم/ ك الفتن/ ب اخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٠.

القيامة، ثم أنه كان يريد أن يستفسر ويستفصل منه عن خروج أهل المدينة من المدينة في آخر الزمان، حتى يتركوها مهجورة ليس فيها أحد، ولكنه نسي ولعله لم يفعل لسبب آخر.

والسؤال الذى يعرض نفسه علينا الآن هو:

هل خص رسول الله ﷺ حذيفة بما شاهده نتيجة النظر فى أيام الدنيا كما ينظر فى كفه؟.

لا : بل عمم عليه الصلاة والسلام البلاغ بهذا على صحابته بدليل قول حذيفة رضى الله عنه فيما رواه أبو داود الطيالسى (قال: قام فينا رسول الله ﷺ فآخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة) (١) ! وعنه رضى الله عنه قال: (لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة الا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه) (٢).

فنظراً لأن الخطبة طويلة جداً، تلك التى استوعبت جميع الأحداث إلى قيام الساعة ، فإن الذين استمعوا إليها حفظوا منها ونسوا، فإذا حدث الحدث الذى تضمنته الخطبة، تذكر ما نسيه كما ينسى الرجل وجه الرجل بعد افتراق طويل، فإذا رآه تذكره وعرفه. ورواية الإمام أحمد عن حذيفة أيضاً توضح هذا المعنى قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فما ترك شيئاً يكون بين يدي الساعة الا ذكره فى مقامه ذلك، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه) قال حذيفة : (فإنى أرى أشياء قد كنت نسيتهما فأعرفهما كما يعرف الرجل وجه الرجل قد كان غائباً عنه يراه فيعرفه) وهو يقصد من قوله «أشياء» أحداثاً وأحوالاً وأشخاصاً ووقائع ومواضع وأوقاتاً كلها نبأ بها رسول الله ﷺ فى هذه الخطبة الجامعة الشاملة.

والسؤال الذى يطرأ الآن على الخاطر هو: كم استغرقت من الوقت هذه الخطبة التى استوعبت أحداث الدنيا إلى يوم القيامة؟.

(١) رواه أبو داود.

(٢) صحيح البخارى / ك القدر / ب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ح/ ٦٣٦٣.

روى مسلم وأحمد رحمهما الله عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا)^(١). وهذا إضافة جديدة لما سبق من روايات وهي أنه أخبر في هذا المقام بما كان وبما سيكون ويؤكد هذا ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم)^(٢) أى أن موضوع هذه الخطبة في هذا المقام العظيم هو قصة الدنيا من أولها إلى آخرها.

فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بنهار ثم قام فينا خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه)^(٣).

وفي هذا بيان لقصر الزمن بين عصر رسول الله ﷺ وبين عصر الساعة، إذ يدل التعبير بالسؤال عن الذى بقي من الشمس على أنها كانت على وشك الغروب.

(٨) أهم وأخطر موضوعات علم أشراف الساعة:

والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن هو:

ما هي أهم وأخطر الأحداث التى ذكرها النبي ﷺ منذ عصره إلى يوم القيامة؟

إنها الفتن، لأن العلاقة بين ازدياد الفتن وشدتها وبين تقدم الزمان والقرب من الساعة علاقة مطردة. فكلما قرب الزمان من الساعة كلما اشتدت وإزدادت، وأيضا كلما كثرت الفتن واشتدت، دل هذا على القرب الشديد للساعة، حتى اقترنت الفتن

(١) رواه مسلم / ك الفتن وأشراف الساعة/ ب أخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٢.

(٢) رواه البخاري / ك بدء الخلق / ب ما جاء فى قول الله تعالى: 'وهو يبدأ الخلق ثم يعيده' / ح ٣٠٦٠.

(٣) رواه الترمذي / ك الفتن عن رسول الله ﷺ / ب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة /

بأشراط الساعة وأشراط الساعة بالفتن. وصنف العلماء فى هذا الموضوع تحت عنوان الفتن وأشراط الساعة، حتى يصعب الفصل بينهما، وأيضا صنفوا تحت عنوان الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لأن الملاحم العظيمة بين حزب الله وحزب الشيطان ستكون آخر الزمان. وهذه الملاحم مواقع عسكرية عظيمة بين أهل الإيمان حزب الله وبين جحافل الكفر حزب الشيطان وهى سلسلة من الملاحم تنتهى بالملحمة العظمى.

لقد روى حذيفة رضى الله عنه الكثير من أحاديث الفتن فقال: (ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه أو اسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك علمنيه رسول الله ﷺ قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء، انكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر وتسالونه عما كان وأسأله عما يكون^(١)).

وبناء على ذلك صار حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كأنه المتخصص فى مرويَات الفتن وأشراط الساعة، حتى إنه ليتحدث عن الفتن من بعد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى يوم القيامة فيقرر انه اعلم بها من علمه بالطرق التى يسير فيها فيقول رضى الله عنه: (ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى منى بكل فتنة هى كائنة ويناعقها وقائدها إلى يوم القيامة)^(٢). وروى عنه أيضا (والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى ولا إلى مصر من الأمصار بأعلم منى بما يكون من بعد عثمان بن عفان)^(٣).

والذى يمكن أن نستنبطه من حديث حذيفة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخبره بمعلومات عن الفتن التى يزيد اتباع كل فتنة منها عن ثلاثمائة فأكثر، فهو يعرف إسم قائد الفتنة، واسم أبيه ومحل سكنه، ولكنه لا يخبر اسمه الصريح الذى سماه به أبوه والذى يعرفه به أهل زمانه المعاصرين له، ولكن يذكر حذيفة رضى الله عنه أشباه

(١) رواه نعم بن حماد/ حديث رقم.

(٢) رواه نعيم بن حماد فى الفتن رقم: ٢٦

(٣) الفتن / نعيم ابن حماد/ حدأ حديث رقم: ٢٧.

وأوصاف وعلامات تدل عليه دون ذكر اسمه الحقيقي، فيمكن للعلماء أو الفقهاء المعاصرين لقائد الفتنة أن يستنبطوا مما يرد عنه في الأحاديث انه هو الذى ترمز إليه الآثار بكذا، ويؤكد لهم هذا ذكر سكنه وقبيلته، وربما الشخصيات الأخرى المتصارعة معه، كما أنه يعلم جميع قادة الفتنة الذين يزيد أتباعهم عن ثلاثمائة من بعد عثمان رضى الله عنه، إلى يوم القيامة، إلا أنه غير مصرح له بالتصريح باسمه الحقيقي ولكن فقط باشباه الأسماء وليس بأعيانها..

والخلاصة أن الرسول الكريم ﷺ ما ترك صحابته الا وقد أخبرهم بما سيكون إلى يوم القيامة فعن أبى ذر رضى الله عنه قال: (لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب فى السماء طائر الا ذكر لنا منه علما) (١).

وكما شهد هذان الصحابيَّان الجليلان بأن رسول ﷺ أخبرهم بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون من أحداث وتغيرات إلى يوم القيامة، فإن الذئب أيضا شهد له بذلك ﷺ أمام راعى الغنم اليهودى، فأسلم، فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: (جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى أترعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فأقعى واستدفر فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى.

فقال الرجل: تالله إن رأيتُ كالْيَوْمِ ذئبًا يتكلم!

قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء الرجل إلى النبى ﷺ... (٢).

فخلاصة هذا الفصل أن رسول الله ﷺ بلغ الصحابة رضوان الله عليهم بما كان وبما هو كائن، وبما سيكون إلى يوم القيامة، وتلقى التابعون عنهم هذا كله، الأمر الذى كَوَّن عند المحدثين فيما بعد قسما هاما ورئيسيا من أقسام علم الحديث صنفوه فى أبواب خاصة جعلوا لها عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم.

(١) رواه أحمد ورجال ثقات ح / ٢٠٩٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد / ح ٧٩٧٧.

(٩) هل أخبر رسول الله ﷺ عن التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة؟

ومن ثم يتحتم علينا الإجابة على سؤال هام يبرز لنا من خلال المعطيات الصحيحة السابقة وهو:

إذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر بكل ما سيكون إلى يوم القيامة ووقوع الساعة، فهل أخبر عن سمات الحضارة الصناعية التقنية الحديثة المعاصرة التى غيرت وجه الحياة باختراعات فى مجال وسائل السفر والانتقال ووسائل الاتصالات ووسائل البناء والتشييد ولى المعدات والآلات الزراعية والصناعية وفى الأجهزة البصرية والسمعية التى ملأت البيوت وصبغت الحياة اليومية للناس بصبغة خاصة مخالفة لما كانت عليه الحياة من قبل.

وكذلك تغيرت وسائل النقل البحرى والأساطيل والمعدات البحرية العسكرية وكذا المعدات والآلات والأسلحة الحربية.

لقد تغير كل شىء فى الحياة بالصناعة حتى أن الفرد العادى أو الطفل يفعل ويحصل على نتائج وأمور بالآلات والأجهزة والوسائل الحديثة ما لا يصدق عقل القدماء لو أخبروا بهذا أو ببعضه.

هل كان يتصور أحد القدماء مثلاً أن الإنسان يمكن أن يزيل جبلاً وينقله من مكانه إلى مكان بعيد؟ وهل كان يتصور أن الإنسان سيتمكن يوماً أن يشق داخل الجبل طريقاً إلى الناحية الأخرى منه، وهل كان يمكن أن يصدق أن الإنسان سيرقى فى السماء ويركب طبقاً عن طبق، حتى يعيش فى بيت خارج السماء الدنيا اسمه المحطة الفضائية. أو هل كان من الممكن أن يصدق أن الإنسان سبرى البعيد ويسمع البعيد فى أقصى الأرض وأنه سيفوض فى قاع المحيطات ويخرج؟ وهل وهل وهل؟!

فهل تضمنت السنة أخباراً عن هذا كله؟!

إذا قلنا لا؟ تضارب قولنا مع ما سبق أن قلناه من أحاديث صحيحة عن إخباره ﷺ بكل شيء حتى قيام الساعة. ومن ثم لا بد أن تكون الإجابة بنعم، وإنها كذلك.

بل إن رسول الله ﷺ ذكر هذا صريحا موضحا أن هذه الاختراعات جميعا إنما تأتي في عصر الدجال أى تسبقه فيما رواه أحمد عن سمره بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى، كأنها عين أبى تحي - لشيخ من الأنصار - وإنه متى خرج ، فانه يزعم أنه الله، فمن آمن وصدقّه وإتبعه فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يُعاقب بشيء من عمل سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحضر المؤمنين فى بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى أن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى يا مؤمن هذا كافر يستتر بى فتعال اقتله.

قال: ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم: هل كان نبيكم ﷺ ذكر لكم منها ذكرا؟، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على أثر ذلك القبض^(١).

فأنظر إلى السؤال الذى طرحه نبي الله ﷺ مخبرا أننا فى آخر الزمان عندما تحدث الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفسنا ستساءل: هل كان نبينا ﷺ ذكر لنا منها ذكرا؟ نعم ولا بد أن نقول نعم. وهى إجابة صحيحة وحق.

ولكن من أى نوع هى هذه الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفسنا؟ الإجابة: من قبيل إزالة الجبال عن مراسيها. إذن فهذه الأمور هى المخترعات المعاصرة التى وسّع الإنسان بها دائرة استطاعته فى جميع مجالات وأنشطة الحياة حتى

(١) رواه أحمد عن سمره والحاكم فى المستدرک وصحّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وكذا رواه أبو يعلى وأبى خزيمة والطبرانى وعند أحمد برقم: ١٩٧٢٢.

النشاط الفكرى اخترع له حاسبات تحسب فى الثانية ما يحسبه آلاف الرجال فى زمن طويل، وربط عليه الصلاة والسلام هذا العصر الصناعى التقنى بزمن خروج الدجال بعد أن يسبقه تسعة وعشرون دجالاً من جنسه النجس.

تلك جميعها هى الإمارات التى تسبق الآيات، ولقد سماها رسول الله ﷺ أمارات فى حديث الذئب الذى جاء فى آخره (... فجاء إلى النبى ﷺ ثم قال النبى ﷺ «إنها أماراة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده»^(١) وسنعلم بعد أن نعلاه وسوطه إشارة إلى التليفون السلكى الذى هو قطعتان وسلك أحدى القطعتين أشبه بالسوط وهى التى يتحدث فيها المتحدث. وأن السوط هو التليفون السلكى، والنعلين هما التليفون المحمول. والشاهد من بقية حديث الذئب أن الرسول ﷺ أطلق على هذه المخترعات الصناعية أماراة لأن لفظ أماراة فيه معنى العجب.

فالامارات والأعلام فى زمن واحد، إلا أن الإمارة تمتاز بأنها من العجائب وبالأخصائص التى سبق أن ذكرناها قبل، لكنها جميعاً أى الامارات والأعلام إرهابات لعصر الآيات العشر التى هى، أى الآيات، إرهابات لوقوع الساعة وكل ذلك عصر واحد هو بدء اليوم الآخر بدليل قوله فى آخر الحديث (ثم على أثر ذلك القبض) إشارة إلى الزلزال العظيم أى القيامة الصغرى الذى هو الموت بما فيه.

وفى الأبواب والفصول التالية سنعرض للامارات بأنواعها تلك التى تعيشها البشرية: أحوالاً وأحداثاً كما جاءت أخبارها فى الكتاب والسنة سابقة لحدوثها بقرون عديدة لتجزم لنا ببداية اليوم الآخر والقرب الشديد لوقوع العذاب وقيام القيامة ورجفة الأرض أو زلزال الأرض العظيم والخسوف العظيمة المصاحبة له.

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

الفصل السابع

أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(١٠) هل تضمن القرآن الكريم ذكراً لأمارات الساعة وآياتها بما فى

ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة؟

علمنا مما سبق أن القرآن الكريم متضمن لأنباء السابقين وأخبار اللاحقين (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم).

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد سكت عن كثير من آيات القرآن الكريم ولم يفسرها، وفى نفس الوقت نهى الصحابة عن سؤاله عن الذى سكت عنه. والحكمة من ذلك واضحة: وهى أنه يعلم تأويل هذه الآيات ولكنه يعلم أيضاً أن إخباره بتأويلها للصحابة والأجيال التى بعدهم يكون فتنه لهم، لأن عقولهم لا تستوعب أو تتصور حقيقة ما تتحدث عنه هذه الآيات.

والدليل على هذا الذى نقرره ما رواه نعيم بسنده [عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم﴾ (١٥٠ / المائدة)]. قال: لم يجرى تأويل هذه بعد، ثم قال عبد الله: إن الله أنزل القرآن حيث أنزله. فمضى أى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل، ومنه أى قد وقع تأويلهن على عهد النبى ﷺ، ومنه أى قد وقع تأويلهن بعد النبى ﷺ بقليل، ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه أى يقع تأويلهن يوم الحساب وذلك ما ذكر من الحساب والجنة والنار^(١) والتأويل يعنى التحقيق فما كان من الآى اللاتى تخص أحداث زماننا وتحقق فيه فنحن أهل زمان هذه الأحداث أقدر على فهمها من السابقين.

(١) نعيم بن حماد/ الفتن حديث رقم ٣٨.

يدل على هذا قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا...﴾ [الأنعام/ ٦٥] أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد^(١)، وهو ما ينطبق فيما ينطبق على القذائف الصاروخية وقذائف القنابل التي تلقيها الطائرات وأيضا اللغام التي تنفجر تحت الأقدام. ومثل هذا لا يستوعب حقيقته السابقون، ومن ثم لم يخبرهم رسول الله ﷺ بحقيقة تأويلها لهذه الحكمة، وإغا أنباهم بأن تأويلها سيأتي بعد، ولا يمنع هذا أن تصدق الآية على النيازك والزلازل والخسوف أيضاً ويكون هذا التطبيق للآية أو هذا الحدث الذي ينطبق عليه هذا التأويل لم يأت بعد.

والشاهد من هذا في موضوعنا أن كثيراً من دلالات الآيات تنطبق على أحداث سيأتي تأويلها بعد، وأكثر ذلك في الآيات الخاصة بمشاهد الساعة وأشراتها وأماراتها وعلاماتها وآياتها، وقد سكّ رسول الله ﷺ عن تفسير كثير من هذه الآيات وبخاصة التي تتحدث عن المخترعات الحديثة، التي يتفاقم شأنها في نفوس معاصريها، ولم يكن من السهل على السابقين تصور حدوثها، بل وتصديق حدوثها، لأنه إذا كان بعض الذين أسلموا قبل الاسراء قد إرتدوا لما سمعوا أن الله تعالى قد اسرى برسوله ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عاد في نفس الليلة لأنهم كانوا يقطعون هذه المسافة ذهاباً وإياباً في يلبهم، فماذا يكون حال امثال هؤلاء وغيرهم من عامة المسلمين، لو علموا أن الانسان سيتمكن بنفسه من قطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً في أقل من ليلة؟ ليس بالبراق الذي أتى به جبريل عليه السلام، ولكن بشئ يصنعه الانسان، ويملكه ويحكم فيه ويتنقل به متى شاء؟

أفليس في هذا فتنة عظيمة لهم؟ قصيد الشرع الحكيم أن يعيدهم عنها؟! فسكت عن كثير مما تتضمنه آيات الاشراف والامارات.

يدل على هذا ما رواه المحدثون في تفسير قسم الله تعالى بالذاريات في قوله تعالى:

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص، والترمذي وحسنه، ونعيم في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه وأورده السيوطي في الدر المنثور/ ٣/ ١٩.

﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا ۝٢ فَالْجَارِيَّاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (١-٦-الذاريات).

قال السيوطي في الدر المنثور (أخرج البزار والدارقطني في الأفراد وابن مردويه وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: أخبرني عن الذاريات ذروا؟

قال: هي الرياح، ولولا أنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ماقلته.

قال: فأخبرني عن الحاملات وقرا؟

قال: هي السحاب، ولولا أنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ماقلته.

قال: فأخبرني عن الجاريات يسرا؟

قال: هي السفن، ولولا أنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ماقلته.

قال: فأخبرني عن المقسمات أمراً؟

قال: هي الملائكة، ولولا أنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ماقلته.

ثم أمر به فضرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعاه وضرب مائة أخرى، ثم حمل على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى، فحلف له بالإيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر ما إخاله إلا قد صدق فحلّ بينه وبين مجالسة الناس (١).

والسؤال الذي يفرض نفسه على من يقرأ هذه الرواية هو:

لماذا جلده عمر رضي الله عنه، ومنعه من مخالطة الناس حتى أقسم أنه ما يجد في نفسه مما كان يجد؟ توضح لنا الرواية التالية عن نفس الحدث الإجابة عليه:

قال السيوطي في الدر المنثور (وأخرج الفريابي عن الحسن قال سأل صبيغ التميمي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن الذاريات ذروا، وعن المرسلات عرفا، وعن

(١) السيوطي/ الدر المنثور/ ٦/ ١٢٣.

النازعات غرقا فقال عمر رضى الله عنه: اكشف رأسك فإذا له ضفيران، فقال: والله لو وجدتكم مخلوقا لضربت عنقك، ثم كتب إلى أبى موسى الأشعرى أن لا يجالسهم مسلم ولا يكلمهم^(١).

إذن لم يعاقبه عمر رضى الله عنه لأنه سأل عن الذاريات لأنه أجابه عنها بما سمعه من رسول الله ﷺ، وإنما عاقبه ومنع مخالطته والحديث معه، لأنه سأل أيضا عن «المرسلات والنازعات» فما بال «المرسلات والنازعات»؟ هذه لم يرد فيها تفسير عن رسول الله ﷺ أى هي مما سكت عنها، بخلاف «الذاريات».

كذلك قول عمر رضى الله عنه وهو يجيبه عن كل آية فى الذاريات «ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلت» مقصود منه رضى الله عنه بيانا لمنهج تأويل هذه الآيات التى هى قسم من الله عز وجل على مقسوم هو من مشاهد القيامة وأحداث آخر الزمان وأمارات الساعة، وكأنه يوضح رضى الله عنه أن ماسكت عنه النبى لا نسأل عنه، لأنه من خبر من بعدهم، ومن ثم لم يأت تأويلها بعد، فإذا أتى كان الحدث أو الأحداث هو التفسير الصحيح والتأويل المطابق للآيات، ومن ثم لا يعلم تأويلها الصحيح من الناس إلا أهل زمانها.

يؤكد هذا معلق به ابن كثير على الرواية السابقة بقوله: (.. وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضى الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من امره تعنتا وعنادا والله أعلم).

أما المقسم عليه فهو وقوع المعاد كما قال ابن كثير رحمه الله (إنما توعدون لصديق وأن الدين لواقع) قلت والله تعالى أعلم أن المقسم عليه هو العذاب أو الزلزال الذى يسبق الساعة والبعث لأن هذا كله مما أوعده الله تعالى به الإنسان، فلم تقصره على المعاد كما قال ابن كثير. ١٩ فالأولى أن يشمل كل ما أوعده الله تعالى به فى القرآن الكريم وخطره الزلزال والحسوف وكل ما جاء عن مشاهدهما فى القرآن الكريم

(١) نفس المصدر والصفحة.

والسنة ثم المعاد للحساب فتأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أى العذاب أو القيامة الصغرى وقوله: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ القيامة الكبرى.

والشاهد من هذا كله لموضوعنا هو أن قسم الله عز وجل «بالمرسلات» «والنازعات» «والطور» وأمور كثيرة أخرى هو مما يأتى تأويله فى آخر الزمان وعندما يأتى تأويله ويحدث فإن البشرية تكون بين يدى الساعة وأن هذه جميعا من أماراتها بالمعنى الإصطلاحي الذى ذكرناه لامارات الساعة من قبل وهذا مااستحقق منه فى الفصول التالية بإذن الله تعالى وتوفيقه.

الباب الثانى

رؤية القيامة رأى العين

الفصل الأول : عَصْرُ مُسِرَّاتِ يوم القيامة المتفакمات.

الفصل الثانى : المُسِرَّاتُ المتفакمات الإثنى عشر فى سورة التكويد

الفصل الثالث : الأقمار الصناعية قمة المُسِرَّاتُ المتفакمات فى

القرآن الكريم

الفصل الرابع : القسم بامارات حضارية فى سورة الطور على

وقوع العذاب

الفصل الأول

عَصْرُ مُسَرَّاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُتَّفَاقِمَاتِ

- ١١ - عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها.
- ١٢ - مسرات يوم القيامة في ثلاث سور قرآنية.

(١١) عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها:

بناء على ما سبق، نثبت حقيقة هامة من حقائق الوحي الخاتم: وهى أن النبى ﷺ لم يترك شيئاً سيحدث منذ عهده إلى يوم القيامة إلا وقد أخبر به. وكذلك أخبر القرآن الكريم بكل ما سيحدث من بعد نزوله إلى يوم القيامة بدليل قول النبى ﷺ عن كتاب الله تعالى: ﴿... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم...﴾ وما بعد الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذا الحديث هو كل ما سيأتى إلى يوم القيامة وأحداث يوم القيامة إلى أن يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار دركاتهم. وهذا يوافق المعلوم بالضرورة عن السنة بأنها تفصيل وتفسير لما فى القرآن الكريم.

والسؤال الذى يفرضه سياق الموضوع علينا الآن هو:

إذا كان، الأمر كذلك، وهو كذلك حقاً، فهل من المعقول ألا يتضمن الوحي الخاتم: كتاباً وسنة، أخباراً عن التقدم العلمى والتقنى والصناعى الذى تعيشه البشرية فى العصر الراهن تفصيلاً وليس إجمالاً، وتصريحاً وليس تلميحاً؟ هل يمكن أن نتصور إكتفاء الوحي بذكر هذا كله إجمالاً وتلميحاً وإغفال ذكره تفصيلاً وتصريحاً؟

الإجابة : لا يمكن أن نتصور هذا الاغفال ولا يجوز تصوّره، ولا شك أن هذا التقدم العلمى والتقنى الصناعى مذكور تفصيلاً فى الكتاب والسنة ولا يقدح فى هذه الإجابة الصحيحة غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين، وكذلك العلماء الذين تعرّضوا لتفسير القرآن الكريم أو شرحوا السنة الشريفة عن هذه الحقيقة رغم مرور أكثر من قرن من الزمان على بدء التقدم الصناعى والتقنى وظهور وانتشار المخترعات الحديثة، وما هذه الغفلة إلا لأنهم غالباً ما تمسكوا بتفسيرات القدماء وهنا يبرز إلى الذهن اعتراض يقول: إذا كانت أخبار المخترعات الحديثة والمعاصرة وعجائب زماننا التقنية مذكورة صراحة وتفصيلاً فى القرآن الكريم

(١) سبق تخريجه.

(١) سنن النسائى الكبرى حديث ١١٠٤٨

والسنة، فلم لم ينتبه إليها المفسرون الأولون، ولم لم يتحدثوا عنها، ولم يعلموا ما نعلمه نحن، ولم يذكروها تفصيلاً وصراحة، حسب ما نزعم بأنها موجودة في نصوص الوحي؟!

والإجابة على هذا الاعتراض الوجيه هي أن النصوص المتحدثة والمخبرة بأحوال عصرنا التقنى الصناعى مُصَاغَةٌ فى غاية الحكمة وفى بلاغة معجزة، فهى مع دلالتها الصريحة والمُفَصِّلَةُ على أى إختراع من إختراعات العصر، فإنها تأتى مصاغة بحيث يمكن تفسيرها أو تأويلها على أمر أو شيء آخر مما يفهمه السابقون الأولون، وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الكون كله والمسلمون يتعبدون فى صلاتهم وتلاوتهم به، فلا بد أن تكون آياته مفهومة لكل المسلمين على مر العصور منذ نزوله إلى يوم القيامة، فالآيات، التى يأتى تأويلها فى آخر الزمان لابد أن تكون مصاغة بكيفية بلاغية معجزة بحيث تحتل المعنيين: الأول الذى يصلح معنى ومفهوما ودلالة مقنعة للأولين، ثم الثانى وهو الذى يتطابق على أحداث الساعة أو على حال أهل آخر الزمان، ويكون فى نفس الوقت التفسيران صحيحين وموافقين للآية، حسب مقتضيات اللغة وألفاظها، وهذا هو ما نجده فى كثير من الآيات أو السور التى تتحدث عن أحوال وأحداث يوم القيامة. ومن ثم ونظراً لأن هذه الآيات تحمل مدلولات مقنعة حسب منطوق اللغة لأهل كل زمان، وجدنا المفسرين فى كل عصر يكتبون فى تفسير أى الذكر الحكيم ما هو متوافق مع عصرهم وثقافتهم وعلومهم، حتى إذا تحقق المدلول المطابق تماماً للآية فى عصر يوم القيامة الذى نتحدث عنه كان هو - وبمقتضى اللغة - التأويل الدقيق لها ولا يتعارض أو يختلف فى نفس الوقت مع التأويلات السابقة لأنها جميعاً متوافقة مع الدلالة اللغوية للآية، وهذا يعنى أن آيات أحداث الساعة وإماراتها أو أشراطها حمالةٌ أوجه أى أن صياغتها وأسلوبها يصلح لأن يفسر على أكثر من وجه وكلها مطابقة للغة. ذلك أنه لا يجوز لمفسر ومسلم أن يفسر أو يؤول آية من كتاب الله تعالى برأيه، والمأثور عن الصديق الأول فى الأمة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه قوله: «أى أرض تقلنى وأى سماء

تظننى لو قلت فى كتاب الله برأىي؟» وهذا مما لا يختلف عليه أهل السنة والجماعة فى التفسير، والذى يحكم هذا الجُنوح بالرأى فى التأويل ويمنعه عن المفسر هو التزامه بالدلالة اللغوية المحضة للآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [٢/ يوسف] فيجب أن يكون التأويل مطابقاً مطابقة تامة دقيقة مع المدلول اللغوى للآيات، وهذا هو العاصم من القول فى القرآن الكريم بالرأى، لأن القول بالرأى غالباً ما يكون نابعاً من الهوى، ومن ثم يكون هذا تحريف لمعانى الكتاب نَعُوذُ بالله تعالى من ذلك، ونسأله العصمة منه. ومنهجى فى تفسير آيات اليوم الآخر وأحوال وأحداث يوم القيامة هو التزام المدلول اللغوى بدقة، فإذا تطابق هذا المدلول للآية على حال من أحوال العصر الذى نعيشه أو على صناعة من الصناعات أو اختراع من الإختراعات، فإن هذا التأويل يكون صحيحاً بإذن الله تعالى، بل يكون أقوى فى الصحة من غيره إذا خالفه، لماذا؟ لأن الآية تتحدث عن أحوال يوم القيامة، وهذا الحال موجود فى زماننا المعاصر ولم يوجد بهذا التطابق من قبل ومن ثم فإن التفسير يكون صحيحاً باعتبار أن آيات أشراط الساعة تتحدث عما سيكون دائماً، فإذا تحقق هذا الذى تذكر الآية أنه سيكون دل هذا على صحة التفسير، ودل على أن البشرية تعيش يوم القيامة أو إرهاباته ومقدماته التى هى علاماته وأماراته، علاوة على إثبات صدق النبوة وأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ. وليس لمعترض بعد ذلك أن يعترض على أى تأويل من هذه التأويلات ما دام المدلول اللغوى الدقيق يتطابق بدقة على الحال العصرى أو الاختراع العصرى بحجة أن السابقين الأولين لم يفسروا الآية بهذا التفسير الجديد لأن الآيات التى تحمل خبر الذين بعد الصحابة والذين هم أهل آخر الزمان والتى أخبر عنها النبي ﷺ أنه لم يأت تأويلها بعد، والتى عنها عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بقوله (ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه أى يقع تأويلهن يوم الحساب)^(١) هذه الآيات لابد أن يكون تفسيرها عندما يأتى تأويلها جديداً ومُغَايِراً تماماً لتأويلات السابقين لها، وهذا يبطل هذا الاعتراض.

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن رقم ٣٨.

ولم يبق إلا أن يعترض معترض على ما سأذكره من تأويلات جديدة، ليس لأنها من قبيل الرأي أو لمخالفتها لقواعد التفسير أو لمخالفتها للسابقين الأولين من المفسرين، وإنما فقط يكون اعتراضه لمجرد أن قائلها هو العبد الفقير إلى الله عز وجل وليس غيره، ممن يكبرون في عين هذا المعترض، والرد على أمثال هذا المعترض أن الفضل لله يؤتية من يشاء، وله الفضل والمنة سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا إياه عز وجل.

ومن ثم نقول أنه لا يقدر فيما ستقرأه أخى المسلم من تأويلات جديدة للآيات التى تتحدث عن أحوال يوم القيامة وأماراته، أقول لا يقدر فيها أن السابقين الأولين لم يقولوها لأنهم ليسوا أهل زمانها كذلك لا يقدر فيها غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين عنها، وقلة النتائج المرصودة فى هذا المجال.

والحقيقة أنهم ما غفلوا عن مطابقة ما فى القرآن الكريم والسنة من أخبار الساعة مع أحوال عصرنا ومخترعاته وصناعاته واكتشافاته إلا لأنهم غالباً ما تمسكوا فى تفسيرهم وشروحهم بما جاء عن المفسرين والشارحين القدماء، فجمدوا عليها وفهموا العلم على أنه مجرد النقل من القديم. فنقلوا تأويلات السابقين الأولين من العلماء الذين لم يشاهدوا ولم يعيشوا ما نشاهده وما نعيشه نحن من تأويلات لكثير من نصوص الوحى المتحققة فى مخترعات وأحداث وأحوال عصرنا الراهن، الأمر الذى يفيد جزماً بأنه لن يعلم هذه التأويلات إلا معاصرون لهذه الأحداث والأحوال.

بل إن العجيب أنه لا يلتفت أحد إلى ما كتبه رائد علم أشراف الساعة بمنهج المطابقة الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله، كما ذكرت من قبل، ولم يتفجع بمنهجه أحد، وإن كان ما كتبه قليل محدود رحمه الله إلا أنه خط المنهج وفتح الباب.

فالإجابة اليقينية هي: نعم، أخبر الصادق المصدوق فى السنة بكل ما تعيشه البشرية الآن من عجائب تقنية وصناعية وإلكترونية، كما جاء عن أكثرها آيات فى كتاب الله الحكيم، وكل هذا سنقرأ مطابقتها فى ثنايا وفصول هذا الجزء، بعضه مأخوذ عن كتاب

الشيخ محمد بن صديق الغماري رحمه الله «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»، وهو الذي أخذ منه الآخذون ونسبوه إلى أنفسهم من غير الإشارة إلى كتابه، وأما أكثره فهو مما فتح الله تعالى به عليّ في هذا المجال، ومما نبه إليه الشيخ الغماري رحمه الله في صدر كتابه هو الإجابة على السؤال المذكور آنفاً والمتمثلة في أحاديث للمصطفى ﷺ صرح فيها بما ستره الأمة بين يدي الساعة من الأمور العظيمة التي يتفاقم شأنها في أنفسنا حتى أنه سيكون من المسلمين من يتساءل: هل أخبر نبينا ﷺ بهذه الأمور العجيبة والمخترعات الخطيرة في حياة الناس؟!

فتكون الإجابة نعم حدّث ﷺ بكل هذا، بل وأخبر عن أثرها في نفوس الناس، بل وأخبر عن تساؤل المسلمين آنف الذكر... فهو خبر مفصل صريح، فقال فيما رواه الإمام أحمد (عن سمرة بن جندب رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال، مسح العين اليسرى، كأنها عين أبي نجي - لشيخ من الأنصار - وإنه منى خرج، فإنه يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدق به واتبعه، فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه؛ فليس يعاقب بشيء من عمله سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها؛ إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالاً شديداً، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده، حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي: يا مؤمن! هذا كافر يستتر بي؛ فتعال اقتله». قال: «ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في أنفسكم وتسالون بدنكم: هل كان نبيكم ﷺ ذكر لكم منها ذكراً، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على إثر ذلك القبض»^(١).

وشاهدنا في هذا الحديث قوله ﷺ: «ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في أنفسكم» أي أن أحداث خروج الدجال ونزول المسيح بن مريم عليها وعلى نبينا الصلاة والسلام الواردة في الحديث لن تكون إلا بعد أن تحدث أمور يتفاقم شأنها في أنفس المسلمين.

(١) رواه الإمام أحمد عن سمرة بن جندب رضى الله عنه، والحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه ورواه ابن حبان في صحيحه. ورقعه في المسند. ١٩٧٢٢.

فما هي هذه الأمور؟ أو على الأقل من أى نوع هي هذه الأمور؟

للإجابة على هذا السؤال يجب علينا أن نعرف أولاً معنى تفاقمها فى أنفسنا.

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (الفاء والقاف والميم أصل صحيح يدل على إعوجاج وقلة استقامة من ذلك الأمر الأفقم وهو الأعوج والفقم أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا، وهذا هو أصل الباب) ثم قال: (وزعم أبو بكر أن الفقم الامتلاء يقال: أصاب من الماء حتى فقم هو أصل الباب، فإن كان هذا صحيحاً فهو أيضاً قياسه) وجاء فى مختار الصحاح (تفاقم الأمر: عظم) وهو تابع لهذا الأصل الأخير.

فالكلمة إذن تشتمل حسب أصلها على عنصرين هامين وهما الأعوجاج والتعاضم، وحيث أن الأعوجاج فى حياة البشر لا يكون إلا فى الجوانب السلوكية، فإن هذه الأمور المتفاقمة فى الأحوال الاجتماعية والدينية والخلقية والسياسية والاقتصادية لا معنى لها إلا الفساد، وفى هذا إشارة إلى إفساد اليهود الكبرى السابقة للخروج العلنى للدجال بزعامته.

أما إذا كانت الأمور المتفاقمة بمعنى المتعاضمة فى نفوس المسلمين بخاصة والناس بعامة فهى أمور تكبر وتتعاظم فى النفوس يوماً بعد يوم خلال هذا العصر الذى يسبق خروج الدجال العلنى ونزول المسيح عليه السلام. ولتعاضم هذه الأمور المتزايد يتردد بين المسلمين سؤال يقول: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً؟ والإجابة: نعم.

فالسؤال إذن عن المخترعات الحديثة والمعاصرة، وهى أمور تتفاقم فى ذاتها يوماً بعد يوم بتطوير الاختراعات، ثم إنها تتعاظم فى نفوس الناس إعجاباً وتعجباً و؟؟ وسروراً ومتعة ورفاهية وترقاً وفتنة بها يوماً بعد يوم بعد تعاضمها يوماً بعد يوم.

والذى يدعو المسلمين إلى أن يتساءلوا هذا السؤال هو أنه ليس من المعقول أن يخبر النبى ﷺ بأمور جزئية وأحداث فردية ذات أثر بسيط فى حياة الأمة، والأمثلة على هذا كثيرة فى السنة، ثم هو ﷺ لا يخبر بهذه الأمور ذات الأثر الخطير فى حياة البشرية بعامة والأمة الإسلامية بخاصة.

ولكن الأمور المتفاقمة فى النفوس قد تكون من قبيل السلوكيات الخلقية فقط، ولا تشمل الاختراعات والصناعات التقنية، فما الدليل على اشتغالها على هذه الأخيرة؟
الدليل هو الفقرة الأخيرة من الحديث الشريف إذا ضرب رسول الله ﷺ لنا مثلاً من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة أى المتعاطمة ليوضح لنا من أى نوع من هذه الأنواع هذه الأمور.

وهذا المثل الذى ضربه لنا ﷺ هو علامة أو إمارة من إمارات التقدم المذهل الهائل فى تقنيات الهدم والتشييد والبناء ومعدات النقل والرفع فقال: (وحتى تزول جبال عن مراسيها) أى أنكم أيها البشر أو أيها المسلمون ستتمكنون من كل شيء تحتاجون إلى فعله حتى من إزالة الجبال عن مراسيها بنسفها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسْفَ﴾ (/ ١٠ المراسلات) ثم حملها والسير بها أشلاء محترقة أحجاراً مختلفة الأحجام إلى حيث تلقونها بعيداً فى الخلاء. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (/ ٣ / التكوير).

صحيح أن رسول الله ﷺ لم ينسب إزالة الجبال عن مراسيها أى قواعدها للإنسان كما ذكرت، ولكن الواقع المعاصر يجزم بأن هذا قد تم بفعل الناس اليوم، وهو ﷺ لم ينسب إزالتها للإنسان لحكمة عظيمة ليست خافية وهى منع فتنة الصحابة إذ سيصعب عليهم تصور تمكن الإنسان من هذا وأمثاله وهو نفس منهج القرآن الكريم فى ذكر هذه الأحداث وأمثالها حيث يذكرها مبنية للمجهول قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسْفَ﴾ (/ ١٠ المراسلات) وقال تعالى أيضاً ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (/ ٣ / التكوير).

ثم قال رسول الله ﷺ بعد ذلك فى نهاية الحديث (وعلى أثر ذلك القبض) أى أحداث القيامة الصغرى بنفخة الفزع ونزول العذاب، وقد تم الآن إزالة الكثير من جبال مكة عن مراسيها ومد الطرق وإقامة النباتات الشاهقة محلها وكذلك بعج بطونها وشق الانفاق أو الانقَاب بدخلها بإعداد هائلة تعد بالعشرات فإذا كانت إزالة الجبال عن قواعدها مثلاً من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة فى النفوس، فإن هذه الأمور ليست سوى المخترعات والصناعات والمعدات والوسائل والأجهزة والاختراعات المحققة لمسرات العشرية ورفاهيتها وزينتها وزخرفها التى هى المرحلة

الأولى من مرحلتى القيامة الصغرى التى يعقبها بالضرورة المرحلة الثانية فيها وهى ما ورد الخبر عنها فى نهاية الحديث بتعبير (القبض) أى الموت وهو العذاب النازل بنفخة القرع وما يتبعها من الزلزال العظيم والخسوف وموت أكثر الناس وغير ذلك مما سبق ذكره مفصلاً فى الجزء الأول.

إن أحوال وأخلاق ونظم وأحداث زمن العجائب الذى تعيشه البشرية الآن كلها تتفاقم أى تتعوج وتفسد وتزداد يوماً بعد يوم، وكذلك تقنيات وصناعات والكترونيات هذا الزمن تتفاقم ، أى تتعاضد يوماً بعد يوم. لذلك يصح منا الاستنباط بأن الحديث يتناول كل ما يتفاقم فى أنفسنا حتى الشر الذى يزداد والظلم وإراقة دماء المسلمين فى مذابح لا ينتهون من إحداها حتى يبدأوا فى الأخرى. كما أنهم يزدادون فى اختراعاتهم كمأ وكيفاً خيراً وشرّاً ودماراً شاملاً ومحدوداً هذا كله جعل الناس يتساءلون هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً؟ هل يوجد فى أحاديث النبي ﷺ ما يتناول هذه الأحوال وهذه الأشياء التقنية؟ نعم ذكر لنا نبينا منها ذكراً ﷺ.

والرواية الأخرى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (سَتْرُونَ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ أَشْيَاءَ سَتَكْرُونَهَا عَظَامًا، تَقُولُونَ: هَلْ كُنَّا حَدَّثْنَا بِهِذَا؟! فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا أَوَائِلُ السَّاعَةِ)^(١).

وهذا الحديث ضعيف ولكن الحديث الأول يُقَوِّيه وهو يميّز عن الأول بأن الذى يَعْظُمُ فى نفوسنا فى الحديث الأول سنستكره هنا واسمها أمور فى الأول وأشياء فى الثانى والنص فى الثانى على أن هذه الأشياء دليل أن الدنيا فى أوائل الساعة أى إماراتها الدالة على قرب حدوث آياتها التى هى بعينها دلالة واضحة على قرب وقوعها.

ومن ثم فالحديثان يتناولان فى المقام الأول المجال الصناعى التقنى فى عصر العجائب الذى تعيشه البشرية الآن ومنذ عشرات السنين مع بدء التقدم الصناعى والتقنى فى جميع مجالات الحياة.

وهما دلالة واضحة صريحة دامغة بالغة على أن القيامة الصغرى على الأبواب.

(١) رواة الطبرانى والبيهقى وسنده ضعيف ولكن حديث الإمام أحمد رحمه الله صحيح وهو يقوى هذا الحديث لانفاقهما فى المعنى.

الأول: هو ما جاء وصفه فى الآية بزخرفة الأرض وزينتها والقوة الباطشة الغرورة.

الثاني: هو مجيء أمر الله عز وجل بالعذاب الذى يُحيل كل هذا الزخرف والزينة والقوة الباطشة إلى حصيد فى يوم واحد أو فى ساعات حتى يكون كل ما تحقق من بناء وتعمير وزخرف وزينة وقوة فى اليوم الذى يلى يوم العذاب كأن لم يكن، ويدل على أن الآية تتحدث عن القيامة الصغرى التى تُتم بنفخة الفزع بخلاف نفخة الصعق التى لا يأتى على البشر بعدها غد ولا مستقبل، ولن يوجد آدمى أو جنى أو كائن حى نشرق عليه الشمس فلا يكون للدنيا غد وكذلك بالنسبة لنفخة البعث يقومون للحساب لا يتحدثون عن الدنيا وعن الزمان كله إلا باعتباره كان عشر أيام أو يوما أو قليلاً فأول يوم القيامة سرور وبهجة ومتاع وترف ورفاهية للناس أو لأكثرهم وبخاصة للأشرار المفسدين منهم.

وآخره دمار فى الأرض كلها، وعذاب فى الأرض، وبخاصة لأشرارها وأكابر مجرميها.

ولا شك أن من يقرأ أو يسمع عن مسرات ومباهج ومتاع وترف ورفاهية يوم القيامة يُصيبه الدهشة، لأن كل ما يعلمه المسلمون عنه، هو أنه يوم العذاب والدمار والهدم والموت، لكن هذه هى الحقيقة الغائبة التى يجب على كل مسلم أن يعلمها، وهى أن ليوم القيامة مسرات ومباهج وزخرفا وزينة، ويصاحب هذا كله القوة الباطشة الغاشمة والكيد العظيم فى عهد الجبابرة الظلمة. وليس هذا بمقتضى ما دلت عليه آية سورة يونس فحسب، بل وبمقتضى الحديث الشريف الذى رواه أحمد والترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انفطرت وإذا السماء إنشقت﴾ فإذا تأملنا قوله ﷺ: (من سره) تأكيد لنا أن أحداث يوم القيامة أمور تنتمى إلى المسرات والمبهجات والمتعات والزينة والزخرف، وإلا لَمَا قال عليه الصلاة والسلام: أن رؤيتها أمر يسر الناظر إليها

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ج٦ ص٣٥٤.

رأى العين وهذا المعنى يتوافق مع الزينة والزخرف والقوة فى آية سورة يونس، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الحديث يدل دلالة صريحة على أن ما تتضمنه آيات سورة التكويس والإنفطار والإنشقاق من أحداث ليوم القيامة هى فى المقام الأول أو غالباً أمورٌ مُيسرةٌ مبهجة من أحوال وأحداث وأشكال وألوان الزينة والزخرف، وهذا يستتبع أن تكون بعض السور التى تتناول أحداث القيامة متناولة لأحوال القوة الغاشمة الباطشة المتمثلة فى الأسلحة الحديثة : برية وبحرية وجوية، ثم أسلحة الدمار الشامل التى تحملها صواريخ قريبة ومتوسطة وبعيدة المدى حاملة للقنابل النووية أو الغازات الكيماوية أو القنابل البيولوجية أو ما يعرف إعلامياً بأسلحة الدمار الشامل، حتى أن أهل هذه الأسلحة يظنون أنهم قادرون على الأرض، أى قادرون على غيرهم فى الأرض أو يظنون أنهم قادرون عليها أى على حمايتها من أى عذاب أو دمار يأتى من السماء بالنيازك أو الأجسام الهائلة الضخمة، أو من أى عوامل دمار أو فساد أخرى، وهذا ما سنراه فى أبواب هذا الجزء من القيامة الصغرى، وفى فصول هذه الأبواب.

وسنبدأ بسورة التكويس من هذه السور الثلاث لما تتضمنه من أحوال عامة شاملة لمسرّات يوم القيامة الذى تعيشه البشرية فى العصر الراهن من خلال السور الثلاث المذكورة (١).

ثم نتبع هذا باب آخر عن تفصيل هذه الأمارات التقنية والصناعية فى الكتاب والسنة، وهى تتضمن من الآيات ما يعرض المسرات وما يعرض مظاهر القوة الطاغية الباطشة فى شتى المجالات العسكرية والمدنية علمياً وصناعياً، ودائماً ما يأتى الخبر عن هذا كله ثم يعقبه على الفور خبر نزول العذاب فى القيامة الصغرى وأحياناً تكون أخبار هذه المخترعات والأحوال المحققة لسرور الناس وراحتهم ومتاعهم فى صيغة القسم، يُقسم به الله عز وجل ويكون المقسم عليه هو نزول العذاب المرتقب يوم القيامة، ومثال ذلك سور النازعات والمرسلات والعاديات والطور وغيرها، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) أما سورنى 'الإنفطار والإنشقاق' فسيكون - بإذن الله تعالى - تفسيرهما فيما بعد فى مبحث خاص بأحداث القيامة التى تخص الأرض والسماء والجنال والبحار والكواكب.

الفصل الثانى

المسرات المتفاقمات الاثنى عشر

فى سورة التكوير

١٣ - مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاكمة فى التكوير

١٤ - ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ﴾

١٥ - ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾

١٦ - ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ﴾

١٧ - ﴿وَإِذَا الْعُشَارُ عَطَلَتْ﴾

١٨ - ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حْشَرَتْ﴾

١٩ - ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سَجَرَتْ﴾

٢٠ - ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

٢١ - ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ: بِأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟﴾

٢٢ - ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾

٢٣ - ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾

٢٤ - ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾

٢٥ - ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾

٢٦ - جواب الشروط الاثنى عشر فى سورة التكوير

٢٧ - اسماء المسرات الاثنى عشر أسماء علامات

(١٣) مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاقمة في سورة التكوير.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ ۝ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۝ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ (٢٦)﴾ (/ التكوير / ١ - ٢٦).

لكى نفهم تفسير هذه الآيات الكريمات يجب أن نسترجع بعض ما سبق أن ذكرناه عن آيات أشراط الساعة، ومفهوم القيامة واليوم الآخر، وما سبق أن عرضناه عن سكوت سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله عن كثير من هذه الآيات مع التنبيه والإشارة إلى أن تأويلها سيأتى بعد، أى بين بدى الساعة أو مع بدء يوم القيامة. وهذه الآيات الكريمات تتحدث عن يوم القيامة كما سنرى، ومن ثم فهى لانفهم إلا من خلال هذا المنهج، ونذكر أيضا بحديث النبى ﷺ وآله عن الأمور التى تحدث بين بدى الساعة ويتفاقم شأنها فى أنفس الناس فى زمن الدجال وبصفة خاصة معنى يتفاقم أى يتعاضم.

لأن الأمور المتعاضمة يوما بعد يوم هى الاكتشافات العلمية والصناعات التقنية فى شتى مجالات الحياة ونص الحديث الشريف (ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً عظيماً يتفاقم شأنها فى أنفسكم)^(١) ومثال هذه الأمور (حتى تزول الجبال عن مراتبها)^(٢) والشاهد الذى سيساعدنا على فهم آيات سورة التكوير فى هذا النص هو تعاضم الأمور بالتطور يوما بعد يوم لأن كل أمر من أمور سورة التكوير هو من الأمور

النامية المتطورة المتعاطمة بالبحث العلمى والاكتشافات والأجيال المتتابعة من المصنوع الواحد حتى يصل إلى التصميم الأيسر والأدق والأصغر والأكفأ أداءاً لوظيفته. حدث هذا بالنسبة للقطار والسيارة والطائرة والسفينة والغواصة والمذياع والتلفزيون وآلة التصوير بأنواعها والهاتف بأنواعه وأجياله وكذلك المعدات الثقيلة للنقل والبناء والرصف والحفر والحرث والرى وأخيراً الحاسبات الآلية التى بدأت بحاسب محدود فى حجم حجرة واسعة ثم إنتهى إلى حاسب فى حجم صغير جداً. يحسب بمقدار حساب مئات الألوف من حاسب الجيل الأول، ويخزن من المعلومات مقدار تخزين ملايين حاسبات الجيل الأول ولم تستغرق هذه الأجيال المتلاحقة من الحاسبات الآلية (الكمبيوتر) لكى تتطور وتتعاظم فى واقعها ويتفاهم شأنها فى أنفسنا سوى أربعة عقود فقط من الزمان، بل أقل.

وكل اختراع تقنى فى مجال من المجالات بدأ بفكرة بسيطة وبشكل ساذج وبوظيفة أقرب، ما تكون إلى لعبة الأطفال، ثم أخذت بعد ذلك تتطور بأثر متعاظم فى حياة البشر فأخذت أبعاداً اقتصادية وحضارية مما ساعد على سرعة التطور والتعاظم.

وهذا هو الذى تتناوله آيات سورة التكويد حتى أن كل آية منها لا تتناول سلعة صناعية تقنية واحدة، أو اكتشافاً واحداً بل تتناول مجالاً من مجالات الاكتشاف والتقنية والعلم والصناعة. وكما يكون كر الخيط من البكرة أو من شرنقة دودة القز سهلاً إذا أمسكنا بطرفه الأول، وإنما تكون الصعوبة فى العثور على هذا الطرف والإمساك به، كذلك الحال بالنسبة لكل أمر من أمور سورة التكويد بالنسبة لإدراك أوله. فإذا أدركته البشرية واكتشفه العلماء استتبع بعضه بعضاً وتسارع اكتشاف ما بعده وتسارعت الصناعات المبنية عليه وكثرت هذه المصنوعات وهذا كله قد عاصره وشاهده جيلنا المعاصر خلال النصف الثانى من القرن العشرين. لكن أكثر هذه المصنوعات، بدأت منذ القرن الماضى.

ولكى نوضح أكثر نقول إن العمود الفقري للحضارة أو المدنية المعاصرة هو الكهرومغناطيسية البترولية. إذ لولا اكتشاف الكهرباء والمغناطيسية ثم البترول لما صارت الحياة المعاصرة بالكيفية التي هي عليها الآن. وعلى هذا فأول اكتشاف للكهرباء المتمثل فى الشحنات الضعيفة فى بعض الأجسام نتيجة الاحتكاك هو أول خيط اكتشاف الكهرباء، ومن ثم تابعت معرفة أسرارها وقوانينها واستخداماتها ومخترعاتها فى كل مجال.

وأول اكتشاف لكل المخترعات البصرية والإشعاعية فى المجالات الطبية والتصويرية والاتصالية هو معرفة طبيعة الضوء وتجميع أشعة الضوء الشمسى من خلال أول عدسة صنعها الإنسان، هذا الأمر الذى تابعت تفاقماته وتسببت مخترعاته فى كثير من مجالات الحياة، ومن ثم وصلوا فى نهاية القرن العشرين إلى أحدث الاكتشافات والمخترعات والصناعات المبنية على علم فيزياء الضوء وتجميعه ونعنى به كل ما يخص الطاقة الشمسية. وهكذا فى كل حدث من أحداث سورة التكوين، إذ يكون كل حدث جاء بعد «إذا» هو التطور النهائى لسلسلة الأجيال أو الأحداث المتتالية المتفاقمة أى المتعاطمة مع مرور الزمن.

أما الأحداث ذاتها فهى من مشاهد يوم القيامة، وإن كانت من فعل الإنسان، كما سنرى، كما أنها من الأمور الممتعة التى تريح الإنسان وتبهجه وتزين الدنيا وتزخرف حَوَلَةَ الأرض..

أما كون أحداث سورة التكوين من أحداث القيامة وليست من أشراتها التى تدل على قرب مجيئها، وإنما تدل على بدء يوم القيامة فهو قول النبى ﷺ فيما (أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كُوِّرَتْ وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) فهذه السورة إحدى ثلاث سور كل منها يتحدث عن مشاهد من صلب يوم القيامة، حتى أن من يقرأ عن أحداثها أو

يتصورها فكأنه يرى القيامة، رأى عَيْن، فما هي تأويلات هذه الأحداث التي وردت فيها بعد إذا؟!

ويلزم أن نورد هنا الحديث الذي يثبت أن هذه الأحداث التي هي من أحداث يوم القيامة، كما نص على هذا الحديث الصحيح، تقع في الدنيا أي أن يوم القيامة يبدأ في الدنيا كما سبق أن ذكرنا هذا في أثر عن أبي بن كعب رضى الله عنه أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس.... إلى آخر الحديث^(١) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة في الدنيا وست في الآخرة قول الله تعالى : ﴿آذا الشمس كورت.. إلى .. وإذا البحار سجّرت﴾ هذه في الدنيا والناس ينظرون إليه ﴿وإذا النفوس زوجت .. إلى .. وإذا الجنة أزلقت﴾ هذه في الآخرة^(١).

ومعنى أنها تحدث في الدنيا والناس ينظرون أنه من الممكن أن تكون قد حدثت أو على الأقل يكون بعضها قد حدث، ولكي نتحقق من ذلك يلزم أن نعلم التأويل الصحيح والتفسير اللغوي الدقيق لهذه الآيات، ثم نبحث في حياتنا المعاصرة أو في تاريخ الأمس القريب وننظر ونتدبر ونتساءل هل حدث شيء من هذه الأمور أو الأحداث؟ فإذا تطابق الحدث مع الآية حسب تفسيرها اللغوي المحض فلنا، مطمئنين، أن نقرر بمقتضى التطابق أن هذا هو التأويل المتوقع قد حدث، فإذا تطابقت تفسيرات هذه الأشراف الستة أو أكثر مع أحداث معاصرة وجارية لها بدايات قديمة وتطورت وتفاقت وتعاضمت حتى ظهرت في هذه التي ورد ذكرها في هذه السور الثلاث فلنعلم مطمئنين بل موقنين بأن يوم القيامة قد بدأ وإننا نعيشه ولنرتقب بقية أحداثه. فليس بدء يوم القيامة الصغرى بالصعق كما بظن البعض خطأ، بل هو يبدأ في الدنيا والناس ينظرون، وهذا تأكيد لما ذكرناه في الجزء الأول والثاني.

(١). (٢) الدر المنثور للسيوطي / ج٦ ص ٣٥٤. وهذا قول أبي العالية وربما نخالفه ونثبت أن الجميع في الدنيا، وأنها جميعاً من أحداث القيامة الصغرى.

(١٤) فما هو تأويل قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (/ ١ / التكوير)۔

بمحض المدلول اللغوي؟

قال ابن منظور في لسان العرب: تكوير العمامة هو لفها وجمعها. وتكوير الليل على النهار تغشيتها كل واحد منهما صاحبه، أى يدخل هذا على هذا وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها وكوِّرت الشمس: جُمعَ ضوؤها ولُفَّ كما تلف العمامة^(١). ولعل الذى يذهب بالذهن بعيدا عن معنى هذه الآية الصحيح هو انصرافه حين سماع اسم الشمس إلى القرص مع أن من معانيها العربية الصحيحة شعاعها وضوءها وحرارتها، من هذا قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ (/ الكهف/ ١٧) فالذى يتزاور ذات اليمين عن الكهف هو الشعاع الساقط على الكهف وليس قرص الشمس، فالشمس بهذا المعنى هى ما يقابل الظل. ومعنى تكوير شعاع الشمس تجميعه لأن التكوير هو التجميع والتكوير هو التجمع.

وأول ما استطاع الإنسان تجميع شعاع الشمس وحرارتها ثم باختراع العدسة المقعرة التى تجمع الضوء فى بؤرة ويتركز الضوء فالبؤرة هى النقطة التى يكون ضوء الشمس أشد ما يكون تجمعا وتركيزا ومن ثم تتولد منه حرارة حارقة.

ذلك هو أول الخيط فى كل المخترعات التى توالى بعد ذلك وتقوم فكرتها على التحكم فى تجميع وتفریق أشعة الشمس ثم أشعة الضوء عموما فتتج عن ذلك كل الأجهزة البصرية: التلسكوب المقرب والميكروسكوب المكبر والسينما والتلفزيون وكاميرات التصوير لأنها جميعاً تؤدي وظيفتها خلال العدسة ثم بعد ذلك كثير من أجهزة الأشعة الطبية التى تستخدم العدسات أو ما يقوم بوظيفتها وبعد ذلك ظهرت أجيال من استخدام الأشعة تجميعا بالعدسات وتركيزا من خلال الليزر الذى دخل فى شتى مجالات الحياة.

لكن آخر جيل من هذه المخترعات هو فى مجال، أهم ما فيه تجميع أشعة الشمس وهو مجال الطاقة الشمسية الذى يعتبره البعض الأمل فى مستقبل آمن فى مجال الطاقة للبشرية، بعد نضوب البترول، وبدأت أبحاث واستخدامات الطاقة الشمسية منذ عده عقود لكنها أخذت الصورة الجدية فى منتصف السبعينات من هذا القرن الميلادى بعد ارتفاع سعر البترول. وقد وصلت الاكتشافات فى هذا المجال إلى توليد الكهرباء من خلال تجميع الشمس فى خلايا ضوئية ولهذا عدة تطبيقات ناجحة فى هذا المجال ومنها أيضاً صناعة سيارات تسير بالطاقة الشمسية..

فتكوير الشمس بمعنى تجميعها فى استخدامات شتى بدأ منذ اختراع العدسة وتعاظم وتفاقم حتى تشعبت فكرتها فى أجهزة شديدة التعقيد ولازال التفاقم مستمرا حتى اليوم فى أبحاث الطاقة الشمسية التى يصدق عليها تكوير الشمس أى تجميعها من خلال مرآيا أو عدسات أو خلايا ضوئية، فانظر وتأمل فى هذا التعبير (إذا الشمس كُوِّرَتْ) الذى يصدق على وظيفة العدسة وهو الشكل الأول من هذا التكوير إلى الخلايا الضوئية المولدة للكهرباء من أشعة الشمس وهو الشكل الأحدث المعاصر لهذا التكوير وما بينهما من أجهزة دقيقة وإلكترونية معقدة فكرتها الأساسية التى تقوم عليها هى تجميع الأشعة، وبعد النظر والتأمل نسلم ونؤكد من أن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة قد حدث وبلغ فى تفاقمه وتعاظمه إلى منتهاه أو قريب من أحدائه الأخيرة. وكل نتائج الشمس هو مما يُسرُّ الإنسان ويمتعه وصدق رسول الله ﷺ.

(١٥) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (/ التكوير / ٢)

التفسير اللغوى للمصدر (كَدَرَ أنه نقبض الصفاء وفى الصحاح خلاف الصفو... وَكَدَرَ الماء بالكسر يكدر كدراً... وَكَدَرَهُ غيره تكديراً جعله كَدَرًا، وَكَدَرَةُ الحوض بفتح الدال طينه^(١)، لأنه هو الذى يكدر الماء إذا ترجرج فيه والمعنى أن تكدر الماء يمنع رؤية مابقاع الحوض إذا انكدر، فالانكدار وجود ما يكدر الوسط

(١) لسان العرب لابن منظور / حـ ص ٣٨٣٤.

بين الرائي والمرئى ومن ثم قال فى اللسان (وتكادرت العين فى الشيء إذا أدامت النظر فيه)^(١) لأنها لو رآته بوضوح من النظرة الأولى ما أطالت النظر فتكادر العين عجزها عن رؤية المراد رؤيته، إما لشيء فيها وإما لشيء فى المرئى وإما لوجود ما يعكس الوسط الشفاف بين الرائي والمرئى.

وعلى هذا فانكدار النجوم باعتباره حدثا متناميا متعاطما يزداد يوما بعد يوم إما أن يكون بسبب فى أعين الناس أو بسبب فى النجوم أو بسبب كدر فى الوسط بين الأرض والنجوم.

فإذا كان السبب فى الحالة الأولى فإن انكدار النجوم يكون دائما فى الليل بطوله وفى جميع الليالى وتكون منكدره أيضا من أى مكان فى الأرض. وبالنسبة لكل الناظرين إليها، وليس الأمر كذلك لأنه إذا كان الكدر فى العين فلا يكون فى أعين الناس جميعا وإلا لما صار الحدث خاصا بالنجوم فحسب وإنما يكون الانكدار مسحوبا على كل المرئيات وكان الحدث خاصا بأعين الناس، ولو كان السبب فى النجوم لدام الانكدار وعم، ولما رآها بوضوح أحد، وهذا أيضا لم يكن ومن ثم لم يبق إلا أن يكون انكدار النجوم بسبب وجود الكدر فى الوسط بين أعين الناس وبينها وفى هذه الحالة لا يحدث الانكدار إلا فى وجود هذا الوسط، فلا يكون لكل الناظرين، ولا يكون فى كل وقت ولا يكون من كل مكان.

وهذا هو الذى حدث منذ أواخر القرن الماضى عندما تم افتتاح إضاءة أول مدينة فى العالم بالكهرباء فى حضور مخترع المصباح الكهربائى أديسون وهى مدينة نيويورك.

لقد بدأ انكدار النجوم أمام أعين أهالى نيويورك بسبب المصابيح الكهربائية التى أضاءت وسط المدينة فى هذا الوقت، حتى إن أحدهم إذا نظر فوق رأسه لم ير

(١) لسان العرب لابن منظور / ح ٥ ص ٣٨٣٤.

النجوم، لأن انبعاث أضواء المصابيح الكهربائية في الفضاء يشكل الانكدار في الوسط الذي بين أعين الناظرين وبين النجوم في السماء. وهكذا بدأ هذا الحدث التقنى الصناعى يتفاقم ويتعاضم مع الأيام حتى ملأ مدن الدنيا كلها بأضواء صفراء لامعة كدّرت النجوم فلا ترى من داخل أى مدينة لكنها تُرى من الريف أو الحقول المظلمة أو من الصحارى أو البحار كما كانت ترى دائما.

فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ إشارة إلى الكهرباء بعامة فى حياتنا، وإلى الإنارة بالكهرباء بخاصة، لأن التعدد فى استخدامات الكهرباء فى شتى مناحى الحياة كان ينمو ويتطور ويتفاقم فى كل الاستخدامات وليس فى البعض دون البعض فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أى إذا أضائتم مدنكم حتى لم تعودوا ترونها منها النجوم رغم النظر كثيرا فى السماء إليها.

وحيث إن التقدم والتطور والنمو الاستخدامى للكهرباء كان فى المحركات والأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الاتصالات تماما كما كان فى الإضاءة والإنارة فإن تحقق هذا الحدث يفيد إشارة الآية ضمنا إلى سائر الاستخدامات بجانب ذكرها صراحة للإنارة كأهم استخداماتها. فالآية إذن تتحدث عن الكهرباء عن طريق ذكر لازم من لوازمها وهو انكدار النجوم فهو إذن علامة على أمر ممنع يحقق الراحة والرفاهية للإنسان وليس أمر سيئاً كما يظن البعض خطأ.

ومعلوم أن اكتشاف الكهرباء ونمو علومها حتى أصبح لها قسم خاص بكل كلية من كليات الهندسة وتشعب هذه العلوم حتى أصبح لكل قسم شعب ذات علوم معقدة، هو نتيجة تفاقم أى تعاضم هذا الأمر منذ اكتشاف طرف خيطه حتى الآن، ولازال المجال مفتوحا فى الاكتشافات والاختراعات فهو من الأحداث المتفاقمة المتعاضمة مع الزمن وهو من أعظم وأهم ما ملأ حياة الناس بهجة وسروا ومتعة وزينة وزخرفاً فى الأرض.

(١٦) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (/ التكوين / ٣).

لعل الخطوة الأولى أو الإمساك بأول الخيط بالنسبة لصناعة المعدات الثقيلة الخاصة

للبناء والتشييد والرصف والدك والهدم أيضا هي اختراع الآلة البخارية ثم تطبيقات هذا الاختراع فى السفن والقطارات وبعض الصناعات، الأمر الذى استلزم مادة الاحتراق فاستخدموا الفحم الحجري الذى استلزم استخراجَه من باطن الأرض حفر المناجم وتطور صناعة التنجيم فظهرت معدات معدنية لتشغيل المناجم لاستخراج الفحم ولغيره من المعادن، ومن ثم تطورت صناعة الحديد والصلب وظهرت معدات ثقيلة بدأت تزداد ضخامة ودقة وتحولت إلى استخدام مشتقات البترول وتعددت معدات التشغيل فى البناء والهدم والتشييد والنقل إلى الصورة التى هى عليها الآن. وتطورت متواكبة مع صناعة السيارات والشاحنات الضخمة ومن ثم تمكن الإنسان من خلال هذه الأطوار إلى نقل الجبال منذ زمن، أليس استخراج الفحم الحجري مثلا من باطن الأرض وشحنه إلى بلاد عبر البحار والمحيطات فى سفن ضخمة ثم نقله من الموانئ إلى داخل القارات عبر السكك الحديدية هو بمثابة نقل وتسيير أجزاء من الجبال من مكان إلى مكان؟!

لقد تطورت هذه التقنية حتى صار فى مكتبة الإنسان أن يفجر جبلا ويفتته بالديناميت، ثم ينقله عبر الشاحنات خارج المدينة ليشق محله طريقا أو يبنى محله بناء، وبطريقة أرخص وأسرع وأيسر بسبب التقدم فى الصناعات المتعددة آنفة الذكر فقولهُ تعالى ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بدأت خطواته الأولى منذ القرن الثامن عشر مع اختراع الآلة البخارية، لكنه وصل فى نهاية القرن العشرين إلى الحد الذى تمتلك فيه الولايات المتحدة حفارًا وناقلًا للصخور والأتربة فى حجم ملعب كرة قدم. إذن هى بداية أطوار وآخر المراحل التى وصل إليها الإنسان فى النقل الثقيل، والهدم فى مجالات النقل الثقيل: أليس مكوك الفضاء الأمريكى جبلا ينقلونه من قاعدة إلى أخرى، إذا أرادوا؟ بلى. وفى مجال الهدم: ألا يهدمون عمارة ضخمة فى حجم الجبل فى ثوان معدودة، ثم ينقلون ركامها فى أيام.؟ بلى.

وفى مكة أزيلت جبال لشق الطرق ولإقامة المنشآت فى مراتبها؟ ألم يقل رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح ما معناه أن المسيح الدجال لن يأتى حتى تزول الجبال

عن مراتبها؟. بلى ولقد زالت عن مراتبها كما أخبر الصادق المصدوق بأبى هو وأمى عليه السلام. وهل يكون لهذا كله معنى سوى (وإذا الجبال سيرت)؟.

هذا إذن أمر من الأمور التى تقاومت وتعاظمت وتطورت عبر أجيال من البحث والتطبيق والتحسين حتى وصل إلى أن يزيل المتخصصون جبلا ضخماً عن مرتبته فى مدة وجيزة ماكان الإنسان من قبل يظن أن هذا ممكناً فيها أو فى عشر أمثالها.

(١٧) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (/ التكوين / ٤).

وهذه أيضاً من مشاهد يوم القيامة بدأت بخطوة أولى منذ القرن الثامن والتاسع عشر وأخذت أطواراً حتى وصلت إلى الشكل الذى نعايشه الآن فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، إنها صناعة وسائل الانتقال والسفر القطار والحافلة والسيارة وأخيراً الطائرة وكلها حلت محل العشار وهى النوق والإبل التى كانت فى الماضى، تعد للسفر حسب ما سنوضح فى باب لاحق، وإنما نحاول هنا إبراز معلم هام هو الخاصية المشتركة بين هذه الأحداث جميعاً والتى هى دليل على بدء يوم القيامة، بل هى من أحداث القيامة كما أخبرنا بذلك المصطفى الخاتم عليه السلام، فإذا كان اختراع السيارة من عشرات السنين ومنذ أواخر القرن الماضى، فإن العشار ظلت مستخدمة للسفر عبر الصحراء العربية حتى الأربعينات من القرن العشرين، فلم تعطل، لأن اختراع الآلة أو الجهاز شىء وتعميم استخدامه شىء آخر، والآية التى تخبر أن من مظاهر وأحداث يوم القيامة تعطيل العشار وترك القلاص أى النوق الشابة القوية الصالحة للسفر فلا يسمى عليها كما أخبر النبى ﷺ فى حديث سبق ذكره، لاتخبر باختراع السيارة فحسب، بل تخبر بتعميم استخدامها فى جزيرة العرب بصفة خاصة وهذا الذى بدأ مع منتصف القرن العشرين فى العالم، ولكنه أصبح ظاهرة عامة فى جزيرة العرب بعد ارتفاع البترول ابتداء من الربع الأخير من هذا القرن، الأمر الذى امتلك كل رجل من أهل الجزيرة سيارة أو أكثر فأهملت العشار والقلاص كوسيلة للانتقال والسفر وتوقفت القوافل نهائياً وبخاصة بعد أن

رصفت الطرق البرية وامتدت عبر الجزيرة مد الأديم، ثم كثرت المطارات الداخلية وأصبحت الطائرة وسيلة رئيسية للانتقال عند أهل الجزيرة كل هذا حدث مع بدء الستينات ثم توسع مع الثمانينات من هذا القرن. ولا زال يتطور ويتحسن ويتوسع فيه المخططون حتى الآن.

(١٨) ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (/ التكوير / ٥).

هذا هو الحدث رقم خمسة فى أحداث يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حالياً وتراه رأى العين. وقد فسر بعض السابقين حشر الوحوش بعد البعث، وهو خطأ وعلة الخطأ أن العجماوات جميعها ستحشر يوم البعث: الوحشى منها والمستأنس بما فى هذا كله الأنعام التى خلقها الله مُدَلَّلَةً مسخرة للإنسان، فكيف يأتى النص على الوحشى منها فقط خاصة وأن القصاص سيكون بين الوحشى وغير الوحشى منها كما يكون بين المفترس وغير المفترس.

الأمر الثانى أن هذا الحدث من الأمور الستة التى تحدث فى الدنيا حسب الأثر الوارد عن أبى بن كعب رضى الله عنه باعتبار أنه الحدث الخامس فى الترتيب. وهو من مشاهد يوم القيامة التى تسر الناظرين إليها كما يدل على هذا وهو الحديث الصحيح.

وهو أيضا علامة حضارية تقنية ولهذا العصر، ذلك أن الحشر هو السوق مع الجمع والضم وقد تميزت المدنية الغربية المعاصرة بحدائق الحيوان فى المدن الكبيرة، وهذه التسمية غير دقيقة لأنها حدائق للوحوش وليست حدائق الحيوان بعامه، إذ لا تضم هذه الحدائق على سبيل المثال البقر والجاموس والخروف المستأنس إلا إذا كان من إقليم بعيد أو من قارة أخرى ووحشياً. فهى فى المقام الأول حدائق للوحوش هذه الوحوش التى يجلبونها من جميع بقاع الأرض وأطرافها. ثم حشرها فى حدائق الحيوان وفى السيرك أيضاً.

أفلا يدل وجودها جميعاً في مكان واحد داخل أقفاص خوفاً من خطرهما على المشاهدين لها على الحشر؟^{١٩}، فالحشر الوارد في الآية هو حشرها في الأقفاص الحديدية حشراً دائماً أبدياً. كما يدل العذاب الذي تعانيه من الحبس على قسوة أهل هذا الزمان، علاوة على دلالة هذا كله على التقدم العلمي والصناعي إذ يدل هذا الحشر لها على التقدم الهائل في جميع مجالات الحياة: في علوم الحياة والأحياء والحيوان والنبات والطب البيطري والصيدلة والبيئة وقبل ذلك في وسائل الانتقال والصيد الحديثة ووسائل التبريد والتدفئة حتى يهيئوا بيئة صناعية تلجج للذئب القطبي وأخرى حارة لما جلبوه من أواسط أفريقيا فهو حدث حضاري شامل ما كان ليتم ويتطور ويستمر إلا مع التقدم العلمي في جميع مجالات الحياة. فهو ليس مقصوداً لذاته ولكنه مذكور كمشهد من مشاهد الحياة الإنسانية يوم القيامة الذي تعيشه البشرية حالياً لما له من دلالة على التقدم العلمي والتطبيقات العلمية بالتقنيات الحديثة والمعاصرة. وقد يفهمه البعض من خلال دلالة على سيطرة الإنسان على كل ما في الأرض حتى الوحوش الضارية، وهذا حق ومن ثم يدخل في مدلول هذه الآية الكريمة ظاهرة السيرك وهي اختراع أوروبي أيضاً يقوم الإنسان فيه باستعراض قدرته على ترويض أقوى الوحوش: الأسود والنمور، وتدريبها وإخضاعها وإصدار الأوامر إليها وتلبيتها لهذه الأوامر. وهذا من مظاهر تحقيق خلافة الإنسان في الأرض مثلها مثل سائر الأحداث الأربعة السابقة إذ هي جميعاً من المظاهر الاستخلافية للإنسان. وحشر الوحوش في الحدائق أو في السيرك هو مما بدأ بسيطاً ثم أخذ أطواراً حتى صار في نهاية القرن العشرين في طوره النامي التام أو شبه التام فصار بهذا حدثاً من أحداث القيامة يراه الناس رأى العين ولا يدرون أنهم يعيشون به وبما سبقه من الأحداث الخمسة يوم القيامة أو لا يدرون أن يوم القيامة قد بدأ وأن فجره قد بزغ. كما أنه من مسرات ذلك اليوم الذي يتمتع بها الناس.

(١٩) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (/ التكوير / ٦).

سيأتى تفصيلها من بعد وتأويلها ببحار البترول التى توقد فى المحركات والمواقد، ومثلها قَسَمُ رَبِّ العالمين بالبحر المسجور، فهو حدث فيه ذكر للبترول.

والنفط هو اللفظ الذى عرفه الإنسان قديما من خلال ما كان ينضح منه على سطح الأرض، ولكنه ظل مجهول الاستخراج والاستخدام حتى حدث التقدم العلمى والصناعى، فبالمضخات البخارية وما بعدها استخرجه الإنسان بكميات كبيرة ثم دفعه فى أنابيب إلى المعامل أو إلى السفن التى تنقله عبر المحيطات. كل هذا بدأ بسيطا، ثم أخذ أطوارا يتفاقم فيها حتى صارت منتجات البترول القاسم المشترك للكثير من الصناعات، إن صح هذا التعبير، وهو أيضا، باعتباره الطاقة، روح الصناعة والزراعة والنقل حتى لم يعد الناس قادرين على تصور الحياة بدونه، و(أعجبهم مُعْتَمَلُهُ) كما جاء فى الحديث الشريف^(١) أى أحبوا نتائجه وآثاره التى يسرت الحياة وجعلتها ناعمة رغدة ينجون من حرها وبردها ويسيحون فى الأرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ويزرعون ويصنعون ويبنون ويشيدون فى عام مقدار ما كان يفعله أجدادهم فى مائة عام. فهل حدثت فى الأرض مسرات ومبهجات وزينة وزخرف مثل ما حدث بالبترول؟.

فالنفت أو البحر المسجور إذا ليس مجرد علامة حضارية وإنما هو روح الحضارة المعاصرة وحجر الزاوية فيها ويقلق أهلها تصور نضوبه وإنتهائه من بحاره فى باطن الأرض.

لكنه مثل سائر الأحداث فى تفاقمه وتعاضمه من خلال أطوار فى استخراجها ونقله وتكريره واستخدام مشتقاته بدأ بسيطا ثم أخذ أجيالا متنامية حتى صار فى أيامنا هذه يستخرج من أعالي البحار كبحر الشمال كما يستخرج من أواسط أفريقيا، ويرسل أنهارا عبر أنابيب تمتد لآلاف الأميال، أو ينقل فى حاملات عملاقة للنفت تزيد حمولتها عن خمسمائة ألف طن من البترول، ومع هذا والبشرية فى هذا المجال

(١) سيأتى الحديث بكامله فى الباب التالى.

كما فى غيره لسان حالها يقول هل من مزيد؟! لكنها لا تدري أنها تعيش أحداث يوم القيامة وعما قريب جدا - إن لم تنب إلى ربها - سيقع العذاب.

والعلاقة بين البترول وبين وقوع العذاب العام بالأرض الذى هو قمة مشاهد القيامة وأخطر أحداثها هى علاقة وثيقة. واشتعال بحار النفط فى باطن الأرض ممثلة فى أكثر من ثمانمائة بئر فى الكويت عام ١٩٩١ علامة وأمارة على قرب حدوث الرجفة والزلازل والخسوف. فاشتعال هذه الآبار من مشاهد القيامة الدالة على قرب وقوع العذاب الذى هو أخطر أحداثها.

وربما يتضح لنا هذا من البحث فى الفرق اللغوى بين قوله تعالى بصيغة القسم ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [٦/ الطور] وبين قوله تعالى بصيغة الشرط ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير / ٦].. إذا أن «إذا» الشرطية إذا دخلت على فعل ماض جعلته مستقبلاً، فقله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى أن البحار ستسجر فى المستقبل وبعدها أى بعد أن تسجر سيحدث كذا وكذا مما هو آت فى جواب الشرط.

ومن ثم فالاية تشير إلى حدث سيقع أكثر منه حال دائم ونظام ثابت مستمر. أما القسم بشيء فهو قسم بشيء قائم ويصح أن يكون قسماً بحال مستمر يعمل على استمرار نظام دائم وآليات حياتية تستغرق عصراً أو عصوراً زو حتى كل حياة البشرية إذا المقسم به من الطبائع كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشُّفُقِ﴾ [١٦/ الانشقاق] وهو حال فى السماء يظهر عند الشروق وعند الغروب منذ أن خلق الله تعالى الشمس والأرض ونظام الشروق والغروب. ومن ثم نقول أن قسم الله عز وجل بالبحر المسجور هو قسم بحال ونظام وظاهرة مستمرة أكثر منه قسم بحادث طارئ يستغرق وقتاً ثم ينتهى، بخلاف إذا الشرطية التى تدل على حدث سيحدث يعقبه حدث آخر لضرورة هو المتمثل فى جواب الشرط لذلك نقول أن البحار هى بحار وآبار البترول حيث يكون فى باطن الأرض على هيئة بحار أو بحيرات ومع كونه سائلاً كسيولة الماء

إلا أنه قابل للاشتعال بل هو شديد الاشتعال. ولكنه لا يشتعل في باطن الأرض لأن لهذا الاشتعال نظام لا بد من إتباعه حتى يستفيد الإنسان من إشعاله إشعاعاً منضبطاً منظماً مفيداً. فهو بحر في باطن الأرض، لكن لكي يتم إشعاله لا بد من استخراجهِ ونقله وتكريره ثم توزيعه على محطات الوقود بأنواعه عبر ناقلات معدة لهذا، ليكون جاهزاً للاستخدام في السيارات والشاحنات والسفن والقطارات والطائرات والمصانع ومولدات الكهرباء ومعدات التشييد والبناء والزراعة وغير ذلك، كل هذا يقتضى نظاماً حيوياً جديداً واليات إدارية وقوانين وقواعد مروية وتخزين وتقنيات وصناعات لتحقيق هذا أى ليكون بحراً مسجوراً أى مشتعلاً بعد أن كان بحراً محبوساً في باطن الأرض. فالقسم هنا بالبحر المسجور أو بالآبار وكل ما تمكن الإنسان به من إخراج هذا المارد من قنديه الذى ظل مسجوناً فيه مئات الألوف من السنين وإرساله إلى أماكن ومواضع تسجيده بعد تهيئته لذلك. هذا هو تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦/ الطور] أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبُحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/ ٦) فهو فعل الشرط جاء بعد «إذا» فهو إذن يدل على حدث طارئ يستغرق زمناً قصيراً ثم لا يلبث أن ينتهي، لذلك أرى والله تعالى أعلم أن البحار هنا هي آبار البترول أيضاً لأنها التي تشتعل بخلاف البحار المائية والنهرية، والحدث الطارئ هو تسجيرها، إماً بنفس المعنى السابق ذكره فى تأويل «البحر المسجور»، ومن ثم يكن فعل الشرط هنا دلالة على عصر البترول كله ليكون جواب الشرط هو أحداث القيامة وإما أن يكون تأويلها هو الحدث الطارئ الذى استغرق زمناً قليلاً وانتهى وهو إشعال آبار بترول الكويت فى أعقاب حرب ١٩٩١ وهو الحدث الذى وجدنا انطباق حديث البخارى عن أول أشرار الساعة عليه كما فصلنا هذا فى الجزء

(١) صحيح البخارى ك الفتن باب ٢٤ كما أخرجه أحمد والسناني.

(٢) راجع الجزء الاول من هذه الموسوعة ص ٢٦٠.

الأول من هذه الموسوعة (قال أنس قال النبي ﷺ: أول أشرار الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)^(١) وقد فصلنا على الخبر فتبين لنا انطباقه التام على حرب الكويت وإشعال الآبار^(٢).

وأياً كانت الدلالة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فإن الآيتين آية سورة التكوير وآية سورة الطور ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ يدلان على عصر البترول الذي تمتعت وتمتع به البشرية بأنواع عديدة من الرفاعية والمتاع والبسر في الحياة وعلى جميع الأصعدة وفي شتى مناحي الحياة إلا أن آية التكوير أكثر انطباقاً على حادث إشعال الآبار عام ١٩٩١ فهو إشارة إلى كون هذه العلاقة من مسرات يوم القيامة المتفакمات.

(٢٠) ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (/ التكوير / ٧).

سيرد ذكر هذا الحدث تفصيلاً في الباب التالي وتفسيره هو ما أعلنوا عنه عام ١٩٩٧ باسم الاستنساخ الذي ليس إلا توليد نفس حية من نفس حية واحدة تحمل نفس خصائصها الوراثة الفردية فتأتى صورة طبق الأصل منها أى نفس مستنسخة من أخرى.

لكن القضية الرئيسية التى يجب علينا أن نناقشها حيال هذا الموضوع هى الأحداث الستة التى تبدأ من السابعة حتى الثانية عشرة، أى الأخيرة، والتى هى قوله ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ﴾ (التكوير / ١٣).

وأصل القضية هو الخبر المروى عن أبى العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا وست فى الآخرة ...) وهو خبر غير مرفوع وهو لا يتفق مع حديث عبد الله بن عمر الذى رفعه للنبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) والذي يفهم من هذا الحديث الشريف عن هذه الآيات الثلاث التى هى أوائل لسور ثلاث أن النبي ﷺ يندب لمن يريد أن يرى القيامة رأى عين أن يقرأ

هذه السور الثلاث بكاملها وليس هذه الآيات الأولى التى هى أوائل فى كل منها فحسب. ومن ثم تكون آيات سورة التكوير بكاملها عن يوم القيامة، وليست الست الأوائل منها. وهذا يضعف قول أبى العالية الذى لم يكن إلاَّ اجتهداً منه.

الدليل الثانى الذى يجعل هذه القضية هو ما سبق أن ذكرناه من أن بدء اليوم الآخر فى الدنيا وليس فى الآخرة، لأنه بمقتضى اللغة من أيام النهاية فى الدنيا بدليل الكسرة على الحاء «الآخر» ولو كان المقصود به يوماً من أيام الحياة الآخرة التى تقابل الحياة الدنيا لكان اسمه بمقتضى اللغة اليوم «الآخر» بفتح الحاء فاليوم الآخر هو اليوم الأخير ولا يعقل أن يكون هو اليوم الأخير من الآخرة التى سيبدأ يومها الأول بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار علاوة على أن هاتين الدارين هما داران للخلود لا حساب للأيام فيهما.

فالقيامة فى الدنيا أو اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا وأحداثه هى هذه الاثنى عشر الواردة فى سورة التكوير وأخواتها فى سورة الانفطار وفى سورة الانشقاق كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى.

لهذا ولما سيأتى بعده سنمضى قُدماً بعون الله تعالى وحوله وقوته وفضله فى تفسير الست الباقيات من سورة التكوير باعتبارها أحداثاً تعيشها البشرية حالياً أى باعتبارها فجراً أو صباحاً ليوم القيامة.

والذين فسروا ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير / ٧). على أساس أنها حدث من أحداث الآخرة بمعنى اليوم الذى يبدأ بالبعث اختلفوا فروى عن الضحاك رضى الله عنه قوله (زوجت الأرواح والأجساد)^(١) وهذا اجتهد منه يمكن رفضه لأن الإنسان يكون ذاتاً واحدة بعد سريان الروح فى الجسد فى حياة الخلود كما فى الحياة الدنيا فلا يقال عن فلان أنه زوج لأنه روح وجسد، وعن قتادة رحمه الله قال: (وإذا النفوس

(٢، ١) انظر تفسير ابن كثير / ٤ / وكذا الدر المنثور للسيوطى / ٦ / ٣٥٦.

زوجت قال ألحق كل إنسان بشيعته اليهودى باليهود والنصرانى بالنصارى^(٢) وهذا أيضا اجتهاد شخصى منه، ويمكن رده، لأن إلحاق النصرانى بالنصارى لا يكون تزويجا، لأنه سيصبح واحدا من ملايين بل من بلايين أو مليارات فكيف يسمى هذا تزويجا وهو ليس من لغة العرب، وإذا قال المدافع عن هذا التأويل المقصود تزويج النصرانى بالنصرانية واليهودى باليهودية، يكون الرد: ومتى يفارق النصرانى نصرانيته واليهودى يهوديته؟! إن الوارد فى هذا المقام أن المرء يبعث على ما مات عليه، فهو يموت نصرانيا أو يهوديا وتظل نفسه نفسا نصرانية أو يهودية فى البرزخ ثم يبعث نصرانيا أو يهوديا فعقيدة العبد لاتفارقه حتى نقول أنها تعود إليه وتزوج نفسه بها. وهل يصبح العبد النصرانى زوجا، لتلبسه بعقيدته؟ كيف هذا؟! وهل يقال إن النصرانى زوج فى الدنيا لتلبسه بها؟! أو المسلم زوج لتلبسه بإسلامه؟! كل هذا يرد قول قتادة واجتهاده رضى الله عنه.

وعن الربيع بن خيثم فى قوله: (وإذا النفوس زُوِّجت) قال: كل رجل مع صاحب عمله) وربما يقصد الرجل الذى يقول للعبد فى قبره أنا عمك الذى عملتنى، وهذا ليس يوم البعث بل هو عند دفن العبد، وحتى إذا خرج معه فى البعث من القبر وسار معه لا يقال إن نفس العبد فلان صارت نفسين بل هو نفس واحدة فلان بن فلان ومعه عمله، وعمله ليس نفسا: وأورد السيوطى ما أخرجه الحاكم وصححه وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه «وإذا النفوس زُوِّجت» قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس^(١) وهذا أثر قوى لكنه من الواضح أنه اجتهاد من أمير المؤمنين رضى الله عنه ولا مانع من قبوله بشرط أن يكون هذا فى الحياة الآخرة فى دار الخلود، أما والآيات فى الدنيا كما أثبتنا هذا بالأدلة فإن التزويج للنفوس يكون هو المطابق تماما لظاهرة الاستنساخ التى فسرنا الآية بها فى باب لاحق لأنها خرق لسنة الفردانية فى

(١) تفسير ابن كثير

الخلق. بل إن اختلاف المفسرين لهذه الآية: صحابة وتابعين في تأويلها، لأنها من أحداث عصرنا ومن ثم يكون تفسيرنا نحن أهل يوم القيامة الذين يرونه رأى العين أقدر على فهمها من سابقهم.

إن استنساخ (النعمة دوللي) كان خطوة نهائية في سلسلة أبحاث بدأت منذ قرون في علم الحياة الذي صار بعد ذلك علوماً في الحياة وليس علماً واحداً ولعل الخيط الأول هو اكتشاف الوحدة البسيطة الأولية للنسيج الحى وهى الخلية ومع اكتشاف الميكروسكوبات المتقدمة الإلكترونية ومع اكتشاف علم الوراثة والتعمق في التفاصيل الدقيقة لمكونات الخلية من أحماض وما تحتويه من كروموزومات وعوامل وراثية ثم مع التقدم في علم الأجنة ثم الهندسة الوراثية كل هذا انتهى إلى أن تلد الأمة ربها أو ربها أى مشاتل الأجنة وتأجير الأرحام ثم الاستنساخ الذى ملأت أخباره الإعلام العالمى مع مطلع عام ١٩٩٧، وكل هذا بسبب التقدم الصناعى الهائل فى جميع الأجهزة فى شتى المجالات ومنها الطبية والمعملية وغيرها، إنه أمر من الأمور المتفاقمة أى المتنامية المتعظمة خلال النمو العلمى والتطور التكني الصناعى. وإذا الشرطية تفيد أن هذا الأمر سيقع فى المستقبل لدخولها فى الآية على فعل ماضى مبنى للمجهول، مما يشير إلى حدوثه على يد الإنسان فى يوم القيامة، وهو مخالف لسنة من سنن خلق الأحياء العليا من ذكر وأنثى فيكون المولود أو الناتج منهما حاملاً لخليط من خصائصهما الوراثية ومن ثم فتأتى خصائصه الحيوية مخالفة ومغايرة بالضرورة لكل منهما وبالتالي تكون كل نفس مخلوقة حسب هذه السنة نفس فردانية فلا يوجد نفس تماثلها تماماً وفى كل الخصائص بحيث تصبح صورة طبق الأصل منها ظاهرياً وباطنيّاً، أما النعجة (دولي) فقد جاءت من أنثى فقط ومن ثم جاءت صورت طبق الأصل من أمها فصارت مستنسخة منها فصارت النفس الواحدة زوجاً. وهذا يدخل فى تفسير خلق الله تعالى الذى أخبر إبليس بأنه سيأمر بنى آدم بفعله باعتباره من قمم الفساد والإفساد فى الأرض.

- سيأتى تفصيل هذا الموضوع لاحقاً بإذن الله تعالى فى الباب القادم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. هذا يذكره مجيلاً
منعاً للتكرار.

(٢١) ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [٨ - ٩ / التكوير]

جاء في مختار الصحاح: «وَأَدْبَنَتْهَا دَفْنَهَا حَيَّةٌ فَهِيَ مَوْءُودَةٌ». وسؤال الموءودة إما أن يكون في الدنيا قبل وأدّها، وهذا محال لأنها لم تصبح موءودة بعد، ولا سؤال على جرعة قبل وقوعها، وإما أن تكون بعد وأدّها مباشرة وانتقالها إلى البرزخ أى فى أولى مراحلها التى هى القبر ومعلوم أن فى القبر حساباً إجمالياً للموتى. وحيث أن المفسرين قالوا: إن هذا السؤال للموءودة مقصود به تبكيك الوائد فإن هذا الاحتمال الثانى لسؤال الموءودة بقصد محاسبة الوائد جائز فى القبر بعد الموت أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أن يكون هذا السؤال للموءودة يوم الدين يوم الحساب العام وهذا هو الذى توجّهت إليه أذهان المفسرين فى تفسير هذه الآية.

ومن المعلوم أن العرب كانت تتد البنات، وورد أن قبيلة كنده كانت تتد البنات، أى كانت أكثر القبائل وأداً لهن.

وقد ورد ذكر هذه الظاهرة عند العرب فى موضعين فى القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)﴾ [النحل] فُدس الأنثى فى التراب هو وأدّها، والسؤال الموجه فى آية سورة التكوير إذا وجهناه إلى موءودة العرب لجاءت الإجابة إن العرب كانوا يرون الأنثى عارا أو مجلبة للعار. قال تعالى أيضاً: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (٦١) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٦٢) أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْجُلْنَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (٦٣) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَّتْ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (٦٤)﴾ [الزخرف] والمعنى أنهم ينسبون لله تعالى البنات بقولهم أن الملائكة بنات الله ثم يشعرون بالعار والخزى

إذا وُلِدَ لأحدهم أنثى حتى أن وجهه يسود ويصيبه الغم ويصل به إلى الحد الذي يُفكر فيه أن يأخذ المولودة ويدفنها حية في التراب، فهم ينسبون لله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم وهذا من مظاهر الشرك الواضحة، وما لا يرضونه يروّنه عاراً وهو أن تكون لهم بنات يخشى الأب أو الأخ من أن يفرطن في عفتهم، ومن ثم فإن العرب وأدوا البنات خشية العار. وتلك هي الإجابة على السؤال: بأى ذنب قُتِلَتْ، فيقال لها: خوفاً من أن تقعى في الزنا فتجلبى العار لأهلك، وهذا معناه أن العربى الجاهلى كان حريصاً على العفة لبناته وحريمه ولا يرضى لهن غيرها، وإرتبط الشرف عند العرب بالعفة نفسياً وإجتماعياً إلى الحد الذى لا يتحمل فيه العربى أن يتصور أن له ابنة معروحة العفة إذا كبرت فكان يقدم على وأدائها فى طفولتها. ومن ثم يمكن القول أن العفة ارتبطت بالشرف والكرامة عند العرب قبل الإسلام إرتباطاً وثيقاً شديداً. وظاهرة وأد البنات عند العرب - وإن كان لها وجه عدوانى وقسوة ضارية شديدة - إلا أن الدافع إليها يدل على أن لها وجهاً آخر يتعمى إلى فضيلة من الفضائل وهى العفة، ولذلك يمكننا أن نقرر مطمئنين أن ارتفاع قيمة العفة وإرتباطها بالشرف عند العرب قديماً حافظ على أنسابهم إذ حَصَرَ الزنا وفعل الفواحش فى دوائر ضيقة جداً صانت الزواج والأسرة حتى كان فى العرب النسابة الذين يحفظون الأنساب إلى العديد من الأجداد فكانت قريش تعرف أنساب أبنائها وتحفظهما حفظاً متوارثاً فى الذاكرة جيلاً بعد جيل، من جيل النبی ﷺ إلى أن يصل إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، ومن ثم سجل التاريخ أجداد النبی ﷺ لأبيه وأمه حتى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، هذا بالرغم من أن العرب كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب وليس عندهم دواوين ولا سجلات.

بيد أن جريمة الوأد تمثل الإفراط فى فضيلة العفة حتى أدت إلى هذه الرذيلة الوحشية.

ولقد واجه المفسرون سؤالاً هاماً نجم عن صياغة هذه الآية الكريمة وهي أن المحاسبة والسؤال موجه في الآية إلى المجنى عليه وليس للجاني، وهو عكس المفروض أن يكون، مع أن الذي يجب أن يحاسب ويسؤل هو القاتل وليس المقتول، ومن ثم لجأوا إلى تأويل هذه الصياغة من ذلك ما أورده السيوطي في الدر المنثور قال: (وأخرج سعيد من منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي الضحى مسلم ابن صبيح أنه قال «وإذا المؤودة سألت»، قال طالبت قاتلها بدمائها)^(١).

وأخرج البزار والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه عن عمر بن الخطاب في قوله: «وإذا المؤودة سئلت» قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ فقال: إني وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية فقال النبي ﷺ: «اعتق عن كل واحدة رقبة قال إني صاحب إبل قال: فاهد عن كل واحدة بدنة»^(٢).

فأمره ﷺ للتميمي بأن يكفر عن كل بنت وأدها باعتاق رقبة فيه معنى إحياء الرقيق بالحرية، كما أن أمره له بإهداء بدنة يطعم بها الفقراء والمساكين فيه مشاركة في إحياء نفوسهم بإطعامها وهذا كله مقابل إمامته لبناته وإزهاق أنفسهن الحية. والذي أراه - والله تعالى أعلم - أن هذه الروايات لا تدخل في تفسير الآية وإنما تعطى أحكاماً عن الوأد: تحريمه وتجريمه وكفارته.

كما أن هذه الرواية تتناول الوأد القديم عند العرب، والآية تتحدث عن حدث هو من إمارات الساعة ومن أحداث يوم القيامة المتفاقمة المتعاطمة جيلاً بعد جيل وسنة بعد أخرى.

ومن ثم نقول إن الآية تتناول ظاهرة سلوكية عالمية هي فعلاً من أحداث يوم القيامة الذي تعيشه البشرية حالياً. وهي لا تشير إلى قتل النفوس الحية بالوأد فقط، ولكنها تشير إلى مخططات صهيونية دجالية وصلت إلى قمته في الفساد والإفساد الدجالي

(١) الدر المنثور / ٦ / ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

الصهيونى فى أواخر القرن العشرين وبصفة خاصة من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، أما الجانب السلوكى فيها فهو إباحة الزنا والانحرافات الجنسية وتسفل أهل الحضارة الغربية فى هذه الناحية بصفة خاصة إلى أن صاروا كالأنعام بل أضل، من حيث إنهم يزاولون الزنا علانية فى الأماكن العامة، ووصل بهم الحال فى التسفل والبهيمية إلى حد انتشار زنا المحارم فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين وتحذث عنه أجهزة الإعلام الغربية حتى سألوا رئيسة وزراء بريطانيا مارجريت تاتشر عن رأيها فيه فكان ردها: أنها لا تحبذه، ولعل هذه الإجابة المغضبة لإرباب الإفساد والفساد هى التى أفقدتها مركزها السياسي.

هذه العلاقات الجنسية غير المشروعة والموقته لا تحتل أن يتحمل أصحابها ثمرتها الجنينية لما تستوجب تربية الأطفال من مشاق والتزامات مالية وجهد ووقت، ومن ثم كان لابد من وسيلة - لكى ينتشر الزنا بالشكل الذى يريده المفسدون فى الأرض - لمنع الحمل، ومن ثم تقدمت الأبحاث فى هذا المجال، وبخاصة أن من استراتيجيات الصهيونية الخبيثة القضاء على الكثرة العددية للأمم التى تعمل على حكمها مثل النصارى والمسلمين، وليس من المهم بعد ذلك الأضرار الصحية التى تسببها هذه الوسائل للأم أو للزانية أو للزوجة.

ولكن للشهوة قهرها الذى يحتم أن يحدث الحمل لملايين الحالات، رغم الحرص الشديد على منعه، ومن ثم كان لابد من إباحة الإجهاض لمثل هذه الحالات التى تحدث رغما عن الزناة.

وهذا هو أهم موضوعات مؤتمرات السكان والمرأة التى يوجهها المفسدون إذ يُصرون على بحث موضوع إباحة الإجهاض.

فالعزل الذى يقوم به الرجل أثناء معاشرته للمرأة حتى يتجنب وصول المنى إلى الرحم خوفا من الحمل هو وأد خفى كما وصفه رسول الله ﷺ فيما أخرجه أحمد فى

مسنده ومسلم فى صحيحه وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى وابن مردويه عن خدامة بنت وهب قالت سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: ذاك الوأد الخفى وهو إذا المؤودة سُئِلَتْ»^(١).

وهذا الحديث الصحيح تفسير للآية ومن ثم لا يجوز العدول عنه إلى غيره. فالآية إذن تتحدث عن ظاهرة الوأد بعامة سواء الخفى منه وغير الخفى لأنه إذا كانت المؤودة وأدًا خفياً تصدق عليها الآية فإنها أولى أن تصدق على المؤودة وأدًا ظاهرًا ابتداء من الجنين الممنوع تكونه والجنين المؤود إلى الوليد المؤود.

فإذا تذكرنا أن ما جاء فى سورة التكويد هو من الأمور المتفاقمات التى هى أمور معوجة منحرفة عن الفطرة ومتعاطمة فى نفس الوقت جيلاً بعد جيل وسنة بعد أخرى علمنا أن الآية تتحدث عن الفساد المتمثل فى الزنا الذى يجر الوأد منعاً للحمل أحياناً وإجهاضاً أحياناً وقتلاً للأطفال أحياناً أخرى. إن ظاهرة الوأد ليست قاصرة على العرب فى جاهليتهم فهى ملازمة للمجتمعات الجاهلية القديم منها والحديث. فقد ظهرت فى المجتمع اليونانى الرومانى القديم وكانت طريقة القتل هى أن يوضع المولود فى سلة كانت تباع خصيصاً لذلك، تُعرف بسلة الموت ثم يوضع الطفل أو الطفلة المولودة خارج أسوار المدينة حتى الموت جوعاً وبرداً وكانوا يثدون الذكور والإناث خشية الفقر وتوفيراً للنفقة وباسم المحافظة على مستوى المعيشة ومنعاً لتفتيت الميراث وضياع الثروة وكذلك ظهرت حديثاً دراسات فى أمريكا أثبتت أن من الأمهات من يقتلن أطفالهن الرضع الذين لا يرغبن فيهم لعدم استطاعتهن التفرغ لتربيتهم وللتخلص من عناء التربية وتكاليفها ولأسباب أخرى وأظهرت الدراسة أن أكثر وسائل القتل تكون بكنتم أنفاس الطفل أو الطفلة تحت الوسادة وهو وأد فى الفراش بدلاً من التراب أما الإجهاض فهو يتم فى بعض الدول حسب القانون مثل كوريا التى تبيحه فى المستشفيات وإما يتم بطريقة مخالفة للقانون فى الدول التى لا

(١) عن السبوطي/ فى الدر المنثور/ ص ٣٥٦.

تبيحه ومما نشرته وسائل الإعلام أن بعض شركات أدوات ووسائل التجميل تعاقدوا مع جهات كورية متخصصة على توريد ٧٥٠٠٠٠ سبعمائة وخمسين ألف جنين بشرى تستخدمها هذه الشركات فى صناعة كريم الوجه والجلد لأن بروتين هذه الأجنة يعطى للوجه نضارة الشباب.

أما الوأد الخفى فهو مخطط عام للإفساد الصهيونى يرى المفسدون لهم مصلحة عليا فى تنفيذه حتى يتمكنوا من الاستمرار فى العلو والسيطرة بالإفساد رغم قلتهم العددية الظاهرة بالنسبة للشعوب والقوميات والأديان المخالفة لهم.

فإذا أردنا أن نجيب على السؤال الموجه للمؤودة باعتبار المؤودة هنا اسم جنس لكانت الإجابة مخالفة تماما للسبب الذى وأد العربى الجاهلى إبنته من أجله وهو مخافة جلب العار الذى تولد عنده من الغلو والإفراط فى التمسك بقيمة العفة. إنها أسباب أخرى سياسية واقتصادية وخلقية إذن تلك التى وراء العزل أو منع النسل والتى وراء الإجهاض والتى وراء كتم أنفاس الأطفال بالوسائد أو بوسائل أخرى، إنها فى المقام الأول بسبب التفريط فى قيمة العفة بإباحة الفاحشة، وشتان بين دافعين للوأد الأول الإفراط فى التمسك بالعفة الذى حافظ على الأنساب والثانى الذى هو التفريط فيها الذى ضيَّع الأنساب وإن كان كلا من الاثنين رذيلة وجريمة فهذه الظاهرة إذن ليست جديدة على البشرية وليست وليدة عصر يوم القيامة، بل هى قديمة، فما هو الجديد الذى جعلها تحتل مكانا بين شرطيات سورة التكوين لتكون علامة أو أمانة شرطية على يوم القيامة؟ . إنها علامة لأنها من المتفاعلات المتعاضات، أى الفساد الذى وصل إلى الذروة فى إرتكاب هذه الجريمة المتمثلة فى حادثة وأد إحدى النفوس لسبب هو فى حد ذاته جريمة عظمى مغضبة لرب العالمين سبحانه وتعالى غضباً قد ينزل به نقمته الكبرى على أهل الشر والفساد والكفر والطغيان إذا لم يتوبوا، فما هو هذا السبب؟!

حدث أن أهل الحضارة الغربية قد قتلوا العفة في نفوسهم قتلا بحجة الحرية، وبسطوا حمايتهم على سلمان رشدي وغيره الذين يسبون الله تعالى ورسله باسم حرية الاعتقاد والرأى والنشر وسمحوا لأمرتهم المحبوبة زوجة ولى عهدهم ديانا أن تعترف علنا وعلى الملأ وعلى مستوى بلايين المشاهدين بما كان منها من خيانة لزوجها وهى فى عصمتها، ثم هى تزداد فى نظرهم رضا وحبا ولا يفكر ولى العهد أن ينتقم منها لشرفه وعرضه، بحجة أنها لم تفعل إلا ما اختارته وهذا من حقها بمقتضى دين الحرية الذى يدينون به؟

لقد نشر سلمان رشدي روايته «آيات شيطانية» التى تطاول فيها بالسب على كل المقدسات، فتطاول على الخالق سبحانه وعلى الأنبياء جميعاً وعلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ وعليهم جميعاً وسلم، ثم لما أفتى الخميني فى إيران بوجوب قتله خَصَّصَتْ له إنجلترا حراسة خاصة مشددة وقامت بينها وبين إيران أزمة سياسية لا زالت قائمة حتى الآن وتشترط إنجلترا إلغاء الفتوى لتحسين العلاقات بينهما هذا بالرغم من أن سلمان رشدي هذا ليس إنجليزيا فى الأصل ثم لحقت بإنجلترا بعد ذلك امرأة من بنجلاديش فعَلَتْ مثل جريمته فاستقبلوها وبسطوا عليها حمايتهم.

ياله من قيمة مقدسة عند الإنجليز والبريطانيين بخاصة وعند أهل الحضارة الغربية بعامة، تلك التى ما يُسمونها بالحرية والتى تُضحى الدول الغربية وشعوبها بالغالى والنفيس من أجل صيانتها وحمايتها حتى لو كانت تخص فرداً واحداً أو رجلاً وامرأة مثل الشيطان سلمان رشدي والشيطانة البنجلاديشية ولكن هل هم صادقون فى هذا؟ هل يقدسون حقاً حرية الرأى والاعتقاد؟ وهل حمايتهم للفحشاء والمنكر ولدعاة الكفر والضلالة والإلحاد وشياطين الشر والفساد هو إحترام منهم للحرية فى الاعتقاد والنشر وحق الاختيار لكل جماعة ولكل فرد؟ لو كان الأمر كذلك لأعطوا أهل الإيمان والحق والخير نفس الحقوق والحماية التى يعطونها لأهل الكفر والشر

والطغيان، فلماذا إذاً حاكموا روجيه جارودى على رأى قاله كذب فيه مزاعم اليهود؟! ولماذا إذاً قتلوا أميرتهم المحبوبة ديانا لما عزمت على الزواج بمسلم والإنجاب منه؟^{١٩} أين يذهبون من مكر الله عز وجل الذى يبتلى العباد فيكشف سرائرهم ويفضح ما فى قلوبهم من كذب ونفاق وعبادة للطاغوت وكراهية للحق والخير وأحقاد نحو حربه سبحانه، فلا يعطون لهم من حق الاختيار وحرية الرأى والعقيدة ما يعطونه للكافرين ومردة الشياطين، لقد كشف الله تعالى زيف دعواهم باميرتهم المحبوبة الغالية ديانا لما مال قلبها إلى الإسلام وبدأت تسأل عنه وتقرأ ترجمة معانى كتاب الله تعالى من خلال صداقتها لأحد الأبطال الرياضيين من باكستان، وشاع فى وسائل الإعلام خبر عن زواجهما، ثم تخلى عنها فجأة^(١)، ثم عاشت مع دودى الفايد ولاحقتها أجهزة الإعلام فى كل مكان ولم تمض أيام على إشاعة أخبار عن نيتهما فى الزواج وعن حمل الأميرة فى أحشائها بجنين عمره بضع أسابيع سيكون ابنا لمن اسمه محمد الفايد وأخا ولو من الأم فقط لولى عهد بريطانيا المقبل.

لقد أخطرت الأميرة ابنها وليم الذى سيصير وليا للعهد بعد أبيه أنها اختارت حياة الاستقرار والهدوء والبعد عن الأضواء والإعلام. وأنها ستتزوج دودى الفايد وأنها ستنجب له أخا أو أختا هى حامل فيه ومما نشر أنها تحتفظ بنسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم.

كل هذه المؤشرات تدل على أن الأميرة المحبوبة لقومها أى للروم أو لبنى الأصفر مالت أو توجهت للإسلام وفضلت فى علاقتهن متتاليتين الارتباط بمسلم وحملت من مسلم جنينا مسلما سيكون أخا لولى العهد المقبل.

فصّدت الأوامر بالقتل بل بالوآد وتعاونت المخابراتان الإنجليزية والفرنسية فى التنفيذ بالرغم من العداء التقليدى بين المجلترا البروسطنتينية وفرنسا الكاثولوكية هذا العداء الذى أشعل بينهما الحروب خلال القرون الاستعمارية الأخيرة والذى لا زال

(١) من الواضح حسب سير الأحداث بعد ذلك أنه كان بسبب تهديد حياته.

يلقى بظلاله على علاقتهما في المنافسة على زعامة أوروبا الموحدة ولكنهما في هذا الأمر تعاونوا ليمنعا عارا سيلحق بالصليبية بعامة أياً كان مذهبها وهو إسلام الأميرة المحبوبة والمجابهة أخا مسلماً لولى العهد المقبل. أى عار هذا الذى سيلحق بالروم أو بنى الأصفر أو أوروبا الصليبية عندما تختار الأميرة السابقة للإسلام، وعندما يصبح لولى العهد المقبل أخا مسلماً من أمه؟!

لقد اختارت الأميرة الخيانة الزوجية لولى العهد وأعلنت ذلك صراحة على الملأ فغفروا لها ذلك. باسم الحرية.

لقد سب سلمان رشدى كل المقدسات فغفروا له ذلك باسم الحرية. لكن أن تختار الأميرة المحبوبة للإسلام فلا، ولو ذهبت الحرية قيمة وسلوكاً وغاية إلى الجحيم.

وللأميرة أن تعاشر من تريد وتزاوّل الفحشاء مع من تريد أو تتزوج من تريد وتلد ممن تريد لكن أن تلد مسلماً أو مسلمة من مسلم فلا للحرية ولتوضع تحت الأقدام. إن من العار أن يكون أخو لولى العهد المقبل مسلماً.

لذا يجب وأد هذه النفس الجينية قبل أن ترى النور.

ترى لو أن الملائكة الذين قبضوا نفس القتيلة ديانا وإبنتها سألوا هذه المؤودة بأى ذنب قتلت؟ فماذا تكون الإجابة: بذنب واحد هو الإسلام، صدقت بارسول الله (لقد حدث ما أخبرت به باعتباره أماراً من أمارات الساعة وقولك الحق وقُلْتَ) (ويكون كتاب الله عاراً) (١). لقد صار دين الله عاراً.

أباحوا الفحشاء والمنكر والخيانة الزوجية وكل المنكرات والمحرمات والحرية مكفولة لعمل أى شيء إلا اختيار الإسلام؟ إلا الرغبة فى الحق والرجوع إلى الله عزوجل.

(١) رواه ابن أبى الدنيا، ضمن حديث طويل، انظر التحاف الجماعة للتريجرى جـ ٢، ص ١٦٣.

إن مقتل الأميرة ديانا لم يكن مقصودا لذاته وإنما كان لقتل الجنين المسلم ومن ثم صارت جريمة وأد هذه النفس الجينية أمانة باعتبارها الذروة في الفساد المتفاقم الناجم عن الفحشاء وإباحة الإجهاض والدعوة إليه من خلال مؤتمرات السكان والمرأة.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يصدق على كل عملية وأد خفى يستخدم فيها الناس وسائل العزل، ووسائل منع الحمل المعاصرة ما هي إلا وسائل للعزل. ويصدق على كل عملية إجهاض ويصدق أيضا على قتل الأطفال بكتهم أنفاسهم تحت الوسائد وغير ذلك من أساليب القتل والعبرة بعموم اللفظ، ولكن ذروة هذا النوع من الفساد المستشري في عصر القيامة الصغرى والمتفاقم فيه باعتباره إمارة من إمارات بين يديها هذه الذروة جاءت متمثلة كأوضح ما تكون في حادثة مقتل الأميرة ديانا التي كشفت الغطاء عن فساد وعفونة النفس الصليبية الجاهلية الحاكمة على الإسلام وأهله، وعن انحطاط وتسفل وحيوانية النفس الصليبية الأوربية العابدة للطاغوت التي لا تطبق الإسلام وأهله هذه الشخصية التي تفاقم فيها الفساد يوما بعد يوم حتى لم تر الخيانة الزوجية والاعتراف بها على الملأ عارا ورأت الإسلام وحمل الجنين المسلم في الأحشاء عارا استحققت عليه أميرتهم المحبوبة القتل ليس تخلصا منها ولكن تخلصا من جنينها بوئده في رحمها لا لشيء جناه أو سيجهه إلا الإسلام.

فقتلوا ثم دفنوها في مقبرة الكلاب من شدة حقدهم عليها واحتقاراً للإسلام الذي رغبت فيه وقبلت أن تقترن برجل يدين به^(١) ثم أقاموا لها ما أطلقوا عليه في إعلامهم جنازة القرن العشرين ولسان حالهم يقول لها: ليتك ظللت صليبية عابدة للطاغوت مثلنا حاقدة على الإسلام وأهله وإستمعت بحياتك كما نفعل، إذن لما اضطررنا لقتلك، لقد قتلناك ونحن نحبك، ولولا هذا الذي ستلدينه مسلما لما مسسناك بسوء. فالحرية مكفولة في كل مجال ولكل اختيار إلا في اختيار واحد هو الإسلام.

(١) هذا حسب ما نشرته أخيرا وكالات الأنباء والصحف.

أى مسخ فى الفطرة هذا الذى أصاب الشخصية الرومية الأوربية الصليبية؟ !
تلك هى الدلالة النهائية لعلامة أو أماراة من أمارات يوم القيامة فى سورة التكوير
الوَاد لأسباب اقتصادية وأسباب سياسية وأسباب خلقية وأخيرا بسبب الإسلام،
وذروة هذا الأمر المتفاقم وأد النفس الجينية لمجرد أنها ستحمل إسم محمد. فقلوه
تعالى ﴿وَإِذَا الْمَرْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بحث فى أسباب الوَاد الخفى، وغير
الخفى وأبشعها الوَاد للجنين الذى سيولد مسلما. وهذا وإن صدق على حادثة بعينها
ملأت أسمع الدنيا وأبصارها إلا أنها ما صدقت عليها إلا لكونها ذروة فى ظاهرة
افسادية متفاقمة يوما بعد يوم من خطط خبثاء صهيون لإهلاك الحرث والنسل
والقضاء على دين الله عز وجل. فذكر حادثة ديانا ليس لذاتها وإنما باعتباره علامة على
ذروة ستام الكفر ومحاربة دين الله عز وجل والعداء المطلق لكل من ينتسب له
سبحانه.

(٢٢) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [٩ / التكوير]

لم يرد فى تفسيرها حديث عن رسول الله ﷺ فهى إذن من الذى سكت عنه. وإنما
ورد أثر منسوب لابن جريج قال: (وإذا الصحف نشرت قال: إذا مات الإنسان
طُويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها) (١).
وعن الضحّاك قال: (أعطى كل إنسان صحيفته يمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن
آدم تملئ فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملئ فى
صحيفته) (٢).

من خلال هذين الأثرين لابن جريج والضحّاك يمكننا أن نستنبط فهمهما لمعنى
نشر الصحف وهو فتح صحيفة العبد يوم القيامة وبسطها أى ما يقابل الطي، فهى تظل
مطوية منذ موته إلى أن يتسلمها وينشرها أى يفتحها ويبسطها ليقرا ما فيها.

(١) الدر المنثور/ ج٦ ص٣٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٧٨.

ولنتذكر أن هذا التأويل ليس إلا اجتهداهما الخاص الذى يحق لنا مخالفته . فهل هذا هو معنى النشر فى اللغة؟.

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه)^(١) فللنشر إذن معنيان: الأول: فتح الشيء ومنه (نشرت الخشبة بالمنشار نشرًا... ومنه نشرت الكتاب خلاف طويته)^(٢) أما المعنى الثانى: فهو تشعب الأمر وإنتشاره ولا يكون هذا إلا بتوزيعه ومنه (النشر: الريح الطيبة)^(٣) لأنها تنتشر... ومنه (نشر الله الموتى فنشروا. وأنشر الموتى أيضًا)^(٤) (والنشر: أن تنتشر الغنم بالليل فترعى)^(٥) ومن هذا المعنى (يوم النشور)^(٦) أى يوم إنتشار البشر فى أرض المحشر (ونشرت الريح) والنَّشْرَ بالتحريك المنتشر، وضم الله نشر ك أى ما إنتشر من أمر كقولهم: لَمْ الله شَعَثَكَ) وهذه كلها تفيد أن النَّشْرَ يعنى تَشَعَّب الأمر وإنتشاره علاوة على فتحه وَفَضَحِه ومن ثم نقول إن الأثرين اللذين فسَّرَا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ بأنها فتح صحف العباد يوم القيامة معتمدين المفهوم الأول للكلمة بمعنى فُتحت أى فتح كل عبد صحيفته ليقرا ما فيها يمكن أيضًا أن تفسر بالمفهوم الثانى لها وهو نشر الصحف بمعنى توزيعها وإنتشارها. لكن يمنعنا من ترجيح هذا التفسير عدة أمور الأول: أن تأويل نشر الصحف بفتحها يوم الدين بعد توزيعها على أصحابها يخرجها عن أن تكون من الأمور المتفاقمات التى بين يدي الساعة.

الثانى: أن هذا التفسير يخرجها أيضا عن أن تكون من مَسَرَّات يوم القيامة، كما دل على هذا الحديث الشريف الصحيح، ولا يصح تفسير الآية بخالف حديثا صحيحا فى السورة، كائنا من كان قائله من المفسرين؟ فما هو التفسير المطابق للمعانى اللغوية للآية وفى نفس الوقت يكون من مسرات يوم القيامة ومن أحداث عصر القيامة المتفاقمة بالمعنى المزدوج للتَّفَاقُم وهو التعاظم مع الإعوجاج أى الإفساد والفسَاد؟!

(٢، ١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٤٣٠.

(٣، ٤، ٦) نفس المصدر والصفحة.

الثالث: أن هذا التفسير يختلف عن الآيات الصريحة الخاصة بكتب أعمال العباد يوم القيامة في كل الآيات التي تحدثت عن تسلم العباد يوم القيامة لسجلات بمالهم من أعمال أطلقت على هذه السجلات كتباً ولم تطلق صحفاً ولو لمرة واحدة، كما أن جميع الآيات التي وردت فيها كلمة «صحف» دلت على الكتب السماوية المنزلة على الرسل قال تعالى: عن أحداث الحشر والحساب ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُوا كِتَابِيَّةَ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةَ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةَ (٢٥) وَلَمْ أَدرَ مَا حِسَابِيَّةَ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةَ (٢٨) هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيَّةَ (٢٩) ﴿[الحاقة] فهذه الآية تثبت أن لكل عبد يوم القيامة كتابه الخاص الذي سيجد فيه كل ما عمله، صغيراً كان أم كبيراً. قال تعالى: ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٣٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤١) ﴿[الكهف] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْصُطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٢) ﴿[المؤمنون] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٠) ﴿[الزمر] وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (٣٧) أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣٨) ﴿[الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٨) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠) ﴿[النبا] وحتى أعمال كل أمة لها كتاب عام يخصها

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُطْغُونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْسِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ [الجاثية] وقال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَتَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢)﴾ [الانشقاق].

وهكذا سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم، يتلقى الجميع أعمالهم يوم الدين في كتب وليس في صحف، وسواء بالنسبة للمؤمنين الذين يتلقون الكتاب باليمين أم بالنسبة للذين يتلقونه من وراء ظهورهم الذين سيصلون سعيراً تكون أعمالهم يوم الدين في كتب وليست في صحف أيضاً.

فإذا علمنا أن كلمة الصحف لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثمانية آيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠)﴾ [التكوير] وهى الآية التى نحن بصدد تفسيرها وتأويلها وأن السبع الباقيات كلها بمعنى الكتب المنزلة على الرسل باعتبار الكتب السماوية هى الإعلام الربانى للبشرية برسالة الله عز وجل لبنى آدم أو للإنس والجن من غير أن تكون لواحدة منهن دلالة على سجلات أعمال العباد يوم القيامة، نستنبط من هذا كله نتيجة ملزمة لنا وهى أن الصحف المنشورة فى آية سورة التكوير ليست مما ينشر يوم الدين، ووجه الإلزام فى هذه النتيجة هى أن ألفاظ وكلمات القرآن الكريم مصطلحات دقيقة فالصحف المنشورة هى الموزعة المعلن ما فيها للجميع وتلك هى الكتب السماوية وآخرها القرآن الكريم صحف مُنْشَرَّةٌ أى مَوْزَعَةٌ ومعلنة للجميع ومبلغة ومُيسَّرَةٌ للذكر، ومن ثم لا نجد آية من الآيات السبع إلا وتدُل على الرسالة

السماوية وهن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣)﴾ [طه] أى التوراة والإنجيل والزيور وكتب أنبياء بنى إسرائيل.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)﴾ [النجم]

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾ [عبس] والتذكرة فى الآية القرآن وهو فى صحف فى السماء بأيدى الملائكة الكرام البررة وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ [الأعلى].

كذلك يفضح الله نفوس المكذبين بالقرآن من أهل مكة وغيرهم من الكافرين فى كل زمان ومكان بأنهم يحقدون على رسول الله ﷺ الذى إصطفاه الله بنزول القرآن الكريم عليه وود كل منهم فى نفسه لو ينزل عليه صحفاً من مثله عليه ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفْرِفَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثْنَرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)﴾ [المدثر] أى أن كلا منهم يريد أن يكون نبياً وينزل عليه كتاب من السماء مثل ما نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ فالصحف المنشرة هنا هى الكتاب السماوية المنزلة على الرسل التى ينشرها الله ويبسر وصولها لكل مكلف. وهل على الأرض وخلال القرون العشرين الماضية طبع من الكتب البشرية مثل عدد ما طبع من نسخ من التوراة والإنجيل والقرآن ١٩. كلا والله الذى لا إله إلا هو.

والآية السابقة هى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)﴾ [البينة] أى القرآن الكريم.

إذن الصحف المنشورة أو الصحف المنشورة إذا نشرت ليست كتب أعمال العباد يوم الدين وإنما هي صحف منشورة في الدنيا ونشرها توزيعها وتعميمها، هذا مصطلح قرآني دقيق لا يجوز لنا أن نعيد عنه فنفسر الصحف في آية سورة التكويد بدلا من الكتب.

فالصحف المنشورة التي هي من مسرات ومباهج المرحلة الأولى ليوم القيامة التي فيها الزخرف والزينة والقوة والتي هي أمر من الأمور المتفانمة جيلا بعد جيل وفيها من الفساد ما فيها وشاع بها من الفساد ما شاع هي بالضرورة ما نطلق عليه في أيامنا هذه الصحف ونشر الصحف في صورة جرائد يومية ومجلات دورية على الورق المطبوع بعد اختراع المطبعة هو أول جيل لأول وسيلة إعلامية. لقد بدأت الصحف في الظهور بعد اختراع المطبعة وبدأت بشكل محلي بسيط ثم تطورت خلال أجيال متتابعة لتعاطم شأن الصحافة حتى أطلقوا عليها صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة باعتبارها سلطة رقابية شعبية على السلطات الثلاث في الحياة الديمقراطية الغربية، ألا وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية.

فالصحف المنشورة هي الجيل الإعلامي الأول للوسيلة الإعلامية الأولى وهي المقروءة، ومن ثم فهي علامة أو أمانة حضارية من أمارات يوم القيامة المتفانمات في الظهور، وجاء ذكر الصحف المنشورة في سورة المتفانمات الأثنى عشر ليس لذاتها ولكن باعتبارها علامة على أمر خطير وهو الإعلام وتحتل خطورته في أنه وسيلة من وسائل السيطرة على عقول وقلوب الناس والدعوة والتوجيه ومن ثم فهي مثل جميع الوسائل صالحة أن تستخدم في الخير كما أنها صالحة أن تستخدم في الشر.

فالخطورة في الرسالة الإعلامية التي تحملها الوسائل والأجهزة الإعلامية لأنها أما أن تكون موجهة للناس من حزب الله، فتكون هداية لهم، وإما أن تكون موجهة من حزب الشيطان فتكون دعوة للكفر والإلحاد والشرك والضلال والفحشاء والمنكر. وقد

إستخدم الحزبان هذه الوسائل لكن الثابت تاريخياً أن حزب الشيطان بقيادة الدجال على رأس اليهود الذين حققوا إفساداً اليوم الآخر المعاصرة كانوا أول من تنبه إلى خطورة هذه الوسائل والأجهزة وأول من إستخدمها لأهدافه الإفسادية وأول من ملكها وأول من سيطر عليها ولا زالوا حتى الآن يملكون النسبة الكبرى من هذه الأجهزة ولهم السيطرة شبه التامة عليها. وكانت هذه الأجهزة هي دعائمهم الرئيسية في العلو الإفسادي الكائن في الأرض الآن. قال تعالى عن علو اليهود المعاصر بالافساد عن طريق الإعلام في المقام الأول: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء] والمعنى أن الله تعالى سيرد لبنى إسرائيل الكرة على أعدائهم ويمدهم بأموال ليست أموالهم ويمدهم ببني أي بجيوش الدول التي تجند الشباب في سن مبكرة تجنيداً إجبارياً فتستخدمها الصهيونية في الحرب لصالحها يربط مصلحة الدول بمصالحها ويقطف اليهود ثمرة هذه الحرب لصالحهم وكذلك استولى اليهود على أموال البشر وذهبهم بأساليب شيطانية فهم يعلنون بأبناء وأموال الغير ولكن في ذكر الإعلام أثبت الله تعالى في الآية بأنهم يملكون من وسائله أكثر مما يملك سائر الناس غيرهم فقال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي من غيركم والنفير هو الإعلان وهو الإعلام.

ولا شك أن التقدم التقني الصناعي الفني في استخدام وسائل الإعلام التي تطورت بعد ذلك فصارت مسموعة ثم مرئية بجانب المقروءة ساعد اليهود على صناعة الحياة اليومية للبشر بالشكل الذي خططوا له وهو إغراق الناس في المتاع: باللهو واللعب أي بالفن والرياضة إغراقاً لهم في الشهوات وإبعاداً لهم عن الحياة المحققة للهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة ربهم عز وجل وعلى هذا فالصحف المنشورة ليست بالضرورة هي المقروءة بل هي المسموعة والمرئية أيضاً؟ لماذا؟، لأن كل ما يذاع في المذياع وتسمعه أذن هو مدون بالضرورة على صفحة من الورق الأبيض فهو صفحة مقروءة قبل أن يصبح رسالة مسموعة ابتداء من الأغنية ونشرة الأخبار

إلى غير ذلك من أعمال الدراما حتى البرامج المذاعة على الهواء لأبد لها من إعداد يكون على الورق أيضاً فما يذاع وتلقاه الأذن هو نشر لرسالة تبدأ على الورق وفي الصحف وكذلك كل ما تذيعه شاشة التليفزيون الصغيرة أو شاشة السينما أو شريط الكاسيت أو شريط الفيديو وكل ما يشاهده الناس عبر الأقمار الصناعية فيما يعرف بالمحطات الفضائية للدول والشركات والهيئات كلها لأبد أن تدون أولاً في صحف ثم تنقل للأذان أو الأعين فالمقصود إذن بالصحيفة هو الرسالة الإعلامية يدل على هذا ويؤكد أنه مادة «الصحف» لم تأت في القرآن إلا للدلالة على رسالة الله عز وجل للبشر التي غايتها إعلانهم بالحكمة من خلق الله تعالى لهم وبالهدف الذي يجب أن يسعوا إليه في حياتهم وبالهدى الذي يجب عليهم أن يعيشوا بنوره وفي نوره إذا أرادوا السعادة في الدارين تلك هي رسالة الله عز وجل نزلت في صحف هي القرآن الكريم والسنة وهي مقروءة أولاً لمن يقرأ ثم هي مسموعة من خلال البرامج الدينية ومن خلال إذاعات القرآن الكريم لمن يسمع وهي أيضاً في شكل برامج تليفزيونية مرئية وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو.

لكن كل ما هو مسموع ومرئي من رسالة السماء مصدره الأول هو الصحف المطهرة أي القرآن والسنة.

فقله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ تُنشَرُ﴾ [٩/ التكوين] أي الرسالة الإعلامية المدونة أولاً في الصحف ثم منشورة بعد ذلك في جرائد ومجلات ودوريات وإذاعة وتليفزيون وأشرطة مسموعة ومرئية وكل هذا وسائل للنشر والتعميم ووسائل فتح لهذه الصحف ومن الواضح أن الغلبة في استخدام هذه الوسائل جميعاً لحزب الشيطان وهذا هو تفسير المعنى الثاني لتفاقم أمر النشر فهو إغواج وإفساد متعظم بتطور هذه الوسائل وقوتها في التعميم حتى غطت كل بقعة في الأرض حتى النياقي والقفار ينزل الشر والفتنة المهلكة عليها من السماء نزولاً حتى لم يبق بقعة من

الأرض إلا ويغطيها قنوات فضائية مفسدة بجميع أنواع الفساد الفكرى والجنسى والعنف وبجميع وسائل الإفساد بالكلمة والصورة والفيلم والأغنية لهوا ولعبا. وسنرى فى الباب اللاحق أخبارا فى القرآن والسنة بكل هذه الوسائل والأجهزة تفصيلاً.

لكن لا ننسى أن نذكر هنا بالنص الذى جاء فى الجزء الأول من القيامة الصغرى عن أجهزة الإعلام الثلاثة: المقروءة والمسموعة والمرئية وعن سيطرة النبى الكاذب أى المسيح الدجال عليها، يقول النص: ﴿ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح لحسة شبه ضفادع﴾^(١) التنين هو الصهيونية والوحش هو القوة العسكرية الاقتصادية من مجموعة دول مجلس الأمن والذى رأسه الرئيسى هو أمريكا والنبى الكذاب هو المسيح الدجال الذى يقود ويسيطر من خلال التنين على الوحش ذى الرؤوس السبعة. أما الأرواح النجسة التى تشبه الضفادع فهى الوسائل الإعلامية الثلاثة فى العالم الغربى وهى التى لا يخرج منها إلا فكر شيطانى خبيث لحس ولا تصدر إلا ما يفسد بكل فساد: الجنس والعنف والهوى والمتاع، وكلها رسالة خبيثة شيطانية واحدة تخرج من أجهزة الإعلام الصهيونية والدول الغربية والمخططات الدجالية منشورة فى صحف مقروءة وإذاعات مسموعة وعلى شاشات مرئية فى البيوت أو فى السينما.

ولكن كل ما تحويه هذه الرسالة تافه حقير ضعيف ولا معنى له ولكنه عال الصوت قوى الانتشار وفى هذا تكمن خطورته تماماً كصوت الضفدع لا معنى فيه ولكنه قوى مرتفع يغطى على كل الأصوات حوله وإن كان مصدره ضعيفاً ولكن الصحف المنشورة لم تتوقف عند حد عرضها مسموعة ثم مرئية عبر الأقمار الصناعية فقط إذ ظهر الجيل الأخير منها المتمثل فى شبكة «الانترنت» وهو أوسع دائرة نشر للرسالة الإعلامية حتى الآن وهى وسيلة تمتاز على سوابقها فى أن الأجهزة الثلاثة السابقة هى

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتى إصحاح / ١٦، عدد / ١٣.

وسائل إعلامية للإرسال فقط والقارئ أو السامع أو المشاهد مجرد متلقى لكن خلال هذا الجهاز الرابع الذى يجمع هذه الأجهزة الثلاثة مجتمعة فى وسيلة واحدة يضيف إليها أن المستخدم له، يمكنه أن يرسل كما يمكنه أن يستقبل، فإذا كانت الصحف قد حولت أهل الدولة الواحدة إلى أن يصبحوا أهل قرية واحدة، وجعلت البشرية تعيش كأنها دولة واحدة وشعب واحد، ثم جاءت الإذاعة فجعلت البشرية تعيش كمدينة واحدة، ثم جاء التلفزيون والمحطات الفضائية فجعلت البشرية فى قرية واحدة، فإنه بالانترنت يمكن للبشرية أن تعيش فى بيت واحد أو فى حجرة واحدة يتسامرون معا رغم تواجد أجسادهم فى قارات مختلفة من أجل ذلك وردت الأخبار عن نشر الصحف والرسائل الإعلامية عبر هذه الأجهزة الأربعة بعد خبر سؤال الموءودة وخبر تزويج النفوس وذلك من خلال علاقة زمنية بين هذه العلامات ستتحدث عنها فيما بعد.

إن تعاضل أجهزة الإعلام من مقروءة بأجيال متعددة إلى مسموعة بأجيال متعددة إلى مرئية بأجيال متعددة إلى جهاز مقروء ومسموع ومرئى فى نفس الوقت هو أمر متفاهم عبر عشرات السنين بلغ ذروة سنامه فى شبكة الإنترنت التى شاع إستخدامها خلال العام ١٩٩٧ وبدأت فى الانتشار بعد ذلك ولا زالت، لذلك جاء ترتيبها فى مسرات سورة التكوير المتفاهمات. يحمل رقم ٩ وهو ما سنعرف الحكمة منه بعد ذلك بإذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه.

(٢٣) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝﴾ [التكوير]

قال ابن كثير وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝﴾ قال مجاهد: اجتذبت، وقال السدي: كسفت، وقال الضحّاك: (تنكشط فتذهب) وغنى عن البيان أن هذه التأويلات لكشط السماء لا يقل عن الكشط غموضاً، إذ كيف نتصور السماء منجذبة أو كيف يكون حالها وقد كسفت وما معنى أن تذهب السماء؟.

كما أضيف إلى هذا مصدر تفسير مجاهد والسدي والضحّاك إذ فسروا الكشط بما ورد عن أحداث السماء يوم القيامة منطلقين من المفهوم الشائع فى الأذهان عن يوم

القيامة باعتباره يوم الهدم لعمارة الكون والفناء للحياة بعامة. فالقائل بأن الكشط بمعنى نزول الكسْف من السماء فسرهما بقوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلَهُ وَالْمَلَانِكَةُ قَبِيلًا﴾ (٩٧) [الإسراء] وقولهم أيضًا على سبيل السخرية ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧) [الشعراء] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (٢٤) [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (٤٤) [الطور].

أما تفسيرها بالذهاب فهو يكاد يكون تفسيراً لغوياً محضاً لأن كشط القشدة من سطح اللبن أخذه والذهاب به بعيداً عن اللبن. أما المجذاب السماء فلا علاقة له بالكشط إلا أن يكون مجاهد رحمه الله قد فسر الكشط بسقوط السماء كسفا فيكون نزولها فوق الرؤوس هو إلهابها. وهذه التأويلات جميعها مأخوذة من أحداث الهدم والفناء ليوم القيامة ومن ثم خالفوا الحديث الصحيح الذي جعلها علامة على مسرات يوم القيامة المتفاقمات.

وكشط السماء فعلاً هو علامة على التقدم الصناعي والتقنى وكثرة استخدام المصانع وشيوع استخدام السيارات وإحتراق مشتقات البترول مما أدى إلى زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون في الأرض فأزدادت بسببه درجة حرارة الأرض بظهور ما أطلقوا عليه ظاهرة الصوبة التي تحبس الحرارة فتزداد معدلاتها سنة بعد أخرى. وكذلك بسبب استخدام غاز الفلوروكلوروكاربون المستخدم في التبريد وغير ذلك مما أدى إلى حدوث ما أطلقوا عليه ثقب الأوزون. وأحداث يوم القيامة التي تخص السماء متعددة وجاءت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (١) [المرسلات] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) [الانفطار] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (٢) [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (١٨) [المزمل] وقوله تعالى: ﴿رَفِيعَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩) [النبا] علاوة على الآية التي نحن بصددناها وهي: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (٣٠) [التكوير] وتأويلنا لها بأنها إشارة إلى ضعف طبقة الأوزون فوق القطبين أدى نفاذ بعض الأشعة فوق البنفسجية إليهما

وازدیاد حرارة القطبین ثم ذوبان نسبة من جلیدهما مما أدى وسیؤدي إلى ارتفاع مستوى المحيطات ویتوقع الخبراء غرق الجزر والسواحل المنخفضة مثل ساحل دلتا النيل وسواحل هولندا وغيرهما فالكشط هنا واقع على الأكسوجين الثلاثی المسمى بالأوزون الذی من أهم وظائفه أو وظيفته الرئيسية كف موجات الأشعات فوق البنفسجية وإعادتها إلى الفضاء وعدم السماح لها بالنفاذ إلى الغلاف الجوى ثم إلى سطح الأرض.

وأنسب لفظ للدلالة على ضعف الأوزون فی هذین الموضعین مما أدى إلى فشله فی صد كل الأشعة فوق البنفسجية كما هو الحال فی سائر أرجاء سقف الغلاف الجوى هو كشط هذه الذرات من وسطها التى تسبح فیہ تماماً مثل كشط طبقة القشدة من فوق سطح اللبن فتؤخذ طبقة سمیكة منها وتترك فی نفس الوقت بقایا من القشدة على سطحه وبالتالي یصبح النفاذ من سطح اللبن بعد الكشط أیسر وأسهل من النفاذ من خلال طبقة القشدة المتماسكة وسنعود إلى تفصیل موضوع أحداث السماء يوم القيامة: انفطاراً وانفراجاً وشقاً وفتحاً وكشطاً أيضاً بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه. ونكتفى بهذا بالنسبة للكشط هنا منعاً للتكرار لكننا نذكر هنا بأن هذا التغير هو المطابق لكون الكشط علامة على أمور هی من المسرات وهى كل المنتجات الصناعية التى یتمتع بها إنسان هذا العصر ابتداء من المسكن والسيارة والطائرة والمعدات التى سهلت الزراعة والصناعة والنقل والتجارة وكلها فی النهاية هی التى سببت ضعف طبقة الأوزون أى فساد البيئة وفساد البيئة أى التفاقم وتعاضم الأمر مع إعوجاجه، وهو نتائج هذه المسرات الممتعات ومن ثم یكون تفسیر كشط السماء باعتباره علامة على التقدم الصناعى واستخدامات البترول وفساد البيئة مطابقتاً تامة للواقع المعاش لیوم القيامة الذى تعیشہ البشرية حالياً. فالكشط بدأ ولا زال یزداد ویتفاقم یوما بعد یوم إلا أن یعود الناس إلى الله تعالى ویمتنعوا عن الصناعات المفسدة لطبقة الأوزون والمسببة لظاهرة الصوبة الزجاجية فی الأرض حسب النداءات المتكررة لمؤتمرات الأرض ویوم البيئة العالمی.

(٢٤) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢ / التكوين)

قال ابن كثير رحمه الله: (قال السُّدِّيُّ أَحْمِيْتُ، وقال قتادة: أَوْقَدَتْ قال: وإنما يسعها غضب الله وخطايا بني آدم) (١) (وعن عبيد بن عمير قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أهل الحُجَرَاتِ فقال: يا أهل الحُجَرَاتِ سُعِّرَتِ النَّارُ وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) (٢). وفي رواية الطبراني عن ابن أم مكتوم (سُعِّرَتِ النَّارُ لأهل النار وجاءت الفتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) (٣) وأهل الحُجَرَاتِ هم زوجاته رضي الله عنهم وأول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أن هذا سيكون في يوم الحساب قبل دخول أهل النار، وكذا الذي يتبادر عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِثَتْ﴾ أي قُرْبَتْ لأن تقريبتها إنما يكون للمؤمنين قبل دخولها حسب المتبادر إلى الذهن. ولكن قول الرسول ﷺ عن سورة التكوين (ومن سرّه أن يرى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كُوِّرَتْ...) إلى آخر الحديث يفيد أن هذين الحديثين تسعير النار، وتقريب الجنة هما من أحداث يوم القيامة في الدنيا وهما من مسراتها أيضاً بالرغم من أن تسعير النار خبر مرعب رهيب، وإن كان هذا النذير للمغضوب عليهم والضالين، إلا أن المؤمنين لا يأمنون مكر الله عز وجل ومن ثم ينالهم في الدنيا من الترهيب من هذا الخبر ما ينالهم.

أما ما يثبت أن تسعير النار يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة فهو الحديث الصحيح الذي أعلن فيه رسول الله ﷺ لأهل الحُجَرَاتِ عن تسعير النار لأهل النار، وهو يدل على أن تسعير النار لن يكون يوم الجزاء فحسب بل هو يحدث في الدنيا وقد حدث هذا في العهد المدني للنبي ﷺ وقد فسر قتادة مناسبة تسعيرها بقوله: (إنما يسعها غضب الله وخطايا بني آدم) فإذا كانت خطايا بني آدم قد ازدادت وطفئت في

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص ٤ / ص ٤٧٨.

(٢) كنز المال ١١ / ٣١٤٤٦، ٣١٠٢٤.

(٣) كنز العمال ١١ / ٣١٠١٦.

العهد النبوى فى مملكتي الفرس والروم وإفساد اليهود وحروب هؤلاء جميعا لرسول الله ﷺ، فغضب الله عليهم وسُعِرَت النار، فكيف يكون غضب الله تعالى على بنى آدم فى عهد افسادة اليهود الأخيرة وعلوهم الكبير المعاصر فى كل الأرض بقيادة الدجال؟! لاشك أن غضب الله اشتد على بنى آدم لشيوع الزنا والمجاهرة به ولعموم الربا وطغيان قوى الشر التى تُدبر بليل لآبادة المسلمين فى مذابح جماعية وغير جماعية فى أماكن عديدة فى الأرض تنتهى فى موضع لتبدأ فى موضع آخر حتى صار دين الله تعالى عاراً تقتل من أجل اعتناقه الأميرة المحبوبة لمجرد أنها ستنجب مسلماً أو مسلمة؛ ثم خطتهم للقضاء على الأصوليين بتجفيف المنابع، أى لاقتلاع الإسلام من جذوره. أفلا يغضب هذا كله رب العالمين؟! قُتْسِرُ النار؟!!

يؤكد هذا أن رسول الله ﷺ قرن فى الحديث بين تسعير النار ومجئ الفتن (...). سُعِرَت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم....).

(٢٥) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ (/١٣/ التكوير)

ومعناها اللغوى: وإذا الجنة قُربَتْ، وربما يتبادر إلى ذهن القارئ أن هذا سيكون بعد الحساب وهو غير صحيح، وأن كان من الصحيح أن الجنة ستقرب بعد الحساب أيضاً حسب ما ورد فى سورة ق لكن خبر التقريب فى سورة التكوير غير خبر التقريب الوارد فى سورة ق، وفى سورة التكوير التقريب شرطى ونسبى وفى سورة ق التقريب غير شرطى ومطلق. وفى سورة التكوير التقريب لكل الناس لأنه للأرض أما فى سورة ق فالتقريب للمتقين أولاً ثم لسائر المسلمين.

وفى سورة التكوير التقريب هو أحد أمارات يوم القيامة الصغرى واشراطها وهو من مسرات يوم القيامة أما فى سورة ق فهو من نتائج الحساب وفى آخره بل هو خبر عن وقوف المسلمين أمام أبواب الجنة فى آخر مشهد من مشاهد القيامة الكبرى وهذا ما يتأكد لنا من آيات سورة ق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نُقُولُ لْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ

مَزِيدٍ (٣٢) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ / ٣٠ - ٣٥ / ق ﴿ فبعد امتلاء النار أو أثناء امتلائها تُقَرَّبُ الجنة للمتقين غير بغير أى يصيروا على أبوابها، ويقال لهم هذا ما توعدون باسم الإشارة للقريب ومن ثم فهي تحت أبصارهم إن لم تكن تحت أقدامهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (٣٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ / ١٣ - ١٤ / التكوير﴾ فيفيد أن بعض النفوس ستعلم ما أحضرت، وهو ما يكون من العبد إذا أيقن الهلاك وأنه سيموت، فإنه يستعرض كل حياته من أولها إلى آخرها في لحظة واحدة فيعلم ما أحضر معه، وسيذهب به إلى العالم الآخر. وعلى هذا فتقريب الجنة في هذه الآية هو من الشروط أو الأمارات التي تأتي بعد إذا، وإذا تسبق فعل الشرط وجواب الشرط لابد أن يكون بعد فعل الشرط في الزمن لأن فعل الشرط يسبق جواب الشرط إذ أن معنى الشرطية هو أن الجواب لا يحدث إلا بعد حدوث الفعل وعلى هذا فإن تقريب الجنة في سورة التكوير لابد أن يحدث في الدنيا قبل القيامة سواء الصغرى أو الوسطى أو الكبرى بل هو قبل الوسطى التي يموت فيها بعض الناس، وليس كل الناس، لأن قوله تعالى نَفْسٌ بِالنَّكْرَةِ يَفِيدُ الْبَعْضَ بِخِلَافِ النَّفْسِ أَوْ النَّفُوسِ الَّذِي يَفِيدُ الشَّمُولَ وَالْكُلِيَّةَ لِأَنَّ أَلْفَ وَلامَ التعريف تفيد الاستغراق كما هو معلوم، وعلى هذا فتقريب الجنة في سورة التكوير لابد أن يكون في الدنيا كتسعير النار وكسائر الامارات العشر السابقة عليهما والتقريب يكون بالمقرب أى التلسكوب، وهذا هو الذى يمكن أن يحدث إذا رصد الفلكيون المعاصرون الجنة وصورها بالتلسكوبات الالكترونية الحديثة، فإن رؤيتها ورصدها يكون نتيجة لتقريبها بالمقرب (التلسكوب) ومن ثم ينطبق هذا الحدث إنطباقاً تاماً على قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أى قُرِبَتْ بالمقرب، وقد حدث هذا بالفعل منذ بضع سنوات وتم نشره ولكن توضيحه يحتاج إلى بسط وتفصيل لا يسمح به هذا المقام لذا سنعرضه فى جزء لاحق من الموسوعة بإذن الله تعالى.

ويكفى هنا أن ثبت أن المنطوق اللغوي يقرر أن اقتراب الجنة في سورة التكوير يكون في الدنيا قبل هلاك بعض النفوس أي قبل القيامة الصغرى. ومقتضى المنطوق اللغوي مقدم على دلالة المفهوم أو النتيجة المستنبطة كما هو معلوم عند الأصوليين وأن نذكر بأن الله تعالى خلق البشر من هذه الأرض وأنه يميتهم فيها ثم يخرجهم منها ويحشرهم عليها للحساب ثم لكي يدخل أهل الجنة الجنة لا بد أن يعبروا الصراط أي الجسر الذي يتقلوا عليه من هذه الأرض الدنيوية إلى أرض الجنة وهذه الحقيقة إيمانية المعلومة من الدين لكل مسلم بالضرورة تستتبع نتيجة لازمة وهي أن الجنة ستصبح قريبة من الأرض يوم الحشر، وهذا يستتبع أن تقترب الجنة إلى أرضنا فإذا كانت المسافة بينهما محسب بالسنين الضوئية، فإنه يلزم أن يبدأ الإقتراب بينهما من قبل ذلك حتى إذا قام الناس من قبورهم للحشر والحساب تكون الأرض قد قطعت المسافة التي بينهما وقربت إلى الحد الذي يسمح أن يقرب بينهما الصراط أي الجسر. وسنعود لبحث هذا تفصيلاً في جزء لاحق بإذن الله تعالى والخلاصة أن التقريب في التكوير نسبي أي بالنسبة إلى ما كانت عليه من قبل، وهو للأرض كلها وليس للمؤمنين فقط وإنما للأرض ومن فيها باعتبارها كوكباً^(١).

(٢٦) جواب الشروط الاثنى عشر في سورة التكوير :-

قال تعالى: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ / ١٤ / التَّكْوِيرُ﴾ قال ابن كثير (هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم نفس ما عملت)، وأورد ابن كثير بسنده الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم [عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أُجْرِي الحديث].

والذي أود أن أنبه إليه أن الاثنى عشر شرطاً إذا تحققت حدث المشروط وهو علم نفس بما أحضرت، ومن ثم فالأثنى عشر المُسَرَّات المتفاقمات تحدث قبل علم نفس بما أحضرت، وجواب الشرط ليس هو الذي يحدث في يوم الحساب بعد البعث الذي وردت أخباره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا

(١) سبعود بإذن الله تعالى إلى الكلام عن الجنة والنار في الكتاب والسنة من خلال معطيات علم الفلك الحديث في أحد الأجزاء التالية للموسوعة بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا / ٣٠ / آل عمران ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ / ١٣ / القيامة﴾ ففى يوم الحساب لا تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت فقط بل وتجد ما عملته محضرا مسجلا فى كتابه الذى يتلقاه يمينه أو بشماله، ويود صاحب العمل السئ أن يكون بينه وبين عمله أو كتابه أمدًا بعيداً. وليس من إنسان إلا ويعلم ما عمل ويجده محضرا بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٢﴾ كما يعلم كل إنسان ما عمله من خير أى من الطاعات وكذا ما عمل من شر أى المعاصى.

أما جواب الشرط فى سورة التكوير (علمت نفس ما أحضرت) فهو مختلف تماما لأنه مما يحدث هنا فى الدنيا وسيحدث عندما تقوم القيامة الصغرى ويقع الزلزال العظيم وتقع الحسوف الثلاثة ويقتل ويموت كثير من البشر فعند ملاقة الموت وفى لحظة واحدة بعد تيقن المرء أنه هالك لا محالة يمر بخاطره شريط ذكريات تتسلسل فيه أحداث حياته، فقط يعلم ما أحضر من أعمال، فالآية تدل على عدة حقائق بمقتضى منطوقها اللغوى:

١ - أنها جواب شرط للأشراط الاثني عشر السابقة، فهو يحدث بمجرد تحققها جميعا وقد اثبتنا أنها جميعها تحدث بل وحدثت، ومن ثم يحق لنا أن نرتقب تحقيق المشروط، وهو علم نفوس بما أحضرت أى مواجهة الموت.

٢ - ورد فى الآية ذكر الذى يعلم بصيغة النكرة (نفس) وهذه تفيد البعضية وتنفى العموم. وبخلاف قوله فى الآيتين الاخيرين (كل نفس) أى جميع النفوس من الإنس والجن وقوله (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ) أى كل إنسان لان الألف واللام تفيد الاستغراق والإنسان اسم جنس فالعلم بالعمل يوم البعث لكل الناس والعلم يوم الهلاك بالقيامة الصغرى للهلكى فقط أى للبعض.

٣ - ورد ذكر العمل بقوله تعالى: ﴿ما أحضرت﴾ من غير ذكر علم الإنسان بما هو

خير في عمله وما هو شر لأن هذا لا يكون إلا بعد تسلم الكتاب يوم الحساب والميزان أما قبل الهلاك والحظة الموت فهو مجرد شريط ذكريات من غير تقييم.

٤ - وهذا هو الذى يحدث للذى يواجه الموت غرقاً أو في حادث حسب ما أثبتت بعض الدراسات النفسية على الذين واجهوا الموت ثم نجوا وهو مجرد تذكر الأعمال أو شريط من الذكريات منذ الطفولة المبكرة حتى الموت اما في يوم الحساب فالعلم لكل الناس وهو علم ما هو خير أو شر أو بما قدمت من خير وأخرت من شر.

وعلى هذا فإن قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت يتحقق في الدنيا، وهو دليل على موت بعض البشر في أحداث القيامة الصغرى وليس كل البشر.

٥ - خلط ابن كثير وغيره من المفسرين بين هذا الحدث وبين أحداث الحساب في القيامة الكبرى وهو من الأخطاء الشائعة عند المفسرين إذ جعلوا النفخات في الصور اثنتين فقط وقد نبهنا إلى مثل هذه الأخطاء في الجزء الثانى .

(٢٧) أسماء المسرات المتفاقمات الاثنى عشر فى سورة التكويد
اسماء لعلامات على مظاهر حضارية اكثر من كونها اسماء
للأشياء نفسها:-

وذلك لأن علامة الشيء ليست هى حقيقة الشيء، بل هى غيره، وربما تكون عرضاً من أعراضه أو صفة خارجية من صفاته، ولكنها لا تعبر عن حقيقة الشيء أو عن صفة ذاتية له.

ومثال هذا العلامة التى يضعها ضابط الشرطة أو ضابط الجيش، تلك التى تدل على رتبته فعلاية رتبة اللواء الموضوع على كتف الضابط الكبير ليست هى الرتبة، وليست هى الضابط، لأن رتبة اللواء تعنى بالنسبة لمن يحملها خبرة سنين وعلوم عسكرية وشخصية ذات خصائص محددة تجعله مؤهلاً أن يقوم بعمله، ومن ثم

فكونه أهلاً لهذه الرتبة معناه بالضرورة أنه غير العلامة الموضوعية على كتفيه، لأن المؤهلات النفسية والعقلية المعبرة عنها الرتبة أمور باطنية إنسانية والعلامة رمز مادي، كالعلم تتخذ الدولة رمزا لها ويمكن أن يتغير هذا الرمز مع ثبات الدولة، وعلى هذا إذا قلنا أن أسماء الاثنى عشر أمانة المسرات المتفاقيات أسماء علامات على مظاهر التقدم الحضارى فى عصر القيامة الصغرى، فهى ليست أسماء لهذه المظاهر الحضارية، وإنما هى رموز تدل عليها، ولا تكون إلا بها.

فتجميع اشعة الشمس رمز للعدسة والتقدم فى علم الضوء وكل المخترعات البصرية والطاقة الشمسية.

وانكدار النجوم ليس مظهرًا من مظاهر الحضارة، وإنما هو علامة أو رمز للمظهر الحضارى الذى هو إضاءة المدن بالكهرباء وبالتالي يمكن أن يكون دليلاً على جميع استخدامات الكهرباء.

وتسيير الجبال رمز ودليل على المخترعات المعاصرة من المعدات الثقيلة فى التشييد والهدم والبناء.

وتعطيل النوق والجمال المخصصة لقوافل السفر عن السفر عليها علامة على جميع وسائل الانتقال والسفر والنقل الخفيف والثقيل فى البر والجو.

وحشر الوحوش علامة على التقدم الحضارى فى كثير من مجالات الحياة مثل الصيد بأساليب مختلفة والنقل والطب البيطرى وأجهزة التكييف تبريداً وتدفئة لصناعة البيئة المختلفة المناسبة لكل وحش كما هى فى موطنه الأصلي.

وكذلك فيه علامة على التقدم فى ترويض الوحوش وتدريبها للعمل فى السيرك. وتسجير البحار دلالة على استخراج البترول وتكريره واستخدام مشتقاته فى أخطر المجالات ومنها توليد الكهرباء، ومن ثم لأنه روح هذا التقدم فى جميع المجالات جاء ترتيبه السادس بين العلامات أى أنه فى المنتصف.

أما تزويج النفوس بالاستنساخ فهو علامة على آخر ما توصلت إليه العلوم الصحية والطبية والجراحية والهندسة الوراثية.

أما سؤال المؤودة فهو علامة حضارية خلقية فى آن واحد، لأنه ما كان أن يتم الاجهاض بوسائل حديثة لمنع الحمل أو الاجهاض لاستخدام الاجنة لصناعة كريم الوجه أو القتل لبيع أعضاء الأطفال إلا بالتقدم الحضارى ويعتبر ذكرنا لحادثة قتل ديانا بسبب حملها لجنين سيكون مسلما وبسبب رغبتها فى الإسلام أبشع جريمة وأد فى التاريخ تغضب الله عز وجل، لأن الاجابة الوحيدة التى تقدمها هذه النفس بعد وأدها عن سبب قتلها هى: لاننى كنت سأكون نفساً مسلمة. فحالة الواد هذه علامة على ما وصلت إليه أخلاق الناس من الاستهانة بإزهاق الأنفس لأسباب اقتصادية وخلقية وقمة هذا كله السبب الدينى الذى دلَّ على أنهم ينظرون إلى الإسلام على أنه عار يجب التخلص منه، فلا يظن القارئ أنى أفسر هذه الآية بحادثة ديانا بل بظاهرة الواد الخفي الذى هو منع الحمل وقتل الاجنة. أى الاجهاض ثم قتل الاطفال وخنقهن لأسباب دنيوية وقمة هذه الظاهرة وأجلى علامة ورمز لها هى قتل الاميرة المحبوبة بقصد وأد فى رحمها مع البكاء عليها.

وأما نشر الصحف فهو علامة حضارية على كل ما وصل إليه التقدم الاعلامي مقروءاً ومسموعاً ومشاهدراً لأن كل ما يث عن طريق وسائل الإعلام يبدأ برسالة مكتوبة فى صحيفة فالصحيفة المكتوبة بالقلم رمز للنشر الاعلامي الواسع بأنواعه المتعددة، فالصحف مذكورة باعتبارها رمزا وعلامة وليست بذاتها.

أما كسش السماء فهو علامة واضحة على ما حدث من ضعف فى طبقة الاوزون فوق القطبين المتجمدتين، وهو علامة أيضا على فساد البيئة. نتيجة الاستخدامات الصناعية.

وتسعين الجحيم علامة على غضب الله تعالى الذى يوشك أن ينزل به عذاب القيامة الصغرى إذا لم يتوبوا إليه عز وجل.

وقرب الجنة دليل على قرب نهاية الدنيا التى ليس بعدها إلا نار مُسَعَّرَةٌ للكافرين أو جنة ونعم أبدى للمؤمنين. فهما أيضا علامتان على قرب القيامة وانتهاء الدنيا.

والخلاصة أن الاثنى عشر فى سورة التكوين مجرد رموز لمظاهر حضارية وعلامات عليها.

الفصل الثالث

الاقمار الصناعية بذروة سنام المُسِرَّات المتفاقمات في القراءُ الكريم

- ٢٨ - اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الحُنس الجوار الكُنس.
- ٢٩ - الاقمار الصناعيةُ واستخداماتها.
- ٣٠ - انطباق صفتي الخنوس والكنوس معا على الاقمار الصناعية.
- ٣١ - أقمار صناعية للاتصالات والبث التليفزيوني حُنسٌ جوارى كُنسٌ.
- ٣٢ - الصلة والمناسبة بين القسم بالخنس (الاقمار الصناعية) وبين المقسم عليه وهو قوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم).

(٢٨) اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخنس الجوار

الكنس:

قال تعالى فى سورة التكويد بعد ذكر المسرات المتفاقمات مقسما ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) / التكويد﴾ فماذا قال قدامى المفسرين فى ﴿بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾؟ ورد فيها قولان: الأول هى النجوم، والثانى: هى بقر الوحش أو الظباء.

الأول: أورد ابن كثير رحمه الله الأقوال التالية بسندها: (عن على ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: (هى النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل) قال ابن كثير بعد هذه الرواية (وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم أنها النجوم وروى ابن جرير بسنده عن بكر بن عبدالله فى قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال هى النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق).

قال ابن كثير (وقال بعض الأئمة: وإنما قيل للنجوم الخنس أى من حال طلوعها، ثم هى جوارى فى فلكها، وفى حال غيوبتها يقال لها كنس من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه).

الثانى: وهو بقر الوحش أو الظباء أورد فيه ابن كثير ما يلى (وقال الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبدالله فلا أقسم بالخنس قال: بقر الوحش، وكذا قال الثورى عن أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عبدالله: فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس ما هى يا

عمر؟ قلت: البقر قال: وأنا أرى ذلك، وكذا روى يونس عن أبي إسحق. وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (الجوار الكنس) قال: البقر تكنس إلى الظل، وكذا قال سعيد بن جبير. وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء، وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر.

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة من إبراهيم ومجاهد: أنهما تذاكرا هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُصِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُصِ﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت؟ قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون: أنها النجوم.

قال فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال فقال مجاهد: كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس حجرتها.

قال: (فقال إبراهيم أنهم يكذبون عَلَى عَلَى هذا كما رَوَوْا عن علي أنه ضمن الأسفل إلا على وإلا على الأسفل).

أما ابن جرير الطبري رحمه الله فقد توقف حيال القولين ولم يرجح أحدهما على الآخر بل قال (ويحتمل أن يكون الجميع مراداً).

وإذا كان لي من تعليق على اختلاف المفسرين من السلف حول تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُصِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُصِ﴾ فهو قولي: إنهم رحمهم الله اختلفوا حول تفسيرين، الأول: باللغة أي بمحض المدلول اللغوي والآخر تفسير مأثور عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهو تفسيرها بالنجوم الدراري، وهو مخالف للتفسير اللغوي الذي لا يحتمل إلا الظباء وبقر الوحش كما سنرى.

بيد أن ابن كثير حقق الأثر السوارى عن سيدنا علي بن أبي طالب القائل بالنجوم الدراري وصححه فقال بعد أن روى الأثر بسنده (وهذا إسناد جيد صحيح) وقد

أورد الاثر باكثر من سند جيد. فلا مجال إذن لقول إبراهيم السابق (إنهم يكذبون على على) مادام السند جيد صحيح، ولعله لم يقل قوله هذا إلا لأنه لم يكن يعلم صحة السند، ولأنه من ناحية أخرى كان يعلم أن سيدنا على لا ينقصه العلم بلغة العرب، ومن ثم استبعد أن يفسر الآيتين تفسيراً بعيداً عن اللغة أو مخالفاً لها.

ولكن مادام الأثر صحيحاً فإن تفسير قسم الله تعالى بالخنس بأنه قسم بالنجوم لا بد أن يكون لأن سيدنا على بن طالب رضى الله عنه قد تلقاه من سيدنا رسول الله ﷺ ولكنه لم يرفعه له لحكمة، وإن كان بهذا الاعتبار فى حكم المرفوع.

ونظراً لأن القول الأول بأثر صحيح عن على بن طالب والقول الثانى بمحض اللغة وكلاهما مما لا يجوز رفضه ونظراً للتباين بينهما تبايناً صعباً على ابن جرير الطبرى التوفيق بينهما، وإنه رحمه الله توقف فلم يرجح احدهما على الآخر وفى نفس الوقت لجأ إلى الجمع بينهما وقال: (ويحتمل أن يكون الجميع مراداً)، ولم يجزم به لقوله (ويحتمل). والذى أرجحه، والله تعالى أعلم، أن هذا القسم لا يجوز تأويله بعيداً عن حديث رسول الله ﷺ عن مُسَرَّات يوم القيامة المتفابقات لأن قوله ﷺ (من سرّ أن يرى القيامة رأى عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾...) إلى آخره يفيد قراءة السورة بكاملها ومن ثم فالقسم الوارد بها لا بد أن يكون من الأحداث أو المظاهر أو المخترعات التى هى مُسَرَّات يوم القيامة أى مبهجات هذا العصر الأخير من عصور البشرية، عصر زخرفة الأرض وزينتها وقوة بطش أهلها حتى يصلوا إلى الظن بأنهم قادرون على حمايتها مما يأتى من السماء من عذاب فى شكل نيازك ضخمة أو زلازل وخسوف وكذلك الظن بأنهم قادرون على رؤية أى جزء من سطح الأرض وتصويره وتحديد أى شىء على سطحها بدقة تبلغ القياس بالسنتيمتر، كما أنهم استطاعوا رصد ما فى باطن الأرض من معادن وبتروى ومياه جوفية بالتصوير الجوى والفضائى وبلاستشعار عن بعد، وباستخدام الاقمار الصناعية فى التجسس والاتصال والرسال التليفزيونى الإعلامى وفى إدارة المعارك الحربية جعلهم يظنون أنهم قادرون عليها.

وعلى هذا فلا بد أن يكون قسم الله تعالى بالخنس الجوار الكنس قسما بشيء خاص بهذا اليوم، لم يكن له وجود قبله، أو هو لم يحدث من قبل.

وحسب القاعدة التفسيرية الثابتة التي تقول أن كل آية في السورة لابد أن تكون مرتبطة بسياقها وبموضوعها العام، فليس القرآن الكريم آيات متفرقات لا صلة بينهما بل الصلة قائمة حتي بين كل سورة والتي تليها وكل آية والتي تليها وكل آية والسورة التي هي فيها، وإن خفيت علينا بعض الصلوات أحيانا.

فما الصلة إذن بين قَسَمِ تعالى ﴿بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ وبين مُسِرَّات يوم القيامة الاثني عشر؟!

وكذلك ما الصلة بين هذا القسم والقسم الذي جاء بعده في السياق وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾

ونبدأ ببيان المعنى اللغوي لهذين القسمين فما هي الخنس؟

قال ابن فارس في معجمه (الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر. قالوا: الخنس الذهاب في خفية. يقال خَنَّسَ عنه وأخنس عنه حقه، والخنس: النجوم تخنس في المغرب، وقال قوم سُمِّيَتْ بذلك لأنها تختفي نهاراً وتطلع ليلاً والخناس من صفة الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، ومن هذا الباب الخنس في الأنف إنحطاط القصبة. والبقر كلها خنس)^(١).

وقال ابن منظور (خنس: الخنوس الانقباض والاستخفاء. خنس من بين أصحابه: انقبض وتأخر، وقيل: رجع. وأخنسه غيره خلفه ومضى عنه. وفي الحديث (الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس أى انقبض منه وتأخر).

قال الأزهري وكذا قال الفراء في قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال: إبليس يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس؛ وقيل: إن له رأساً كراس الحية

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص ٤ / ص ٤٧٨.

يجثم على القلب، فإذا ذكر العبدُ الله تنحى وخنس. وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوسُ نعوذ بالله منه.. ثم قال ابن منظور قول (الأزهري: خنس) فى كلام العرب يكون لازما ويكون متعديا يقال: خَنَسْتُ فلانا فخنس أى أخرته فتأخر وقبضته فانقبض.. وهكذا قال ابن شميل فى حديث رواه: (يخرج عنق من النار فتخنس بالجبارين فى النار)، يريد تدخل بهم فى النار وتغييهم فيها. يقال خنس به أى ورَّاه ويقال: يخنس بهم أى يغيب بهم، وخنس الرجل إذا توارى وغاب، وأخنسته أنا أى خلفته.

والكواكب الخُنُس: الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الطباء وهى: زُحَلُ والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تختفى تحت ضوء الشمس وتكنس أى تستر كما تكنس الطباء فى المغار، وهى الكناس وخنوسها إستخفاؤها بالنهار بينا نراها فى آخر البرج كرت راجعة إلى أوله ويقال: سُمِّيتْ خُنُسًا لتأخرها... ويقال هى الكواكب السيارة دون الثابتة). ويقصد بالثابتة النجوم. ثم قال ابن منظور (الزجاج فى قوله. قلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. قال: أكثر أهل التفسير فى الخُنُس أنها النجوم وخنوسها أنها تغيب وتكنس تغيب أيضا كما يدخل الطبى كناسه)(١).

(وفى الصحاح: الكُنُس الكواكب لأنها تكنس فى المغيب أى تستتر... والكنس جمع كناس وهى التى تغيب من كنس الطبى إذا تغيب واستتر فى كناسه، وهو الموضع الذى يأوى إليه.

والكُنُسُ كسح القمام عن وجه الأرض، وكُنُسَ الموضع يكُنُسُه بالضم كنسا كسح القمامة عنه)(٢).

(والكناسُ: الطبى يدخل فى كناسه، وهو موضع فى الشجر يكتن فيه ويسْتَرِ وطباء كُنُسٌ وكُنُوسٌ)(٣).

(٢) كنز المال ١١/٣١٤٤٦، و٣١٠٢٤.

(٣) كنز العمال ١١/٣١٠١٦.

وعلى هذا نقول إن عناصر مادة خنس هي: الاختفاء والتغيب والتأخر والتخلف والتوارى والانقباض، واللجوء إلى الظل للإختفاء في ظلمته.

لكن للكلمة صيغا للمبالغة متعددة إذ تعدد صيغ اسم الفاعل منها كقولنا خانس وخناس وخُنُوس وأكثرها مبالغة في المعنى كُنُس كقولنا نساء كُمُلُ، فهن أكثر كمالا من كاملات.

فكونها خُنُس، أى أن هذا الذى أقسم به الله عزوجل من شأنه أنه يخنس كثيرا جدا، لأن إبراز هذه الخاصية فيه، وذكره بها يدل على أن هوية هذا الشيء ووظيفته أو غايته أو فائدته تكمن في كثرة تغيبه بعد ظهوره، ومن ثم كثرة ظهوره بعد تغيبه، فالغيب والاختفاء والتوارى والتخلف أهم ما يميزه، إذ تتحقق الغاية منه والفائدة المرجوة من وجوده بتغيبه الكثير أى المتكرر وتكرار التغيب يستلزم تكرار الظهور لأن كلاهما لا يكون إلا بعد الآخر.

ولكن هذا الشيء الذى يخنس كثيرا جدا هو الذى وصفه الله عزوجل بأنه يجرى ويكنس بقوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ والكنُس صيغة مبالغة من كنس يكنس وهى على وزن خُنُس أيضا وهى مأخوذة كما علمنا من قول العرب عن الظبي يأوى إلى كُنَّاسِهِ أو يكنس إلى بيته، فالكنس لابد أن يكون انتقالا على الأرض إلى ما يختفى فيه الظبي سواء كان بيته أى كهفه أو إلى ما يكتنه من ظل أشجار الغابة ويحميه من حرارة الشمس أو من الخطر. ومن ثم رفض بعض السلف: مجاهد وإبراهيم وغيرهما تفسير (الخُنُس الجوارى الكنس) بالنجوم أو الكواكب، لأن القول بأنها خُنُس لأنها تختفى لا يصدق ولا يتطابق على الكواكب لأنها تظهر بالليل وتختفى بالنهار أى بالعكس أى يقدح فى هذا القول أن كل النجوم وكذلك القمر يظهرون بالليل ويختفون بالنهار، كما أن الشمس تظهر بالنهار وتختفى بالليل فكل أجرام السماء تخُنُس مرة كل يوم: النجوم والكواكب والقمر جميعها تخُنُسُ مع طلوع النهار. والشمس

تخنس مع مجيء الليل. فإذا كان القسم بالخُنس يتطابق ويصدق على الكواكب الخمسة، فهو أيضا، بهذا المعنى للاختفاء اليومي، يَصْدُقُ على النجوم والقمر والشمس أيضا.. فلم نقصرها على هذه الكواكب الخمسة؟!

والاعتراض الثانى وهو الرئيسى والجوهري الذى يمنع القول بأنها الكواكب السيارة، ومن ثم رفضها المفسرون من التابعين، هو أن هذه الخُنس تتصف، مع كونها خُنس أى كثيرة الغياب، بأنها أيضا جوارى كُنس فهي سريعة فى حركتها سرعة كافية لكي تجعلها تكنس إلى خباثتها أو إلى الظل بسرعة بينما الكواكب لا تختفى بلجوثها إلى الظل وإنا تختفى بسبب ضوء النهار، وليس بسبب سرعة لجوثها إلى الظل، وهذا وجه مخالفة لا يمكن إهماله، كما أنها ليست سريعة فى إختفائها، وليس اختفاؤها متكررا وكثيرا حسب دلالة صيغة المبالغة الواردة فى لفظ خُنس، والواردة فى لفظ كُنس، فحركة الكواكب البادية للعين مثل حركة النجوم والشمس والقمر، فهي لا تتميز عنهم بأنها جوارى. من أجل هذا رفضوا الأثر الوارد عن سيدنا على رضى الله عنه مع صحته، لأن هذا الوصف لا يصدق على الكواكب أو النجوم، والتزموا المعنى اللغوى المحض للقسم الإلهى بالخنس، وهو الظباء وقر الوحش لكن من ناحية أخرى نجد أنه يصدق عليه وصف الجوارى الكُنس ولا يصدق عليه وصف الخُنس، من هنا توقف ابن جرير الطبرى رحمه الله بعد أن تكافأت عنده أدلة القولين.

والذى أفسر به هذا القسم الإلهى الكريم فى ضوء المُسرَّات المتفاقمات، وفى ضوء عصر زُخْرَفَةِ الأرض وزينتها وهو العصر الذى يظن أهلها أنهم قادرون عليها، أقول أفسر هذا القسم بأحد أهم مظاهر التقدم العلمى والتقنى ووسيلة من وسائل قوة الإنسان فى الأرض، تلك التى مَكَّنَ الله تعالى بها للإنسان فيها بما أتاه من سلطان علم الأسماء الذى هو المؤهل الأساسى لاستخلاف الإنسان فيها. هذه الوسيلة التى أقسم الله تعالى بها هى الأقمار الصُنْعية التى يُطْلَقُ عليها فى الإعلام الأقمار الصناعية.

(٢٩) الأقمار الصناعية واستخداماتها:-

يقول عنها المختصون أن اطلاق أول قمر صناعى روسى كان عام ١٩٥٨ ثم أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول قمر صناعى لها فى ديسمبر عام ١٩٥٨ وأرسلت أمريكا من خلاله رسالة عيد الميلاد لسلام العالم من الرئيس أيزنهاور إلى هذا القمر وتم تسجيلها فى أجهزته، ثم بثها من القمر إلى العالم، فكانت هذه الرسالة أول صوت يسمعه الإنسان آتيا من الفضاء وعمل هذا القمر لمدة ١٣ يوما فقط.

ثم تابعت أقمار الاتصالات مع ثورة الالكترونيات والاتصالات الدولية الهائلة، وتم انشاء أول منظمة عام ١٩٦٤ وهى إنتلسات، أطلقت أول قمر تجارى للاتصالات عام ١٩٦٥ (إنتلسات ١) كانت سعته ٢٤٠ قناة صوتية وقناة تليفزيونية واحدة بين أمريكا وأوربا ثم تابعت أجيال الأقمار الخاصة بالاتصالات حتى وصلت ستة أجيال موفرة أشكالا متنوعة من الاتصالات القمرية مقدمة خدماتها إلى أكثر من ١٦٥ دولة ضمن شبكة متكاملة تضم ١٥ قمرا صناعيا.

واستخدمت أمريكا والعديد من الدول الأقمار الصناعية للأغراض العسكرية وبنت أعدادا معلومة من هذه الأقمار وأطلقتها محتفظة بأسرارها لنفسها وهذه الأقمار تساهم فى توجيه أساطيلها البحرية والغواصات فى أعماق المحيطات أو البحار والسفن، وكذلك أسلحة الطيران المختلفة حتى ظهر مفهوم عسكرة الفضاء لامتلائه بأعداد هائلة من الأقمار التى جعلوا بعضها فى مدارات بيشاوية تكون قريبة جدا فى بعض الأحيان من الأرض وبعيدة أحيانا أخرى نسبيا.

وأستخدمت الأقمار الصناعية لأغراض مدنية مثل التنبؤ بحالة الطقس اليومية وربما على مدار الساعة عن طريق معرفة اتجاهات الرياح والسحب والاعاصير والمنخفضات الجوية ونتائجها، والسبيل إلى العلم بهذا كله هو الرؤية المباشرة لكوكب الأرض وما يحدث فى أجوائها من خلال التصوير الفضائي لها الذى يقوم به القمر ثم يثبه إلى المحطات الأرضية وأجهزة الاستقبال.

واستخدمت الأقمار الصناعية فى تعميم الإرسال التلفزيوني المحلي للدول عن طريق إرسال هذا البث إلى قناة خاصة فى القمر الصناعي، ثم إرسال هذا البث إلى منطقة واسعة من الكرة الأرضية، فظهر ما يُعرف الآن بقنوات التلفزيون الفضائية التى تستقبلها المنازل عن طريق مُستقبلات خاصة تُعرف الآن «بالدش» فوق الأسطح. ومن أهم وأخطر استخدامات الأقمار الصناعية التجسس على الدول المعادية بتصوير ما يقع فوق أرضها من منشآت عسكرية وتحركات لجيوشها، وكذلك من استخداماتها ما يُعرف بالمسح الجيولوجي للأرض، عن طريق التصوير، أو ما يعرف بالاستشعار عن بعد، وهكذا تبين لنا أن الأقمار الصناعية متعددة المنافع والأغراض ومن ثم اختلفت أنواعا:

أولاً: أقمار استقبال البث التلفزيوني وإعادة بثه إلى مساحة كبيرة من الأرض بما يعرف بظاهرة القنوات الفضائية، وتقوم هذه الأقمار أيضا بحمل قنوات إتصال تليفونية للخطوط الدولية. وهذه الأقمار تكون فى مدار متزامن مع الأرض ليظل القمر ثابتا فوق موضع واحد من الأرض، لأنه يدور بسرعة الأرض وفى اتجاه دورانه، ومن ثم يظل دائرا بصفة مستمرة مدة عمره الافتراضى التى تبلغ ١٥ عاما فوق نفس البقعة التى وضع عليها، ولتحقيق هذا لابد أن يكون ارتفاعه فى حدود ستة وثلاثين ألف كيلومتر، لأن سرعته البطيئة نسبيا، وهى نفس سرعة الأرض لا تسمح له بالاقتراب إلى الأرض وإلا جذبته الأرض وسقط على سطحها، فلكى يستقبل هذا القمر من دولة معينة أو بقعة معينة من الأرض ويرسل إلى بقعة أوسع قد تصل إلى ثلث محيط الكرة الأرضية فلا بد أن يظل ثابتا فوق هذه البقعة التى يستقبل منها ويكون فى مواجهة ثلث محيط الكرة الأرضية التى يبت إليها ومن ثم تمكنت الولايات المتحدة من بث إرسالها التلفزيوني عبر ثلاثة أقمار تغطى كل محيط الأرض، وهذا لا يتحقق إلا بأن يدور القمر فى مدار من الغرب إلى الشرق، وهو نفس اتجاه دوران الأرض، ويكون فوق خط الاستواء حتى يكون دورانه حول مركز الأرض، ثم لابد لى يتحقق ثباته فوق بقعة واحدة أن يكون دورانه بنفس سرعة الأرض، وحيث أن سرعته هذه لا تعطيه قوة طرد مركزية فلا مناص من أن يرتفع

مبتعدا عن منطقة قوة جاذبيتها إلى ارتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر مربع أو أكثر هربا من مجال الجاذبية القوي إلى المجال الأضعف الذي يمكنه مقاومته فلا يسقط. وعلى هذا فإن هذا النوع من الأقمار لا يصدق عليه أنه من الجنس الجوار الكنس معا وإن كان يصدق عليه وصف الجوار الكنس فحسب.

ثانيا: أقمار التجسس والمسح الجيولوجي ومراقبة أحوال الطقس وتوجيه السفن والغواصات والطائرات في كل محيطات الأرض وقاراتها وأكثرها لأمريكا وروسيا وأوروبا: وهذا النوع يختلف عن الأول، إذ لابد لكي يقوم بالمهام وبالتصوير المطلوب وتحديد أماكن المعدات العسكرية بدقة أن يكون على إرتفاع قريب من سطح الأرض نسبيا فلا يزيد ارتفاعه عن ألف كيلومتر، وربما يقل عن ذلك، ومن ثم لابد أن تكون قوة الطرد المركزية عنده قوية لتعادل قوة الجاذبية الشديدة، بسبب قربه من سطح الأرض، وحيث لا تتأني قوة الطرد المعادلة لقوة الجاذبية إلا بزيادة السرعة، فإن هذا النوع من الأقمار لا يتم دورانه في مدار حول الأرض من غير أن يسقط إلا إذا كانت سرعته في حدود إثني عشرة مرة ضعف سرعة دوران الأرض، ولابد من زيادة السرعة كلما انخفض المدار، وإقترب من سطح الأرض، وعلى هذا فإن القمر الصناعي من هذا النوع الذي يأخذ مداره حول الكرة الأرضية من الغرب إلى الشرق بهذه السرعة يدور حول الأرض مرة كل ساعتين تقريبا أو أقل حسب وزنه وارتفاعه، أى أنه يدخل فوق النصف المظلم فيقطع في ساعة تقريبا، ثم يدخل في مداره فوق النصف المضيء فيقطع في ساعة أخرى، وهكذا يدور حول مداره إثني عشر مرة كل يوم من أيام الأرض، وعلى هذا فإنه يمر على المنطقة المراد تصويرها مرة كل ساعتين ومن ثم يتمكن الجيش المراد رصد تحركاته من الكمون في أثناء مرور القمر فوق مواقعهم ثم التحرك في المدة التي يكون فيها القمر غائبا في الناحية الأخرى من الكرة الأرضية، لأن هذه الأقمار تغيب وتختفي عند دخولها في خطوط الطول الخاصة بنصف الكرة الأرضية من الناحية الأخرى منها، فلا يمكن تصوير البلد المراد التجسس عليه. أثناء اختفائه في الناحية الأخرى من الكرة الأرضية، فهو اختفاء وراء نصف الأرض، ومن ثم يصدق عليه أنه يتوارى.

(٣٠) إنطباق الخنوس والكنوس على الاقمار الصناعية:-

فالاقمار الصناعية كثيرة الغياب والتوارى

والاختفاء وراء الأفق البعيد الذى يمنع تصوير الموقع المراد ويمنع البث والاستقبال. بل إنه يختفى فى اليوم الواحد إثني عشرة مرة أو اقل قليلا أو أكثر حسب سرعته التى يحددها ارتفاعه عن سطح الأرض. فهو كثير الاختفاء والغياب ومن ثم فهو من الخنوس، وهذا تطابق لغوى تام بين الوصف القرآنى وبين واقع هذا النوع من الاقمار وهو تطابق تام بينه وبين الأثر الوارد عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفس الوقت، حين قال إنها النجوم، ومع قول السلف القائلين أنها الكواكب الدرارى التى تظهر فى السماء وتختفى وهو ما يتطابق عليها أكثر من انطباقه على النجوم والكواكب من حيث أنها كثيرة الاختفاء والتورية ليس هذا فقط، بل إن من معانى الخنوس أنها التى تخلف غيرها وراءها، وهذه الأقمار تُخلف وراءها الليل إثني عشر مرة فى اليوم الواحد وتخلف وراءها النهار اثني عشرة مرة وأدق من هذا القول بأنها تمر على الخط الفاصل بين الظلام والنور فى الكرة الأرضية، هذا الذى يكون فجراً أو صباحاً فى ناحية منها ومغرباً وعشاءً فى الناحية الأخرى، وكلا الحالين أو الوقتين إقبال الليل ودخوله عشاءً أو إدباره فجراً فى لغة العرب «عسعس الليل»^(١)، وحيث أن هذه الأقمار تدور من الغرب إلى الشرق فى اتجاه دوران الكرة الأرضية فإنها تدخل منطقة ظلام الكرة الأرضية فتشهد عسعسة الليل عشاء، ثم تجتاز منطقة الظلام وتصل إلى آخرها قبل الوصول إلى منطقة النهار بقليل فتشهد عسعسة الليل فجراً، ثم تدخل فى أول منطقة الضوء فتشهد تنفس الصباح، ويتم هذا فى اليوم الواحد إثني عشرة مرة لذا بدأ بالقسم بالليل إذا عسعس ثم بالصبح إذا تنفس بعد القسم بالخنوس الجوار الكنوس، وإن كان أهل الأرض يشهدون عسعسة الليل عشاء وفجراً كل يوم مرتين وتنفس الصباح كل يوم مرة واحدة لكن الخنوس تشهدا وتخلفها وراءها كل يوم هذه المرات العديدة. لذا جاء خنوسها أي اختفاؤها بأقوى صيغة للمبالغة.

(١) عسعس الليل فى اللغة يطلق على وقت العشاء أى أول الليل كما يطلق على وقت الفجر أى آخر الليل.

وليس الخنوس المتعدد هو خاصية هذه الأقمار المحددة لما هيتهها فقط، بل يحدد ماهيتها مع هذه الخاصية بيان وظيفتها وفائدتها أو الهدف من صنعها وهو أنها (جوارى كنس) لأن القسم الإلهى بها يتضمن تعريفاً لها بالآلف واللام (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فالخصائص الثلاثة المحددة لماهيتها والمخصصة لحقيقتها معرفة بالآلف واللام، جوارى أى شديدة السرعة وهى فى جريها تختفى من فوق المكان المراد مسحهُ بالتصوير الجوى لتعود إلى نفس المكان، فتقوم باستكمال المسح. وإذا كان اللفظ المستخدم حديثاً للتعبير عن التصوير الفضائي سواء أكان للتجسس أم للأغراض العلمية أم الاقتصادية أم الحرية هو المسح الجوى فإن الكنس هو التعبير العربى الدقيق عن هذه العملية، لأن الكنس هو جمع ما على ظهر الأرض من قممات، والتصوير هو جمع ما فوق ظهرها من منشآت أو معدات وكلاهما يشترك فى مدلول الجمع من فوق سطح الأرض، إلا أن الكنس يفيد الجمع مع أخذ، يتم جمعه بينما المسح لا يفيد ذلك، ومن ذلك كنس القممات التى تؤخذ بعد جمعها بعيداً عن المكان. ومن ثم فالأقمار كنس بصيغة المبالغة لما وصلت إليه من دقة التصوير وشموله حتى يمكن القول أنهم كنس كل ما على ظهر الأرض كنساً فصوره أو مسح سطح الأرض مسحاً جغرافياً فصورن كل شئ عليها تصويراً دقيقاً، وذلك عن طريق قمر يدور - ليس من الغرب إلى الشرق فوق مدار خط الاستواء، ولكن من الشمال إلى الجنوب، فمثل هذا المدار يمكن من كنس صور لكل ما على الأرض من تضاريس ومن منشآت بقاطع طولى، أى يتم المسح فى إتجاه خطوط الطول، وحيث أن هذا القمر عندما يقطع دورة واحدة من الشمال إلى الجنوب، ويعود إلى الشمال مرة تالية، تكون الأرض قد دارت دورة أو أقل من الغرب إلى الشرق، فإن الدورة التالية للقمر لن تمر على نفس الخطوط الطولية للأرض، بل يستمر على خطوط جديدة أو ما بعد الخطوط التى مرت عليها من قبل، فتكنس بهذا بلاداً جديدة، ومن ثم يمكن لهذا القمر كنس صور كل ما على الأرض خلال عدة دورات يقطعها فى اسبوعين أو ثلاثة حسب سرعته.

فالاقمار المدارية التي تمر فوق خط الاستواء أو الأخرى القطبية التي تمر عبر القطبين على ارتفاع منخفض نسبياً وتتم دورتها في ساعتين تقريباً هي الجنس لسرعة اختفائها بعد ظهورها وكثرة الظهور والاختفاء، ثم هي الجوارى الكُسن التي يمكنها كنس ما على الأرض أو مسحه، كما يقولون، في مدد وجيزة فاستحقت بذلك صيغة المبالغة في الخنوس والكنس. وهي وحدها التي يصدق عليها هذه الخصائص الثلاث. وهي التي لها صلة مباشرة بالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفس، وهي أيضاً من مسرات يوم القيامة المبهجات، وهي أيضاً مما توصلت إليه البشرية عبر مراحل وأجيال تطورت صناعتها حتى صارت إلى ما صارت عليه الآن، ومن ثم فهي من الأمور المتفارقة أي المتعاطمة بالتطور جيلاً بعد جيل.

أما الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات والبث التلفزيوني الفضائي هذه التي تكون على ارتفاع شاهق ٣٦٠٠٠ ألف كيلومتر فلا يصدق عليها وصف الجنس لأنها لا تختفي بعد ظهور عن أعين المحطات الأرضية لهذه المحطات ولا تظهر بعد اختفاء، لأنها تكون فوق بقعة من الأرض وتدور بسرعتها وفي اتجاهها فتبدو ثابتة فوق هذه البقعة، ومن ثم تظل ظاهرة ومتصلة بصفة دائمة بالمحطة الأرضية التي تتلقى منها أو تبث إليها فهي أذن من الجنس فقط لأنها تتلقى البث والاتصالات وتكنسها كنساً وبصفة مستمرة، بخلاف اقمار التجسس والمسح الجيولوجي التي تتصل بمحطاتها الأرضية لمدة ساعة وتخنس عنها ساعة أخرى وهكذا، أما الجنس فهي تكنس ما يرسلونه إليها ثم تكنس ولا تمسح الأرض لأي غرض من الأغراض، بل هي تكنس ما يرسلونه إليها ثم تبث من مداراتها الفتن وتنزل هذه الفتن على أسطح بيوت البشر كما ينزل القطر، وخطر هذه الفتن إدخالها الحريم على بيوت البشر بعامه وبيوت المسلمين وهي تظل تبث طيلة النهار والليل بلا انقطاع لأنها لا تخنس، ومن ثم ورد في هذه الاقمار قوله تعالى ﴿وَيَقْدُرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [٥٣/ سبأ] فالخبر الغائب الذي يحدث في أقصى المغرب يصل إلى أهل المشرق صوتاً وصورة عبر آلاف

الكيلومترات فى اللحظة والتو أى بعد حدوثه بدقائق، وربما فى أثناء حدوثه فىصبح مشاهدا وليس غيبا، لأن الغيب هو ما غاب عن حس الإنسان سمعاً وبصراً وشماً وتذوقاً ولمساً، ومن ثم يمكن تصنيفه إلى أربعة أصناف:

الأول: هو «الغيب المكانى» أى الذى يكون البعد المكانى هو علة كونه غيبا، كالأحداث التى تحدث بعيدا عن الحس البشرى فى المكان، تظل غيبا على البشر حتى تنتقل إليهم فى صورة الخبر الذى حدث فى الماضى. ومن الغيبات المكانية عوالم بعيدة عنا مثل الجنة والنار.

الثانى: «الغيب الزمانى» وهى الأحداث والمخلوقات التى لم تحدث بعد، ومن ثم يعجز البشر عن إدراكها قبل حدوثها، ولا سبيل إليها إلا بالزحى السماوى.

الثالث: «الغيب الزمانى المكانى» أى البعيدة عن الحس البشرى فى المكان والزمان.

الرابع: «الغيب الكونى» نسبة إلى كينونة المخلوق وطبيعته الخلقية التى تكون هى علة غيبه عن الحس البشرى، رغم حضوره فى الزمان والمكان قريبا من الحس البشرى مثل الملائكة والجن، فالجن متواجدون ومختلطون بالبشر، وهم لا يرون منهم أحداً، وكذلك الملائكة لا تُفَارِقُ البشر ولا تفارق الجن أيضا. والبشر لا يَرَوْنَ الملائكة، وكذلك الجن لا يَرَوْنَ الملائكة، فالملائكة غيب عن حس الجن كما أن الجن والملائكة غيب عن حس البشر، وما هذا الغياب إلا بسبب طبيعة الملائكة والجن، وبسبب محدودية الحس البشرى وعجزه عن إدراك هذين العالمين، فلما توصل الإنسان إلى خصائص الصوت وخصائص الضوء والقوانين الحاكمة لهما تمكن بهذا العلم من صناعة الأجهزة الموسعة لدائرة السمع ودائرة البصر ومجالهما ثم مع تمكنه بالعلم من نفاذه من أقطار السماوات بالصواريخ والأقمار الصناعية تمكن من استخدام الأجهزة البصرية والسمعية من خارج الغلاف الجوى إرسالاً واستقبالاً وبتاً فصاروا يقذفون بالخبر أو الحدث صوتاً وصورة من مكان بعيد، ويدل قوله تعالى فى الآية «وَيَقْذِفُونَ

بِالْقَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ [٥٣ / سبأ] على أن الأحداث التي هي من قبيل الغيب المكاني لاتصل إلى المكان البعيد ولا تصبح شهادة إلا قَدْماً، وفي هذا إشارة إلى أنها لا تُرسلُ إرسالاً كالبريد لأن المَقْدُوف لا يصل إلى المكان المَقْدُوف إليه إلا بإختراق الهواء أو النفاذ من الفراغ. فهذه الآية خاصة بأقمار الاتصالات والبث التليفزيوني التي هي على إرتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر فوق سطح البحر والتي يصدق أنها جوار كنس فقط، فانظر إلى أى مكان بعيد هذا الذى تقذف محطات الإرسال الأرضية إليها بثها التليفزيوني أو الاذاعي أو المكالمات الهاتفية لتبثها هذه الاقمار إلى الأرض مرة ثانية أو تنزل بعد ذلك على المستقبلات الأرضية (الدش والهواتف بأنواعها وآخرها المحمول) نزول القطر. فالقذف بالغيب يتطابق مع ما تقوم به وكالات الأنباء من بث أخبارها صورة وصوتاً إلى الأقمار الصناعية لأن ضمير الفاعل الذى هو واو الجماعة فى قوله (ويَقْدِفون) يعود على مؤسسات القنوات الفضائية الاخبارية العالمية وكذا القنوات الفضائية لسائر الدول حيث يقوم كل تليفزيون ببث الأحداث فى دولته: وكذا كل مراسل إلى القمر الصناعى الخاص به ثم تقوم التليفزيونات المحلية بالتقاط هذا المَبْثُوث لإذاعته. فالآية تدل على قاذفين للأحداث الغائبة غيباً مكانياً من كل مكان فى الأرض لتصبح مشاهدة لمن يريد أن يعلمها، إذ عليه فقط أن يتوجه إلى جهاز الالتقاط التلفاز ليلتقط به هذا الحدث ويشاهده ويسمعه. وحيث أن اليهود فى زمن إفسادتهم الأخيرة المعاصرة هم الذين يمتلكون أكثر هذه المؤسسات الاعلامية فإنهم هم الذين يصيغون الأخبار والأحداث من وجهة نظرهم بما يخدم مخططاتهم الإفسادية علاوة على نشر الفساد لهواً ببث صور العاريات باسم الفن ولعباً بملا الحياة بشتى أنواع المسابقات الرياضية. ومن ثم قال تعالى عن سيطرتهم على الإعلام العالمى فى هذه الافساده ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ لأن النفير كان الوسيلة القديمة للإعلام سواء للجنود أو لغيرهم.

(٣١) أقمار صناعية للاتصالات والبث خمس جوارى كنس:

أما الجيل القادم من أجيال الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات فهو ما تقوم إحدى الشركات الأمريكية العالمية بصنعه الآن، وهو يقوم على الاستغناء عن الأقمار

الصناعية الثابتة فوق بقعة محددة بدورانها بسرعة دوران الأرض وفي اتجاهها على ارتفاع شاهق إلى عمل نظام اتصالات يستخدمون فيه الخنّس الجوّارى الكنّس أى الأقمار التى تدور بسرعة على ارتفاع منخفض لايزيد عن ألف كيلومتر، ويقطع محيط الكرة الأرضية ليلها ونهارها فى ساعتين أو أكثر، ومن ثم فهو لا يخدم كل بقعة من الأرض إلا فترة زمنية محدودة، وللتغلب على هذه المشكلة ستقوم الشركة بنشر أكثر من سبعين من الأقمار الخنّس الجوّارى الكنّس تغطي فى مجموعها محيط الأرض بالخدمات الاتصالية بحيث يكون فوق كل بقعة قمرا يقوم بالاتصال استقبالا وإرسالا، فإذا خرج هذا القمر من سماء هذه البقعة وقبل أن تنقطع خدمته لهذه البقعة بسبب اختفائه وغيبابه عنها يكون القمر الذى يليه قد دخل هذه البقعة وتسلم منه الخدمة فيها وهكذا يكون فى كل وقت وعلى كل بقعة فى الأرض قمر يقوم بأداء خدمة الاتصالات وربما البث، وتكون هذه الأقمار جميعها بالتالى مستقبلة لكل اتصال وبث صادر من الأرض ومُرْسلة أو قاذفة لها بعد ذلك إلى من يستقبلها فى الأرض، ومن ثم تكون جوارى لسرعتها التى تخلف وراءها الليل ثم النهار ثم الليل وهكذا أكثر من اثنتي عشرة مرة تقريبا على مدار اليوم الواحد وتكون خنّسا لكثرة ظهورها وغيباها على البقعة الواحدة من الأرض لأن المحطة الأرضية الواحدة تستقبل كل عشرين دقيقة قمرا وتتعامل معه إرسالا واستقبالا ثم يغيب عنها ويتوارى عن أجهزتها لتستقبل قمرا آخر وهكذا، ومن ثم يتحقق بهذا النظام الذى يحقق اتصال البشر بعضهم ببعض من أى مكان فى الأرض إلى أى مكان آخر عبر الهاتف المنزلى أو هاتف السيارة والهاتف المحمول مباشرة من خلال محطات أرضية تتعامل مع أقمار صناعية سابحة فى سماء الأرض جارية وتَخُنّسُ عن إحدى المحطات الأرضية كل ربع أو ثلث أو نصف ساعة على الأكثر وتظهر لأخرى بعدها مباشرة فهى تخنّس كثيرا وتظهر كثيرا لتكنس الاتصالات القادمة من الأرض فى ظهورها ثم تبثها للجهاز الأخرى من الأرض فى خنوسها أو اختفائها وتلقى وتجمع جميع اتصالات البشر ببعضهم فى كل لحظة فهى تكنسها كنّسا وتلك مع ما سبق ذكره، هى

الخنس الجوارى الكُنس التى أقسم بها رب العالمين سبحانه مخبراً بأنها ستكون بما
مكّن الله تعالى به الإنسان من علم يحقق به خلافته فى الأرض.

(٣٢) الصلاة والمناسبة بين القسم بالخنس (الاقصار الصناعية) وبين
المقسم عليه (إنه لقول رسول كريم):

وهذا ما تحقق فى عصرنا الراهن، أى يعد أكبر من أربعة عشر قرناً من نزول
القرآن الكريم، الأمر الذى يعتبر دليلاً ناصعاً وبرهاناً ساطعاً وحجة بالغة على صحة
القرآن الكريم لتضمنه سورة التكويد وغيرها من اللاتى ذكرن كل ما توصل إليه
الإنسان من علوم ومخترعات تقنيّة غيّرت وجه الحياة فى جميع المجالات، وزخرفت
الأرض وزيّنت الدنيا وإمتلك بها الكافرون القوة الباطشة والرؤية الشاملة للأرض
وما عليها حتى ظنوا أنهم وحدهم أهلها وأنهم قادرون عليها، فالإخبار بكل هذا قبل
حدوثه دليل على أن القرآن حق، وعلى أن كل ما جاء فيه كله حق، وعلى أنه يستحيل
إستحالة مطلقة أن يكون من كلام البشر، فهو ليس من قول سيدنا محمد ﷺ ولكنه
من قول رسول الله عز وجل جبريل عليه السلام إلى نبي الله محمد عليه الصلاة
والسلام. ومن ثم فإن المقسوم عليه (بالخنس الجوارى الكُنس والليل إذا عسعس
والصبح إذا تنفس) هو أن القرآن الذى وصل اليكم أيها البشر عن طريق خاتم الرسل
والأنبياء محمد ﷺ إنما هو قد تلقاه من رسول الله إليه جبريل عليه السلام، فالمقسوم
عليه هو (أنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما
صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين) فهذا القول ليس
كلام جبريل، وإنما هو قائله ومبلغه للنبي المصطفى ﷺ بإعتباره رسولاً إليه من الله عز
وجل وقول الرسول ليس كلاماً للرسول وإنما هو قول المرسل له والله عز وجل هو
الذى أرسل جبريل إلى أنبيائه ورسله وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ صاحب العرب
وصاحب البشر لأنه بشر مثلهم ومن ثم فمن المحال أن يكون مجنوناً كما قالوا عنه
ولازال أعداء الإسلام من اليهود والنصارى يقولون هذا، لأن المجنون لا يأتى بأحداث

مفصلة عن حضارة وعلوم وتقنيات ستأتى بعده بقرون عديدة ولم يكن ليخطر أحد مخترعاتها على بال أحد من معاصريه، بل ولا على بال أحد من قرن مضى.

وإن الأفق المبين الذى سترسلون إليه بسفنكم الفضائية ومحطاتكم الاتصالية وأقماركم الصناعية، هو الذى رأى فيه محمد ﷺ هذا الرسول الكريم جبريل على حقيقته لأنه ملك عظيم هائل لا يمكنكم تصوره، ورآه النبي ﷺ على هيئته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ومن ثم لم يكن ليراه إلا بالأفق المبين ساداً له، فلا تغرنكم قوتكم وإختراعاتكم وعلومكم لأنه ملك الدمار والعذاب الذى استأصل بأمر الله تعالى مجتمعات وبلدان مثل قوم لوط وغيرهم ببعض قوته. فهو ذى قوة وهو مكين عند ذى العرش سبحانه أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة (مطاع ثم) أى مسموع القول ومطاع فى السماوات من الملائكة أى فى الملأ الأعلى فهو من سادة الملائكة وأشرافها.

(وما هو على الغيب بضنين) أى وما محمد ﷺ على الغيب ببخيل أى أنه لا يحتفظ بشيء مما يأتيه من علوم الغيب، فلا يحجزه عنكم وهذا الذى جاء فى هذه السورة هو من الغيب الزمانى المكاني الذى سيحدث بعد أكثر من أربعة عشر قرناً وقرئت (بظنين) ومعناها وما هو بمتهم. كيف، وهو يخبر بما سيحدث قبل حدوثه بقرون عديدة؟!

فإذا أخبر بما حدث فى القرن الرابع عشر الهجرى وما بعده أى فى العشرين الميلادى، ورأيتم يا أهل هذا العصر أنه قد حدث فَصَدَّقُوا ما أخبركم به من نزول العذاب وما أنذركم به من أحداث ووقائع القيامة الرهيبة المرتقبة التى تجعل الأرض حصيداً كأن لم تغن بالأمس، بعد أن أخبركم أنها ستزير وتأخذ زخرفها وتظنون أنكم قادرون عليها، وذلك بما توصلتم إليه من علوم ومخترعات وتقنيات وصناعات هى الأسرّات المبهمات المتفاقمات لأن بعدها - إذا لم تتوبوا وترجعوا إلى ربكم، وتطهروا أنفسكم من رجاسات إفساد اليهود الأخيرة - سينزل بكم عذاب القيامة

الصغرى بنفخة الفزع، وزلزال الأرض العظيم والخسوف الثلاثة العظيمة الممتدة عن قطر إلى قطر، كما بين الله هذا في كتابه وبينه رسوله ﷺ في سنته، فإذا لم تستجيبوا للتوبة: (فأين تذهبون؟!) لا ملجأ لكم من العذاب النازل، لأنه سيكون في السماء والأرض كلها.

وما هذا كله إلا ذكر للعالمين (إن هو إلا ذكر للعالمين) لأن فيه من البراهين الدالة على صحة ما هو آت من العذاب بما تضمنه من الإخبار بمقدمات وإرهاصات هذا العذاب من أحداث ومخترعات وتقنيات قبل حدوثها، ومن ثم فهو ذكر للكافرين وللمؤمنين على حد سواء من هذا الوجه، ولكن لا ينتفع به إلا من أراد الحقيقة مخلصاً وشاء أن يستقيم ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير/ ٢٨] وإن كانت مشيئتكم الحرة غير خارجة عن مشيئة الله تعالى الكونية التي لا يتم أى شئ فى الكون صغر أم كبر وحقر أم عظم إلا بها ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير/ ٢٩].

فأنظر إلى ترابط معانى السورة كلها وأنظر إلى مناسبة القسم بالخنس الجوار الكنس وصلته بالقسم بالليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، ثم العلاقة والصلة والوثيقة بالمقسم عليه وكون تعلق هذا كله برؤية القيامة رأى عين أى بالمسرات وبالنذير (فأين تذهبون؟) عندما تقع الزلزلة؟!

(١) التكوير هى السورة الأولى من السور الثلاث الواردة فى حديث المسرات الخاصة بيوم القيامة وتبقى سورتان الإنشقاق والإنفطار وسيرد تفسيرهما فى جزء لاحق يخص أحداث السماء فى القيامة بإذن الله تعالى.

الفصل الرابع

القسم بآمارات حضارية في

سورة الطور على وقوع العذاب

- ٣٣ - القسم بالطور يتضمن الاشارة إلى فساد البيئة الحادث في الأرض حالياً.
- ٣٤ - التفسير اللغوي المحض للكتاب المسطور في رَق منشور يصدق على الكمبيوتر.
- ٣٥ - التفسير اللغوي للبيت المعمور يصدق على الحرم المكي الشريف بعد توسعته.
- ٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوي الشريف بعد توسعته وتعميره.
- ٣٧ - البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة في أماكن استخراجها أو أماكن تكريرها وفي مواضع استخدامها.
- ٣٨ - العذاب الذي أقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب.

٣٣ - القسم بالطور يتضمن الإشارة إلى فساد البيئته الحداث في

الأرض حالياً:

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ
٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ
هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النِّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُعْجَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ / الطور ﴿١﴾.

يقسم رب العالمين سبحانه في صدر سورة الطور بخمسة، والمقسم عليه أحداث
القيامة الصغرى التي هي نزول العذاب على الظالمين المكذبين بصفة خاصة، والصلة
الواضحة بين القسم والمقسم عليه هي أن الخمسة المقسم بها مما يسبق القيامة الصغرى
فهي من الأمارات على قرب حدوثها.

ومن ثم فلا بد أن تكون الصلة بين كل قسم من الخمسة وبين الأربعة الأخرى هي
تزامنها جميعاً، أى أن الصلة، هي اجتماع حدوثهم فى زمن واحد، كما سنرى، وهو
ما يتمثل فى السنوات السابقة على وقوع العذاب الذى لا يستطيع أحد أن يدفعه.

وجدير بالذكر أن المفسرين جعلوا المقسم به والمقسم عليه من أحداث القيامة
الكبرى، وهو من الأخطاء الشائعة التى سبق أن نبّهت عليها من قبل فى الجزء الثانى
وسنتبه عليها كثيراً فيما هو آت باذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه وحوله وقوته
وحده.

أما الطور، فإن معناه اللغوى المحض كما قال ابن فارس رحمه الله: الطاء والواو
والراء: أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الامتداد فى شىء من مكان
أو زمان... لذلك يقال: «عدا طوره» أى جاز الحد... والطور: جبل، فيجوز أن

يكون اسما علما موضوعا، ويجوز أن يكون سمي بذلك لما فيه إمتداد طولاً وعرضاً^(١).

أما ابن كثير رحمه الله تعالى فقد فسر الطور في الآية بأنه الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، ومالم يكن فيه شجر لا يسمى طورا، وإنما يقال له جبل^(٢).

فالطور لغة إذاً هو المرتفع الجبلى الممتد فى المكان المملوء بالأشجار، فهو سفوح الجبال الخضراء التى تملأ أمريكا الجنوبية وجزيرة جاوة (اندونيسيا) وماليزيا والفلبين وأستراليا وكشمير والجبل الأخضر بليبيا وجبال تهامة الممتدة من الطائف إلى اليمن وغير هذا كثير من أرجاء الأرض.

ولهذه الجبال الخضراء أهمية خاصة لاستمرار الحياة على الأرض إذ أنها المصنع الربانى الذى يجدد الله به الأكسوجين فى الغلاف الجوى ويلطف من درجة الحرارة ويحافظ على صلاحية البيئة للحياة.

ومن ثم أقسم به الله عز وجل باعتباره مما دبره عز وجل لحفظ الحياة بقدرته سبحانه، بيد أن ورود القسم به على المقسم عليه وهو حتمية وقوع العذاب، يدل على أن القسم بالطور أو الجبل الأخضر بعامة، إنما هو قسم بما سيحدثه الإنسان من فساد فى البيئة، وتدمير لعناصر الحياة، ونتيجة لما سيصيب الجبال الخضراء الممتدة والغابات، من تدمير بقطع الأشجار واحتراقها بسبب الجفاف وارتفاع درجات الحرارة نتيجة تحول الغلاف الجوى إلى ما يشبه الصوبة الزجاجية وإحتباس الحرارة به ومن أسباب هذا تدمير الخضر على الجبال وفى الغابات.

فالقسم بالطور اذن هو قسم بالخضرة وأهميتها للحياة^(٣) وبما طرأ على البيئة من

(١) ابن فارس / المعجم / مجلد ٣ ص ٤٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير / مجلد ٤ / ص ٢٣٩.

(٣) العجيب هو ظهور أحزاب الخضر فى الغرب التى أهم أهدافها المحافظة على البيئة.

فساد نتيجة الصناعات وعوادم المصانع والسيارات والتفجيرات النووية وغير النووية، وقد ورد ذكر هذا بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم/٤١/] ونزول هذه الآية في سورة الروم فيه إشارة إلى أن الروم بما سيكسبونه بأيديهم من اختراعات وصناعات واستخدمات بترولية هم الذين سيفسدون البيئة، وهذا حق يعترف عقلاؤهم به، ولا يقول قائل إن القسم بالطور هو القسم بجبل الطور في سيناء، لأن العبرة بعموم اللفظ وهو ما اختاره ابن كثير.

أما ما ورد عن أن الطور جبل من جبال الجنة، فهو يؤكد هذا المعنى ولا ينفيه لأن جبال الجنة لا بد أن تكون شديدة الخضرة، فأهم ما في معنى الطور هو المرتفعات الخضراء الممتدة.

أما الدليل على أن القسم هو بما أصاب الجبال الخضراء في أرجاء الأرض من دمار، فهو صلة هذا القسم الأول بالأربعة التي تليه، كما سئى من ناحية، وصلتها جميعا بالمقسم عليه من ناحية أخرى، لأنها جميعا أمور خمسة متزامنة من ناحية، ومن ارهاصات نزول العذاب من ناحية أخرى.

٣٤- التفسير اللغوي المحض للكتاب المسطور في رق منشور يصدق على الكمبيوتر أكثر من صدقة على أى شيء آخر:-

أما قول المفسرين فعن (مجاهد رضى الله عنه: (وكتاب مسطور) قال: صحف، في (رق منشور) قال: الصحيفة. وعن قتادة رضى الله عنه (وكتاب مسطور) قال: مكتوب، في (رق منشور) قال: هو الكتاب، وعن ابن عباس في رق منشور قال في (الكتاب).

وقال ابن كثير (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارا ولهذا قال (في رق منشور).

وملاحظ أن مجاهد و قتادة لم يقصرا دلالة الكتاب المسطور على الكتب المنزلة،

كما أن ابن كثير ذكر الخبر الدال على قصرها على الكتب المنزلة بصيغة التضعيف: (قيل) دون إسناد هذا الخبر، ومن ثم فالراجح هو عموم الدلالة على كل ما هو مكتوب من كتب بما فيها كُتُب التنزيل» فما هو الكتاب الذى يكون مسطوراً فى رَقٍّ ومنشوراً أى موزعاً ومعمماً فى نفس الوقت؟ كما أنه يكون، بالرغم من كونه مسطوراً أى مدوناً فى سطور، مَقْرُوءاً مجاهرة، أى يمكن قراءته بالعين وسماعه بالأذن فى آن واحد؟!

أليس هو الكتاب المودع فى ذاكرة الكمبيوتر الذى يمكن إستحضاره على شاشته لقراءته بالعين وسماعه بالأذن كذلك؟!

بلى: أنه هو وليس غيره.

فما هى حقيقة الكمبيوتر؟ وما هى الخاصية التى يَتَمَيَّز بها؟ تلك الخاصية التى لولاها لما استطاع مخترعه إختراعه، ولما استطاع صانعه صناعته، أى لولاها لما كان له وجود، إن هذه الخاصية هى بلاشك خاصته الجوهرية التى تشكل حقيقته وتحقق بها ماهيته ووظيفته التى صنعه من أجلها.

«الحاسوب» هو الترجمة العربية أو الاسم العربى لما أطلقوا عليه فى الغرب «الكمبيوتر»، وهو جهاز يخزن الأرقام، ويتم به اجراء عمليات حسابية من إضافة الاعداد أو التنقيص منها، بما يُعرَف بالجمع والطرح والضرب والقسمة بسرعة فائقة، ومن ثم استحق اسم الحاسوب بصيغة المبالغة.

وكان الجيل الأول منه يشغل حجم حجرة كبيرة حيث كان مصنوعاً من دواليب (دوائر من الأرقام) تتحرك بتروس الآلة أو الساعات القديمة.

ولكن بعد اكتشاف الدائرة الكهربائية «المنمنمة» المعروفة بالترانزستور، بدأ عصر الحاسوب الإلكتروني إذ تمكن العلماء والمهندسون من تخزين الأعداد فى صورة الصفر والواحد. باعتبارهما وحدتين يتركب منهما الأعداد التى تصل إلى عشرة

أرقام، وذلك عن طريق التحكم فى الألكترون، فأمكن تخزين الاء اداد المطلوبة مع برمجة خاصة للجين والطرح والضرب والقسمة بحيث تتيح هذه البرمجة التحكم فى هذه العمليات واستحضار النتائج، فى صورة أرقام مقروءة على شاشة صغيرة ثم تطورت أجيال الحاسوب بإدخال البرمجة التى أتاحت التوسع فى أشكال وأنواع العمليات المطلوبة حسب البرنامج أى النظام المودع فيه، فظهرت الساعات الرقمية والآلات الحاسبة الهندسية المعقدة التى تجرى العمليات المعقدة فى ثوانى معدودة تلك العمليات التى كان ينجزها عدد كبير من الرياضيين الأذكياء فى زمن طويل.

ثم أمكن تحويل كل حرف من حروف الإنجليزية، ثم بعد ذلك العربية واللغات المختلفة إلى أرقام الكمبيوتر التى تتكون من الصفر والواحد، ومن ثم أمكن تخزين العبارات اللغوية، واستحضارها على الشاشة مكتوبة بنفس الخط حسب البرنامج المودع فيه، ومع إتساع ذاكرته أصبح فى الإمكان إيداع كتابا فيها واستعادة أى عنوان وما تحته أو أى صفحة منه حسب المطلوب، وذلك حسب البرمجة المودعة مع الكتاب بسرعة ودقة بالغتين.

ومع تطور أجيال الكمبيوتر خلال الثلاثين سنة الأخيرة وبصفة خاصة العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين صار من الممكن تخزين كميات هائلة من الكتب فى ذاكرة كمبيوترية حجمها لم يكن يتسع لكم هائل من المعلومات يصل إلى مكتبة عالم، ثم ظهر الجهاز الذى يمكن أن تسع ذاكرته مكتبة جامعة. ثم ظهرت الأقراص المبرمجة التى يودع فى الواحد منها عشرات المجلدات فى التفسير وأخرى فى الحديث.

وبالرغم من هذا التوسع العظيم فى ذاكرة الكمبيوتر إلا أن حجمه ظل كما هو بنفس الحجم الذى ظهر به فى جيله الأول والسرفى توسيع الذاكرة.

ولم يكن تطوره فى توسيع الذاكرة فحسب، بل إن وظائفه تعددت حتى لم يبق مجال من مجالات النشاط الإنسانى إلا وتغلغل فيه الكمبيوتر وأصبح له فيه الإنجاز الدقيق والسريع.

فكيف تمكن العلماء من تطوير هذا الجهاز حتى صار يسع من المعلومات المختلفة المتنوعة أعداداً وكلمات وصوراً ورسومات هندسية وخرائط ولوحات ملونة وكتباً في جميع المجالات؟! وبإختصار كل ما يُطلق عليه معلومات في أى منحى من مناحى الحياة وفي أى نشاط إنسانى أياً كان نوع هذا النشاط، حتى صار الجهاز الواحد يمتلىء بما معه من أقراص بمحتوى المكتبة أو المكتبات العامة؟ هذا بخلاف الأجهزة الصناعية والزراعية والطبية والتعليمية والفنية والرياضية والأعلامية والترفيهية وغير ذلك كثير.

فما هو السر الذى تمكن به العلماء والمهندسون من تطويره ليقوم بهذا كله فى مدة وجيزة لاتزيد على أربعين عاماً من عمر الزمن حتى صار أخطر جهاز أو اختراع حضارى عرفته الإنسانية حتى الآن؟

السر هو فيما أطلق عليه رب العالمين سبحانه (رَقَّ منشور) هذا الذى يودع فيه الكتاب المسطور. وهو ما أطلق عليه العلماء والمهندسون بالإنجليزية «شيسز» أى رقائق.

قال ابن منظور فى اللسان (رَقَّقَ: الرقيق نقيض الغليظ والشمين، ورق يرق رققة فهو رقيق وراق، وأرق ورَقَّةً والانشى رقيقة ورقاقة.... والرَّقُّ: الشئ الرقيق، ورقَّ جلد العنب: لطف ... والرَّقُّ الصحيفة البيضاء، غيره: الرَّقُّ بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى ﴿فى رَقٍّ منشور﴾ أى فى صحف).

فإذا علمنا أن ذاكرة الكمبيوتر التى تخزن فيها المعلومات تتكون من أعداد كثيرة جداً من الرقائق تبين لنا أن إتساع هذه الذاكرة أى زيادة قُدْرَتِها على تخزين المعلومات مع بقاء حجم الجهاز على ما هو عليه يرجع إلى التقدم فى صناعة هذه الرقائق وموصلاتها حتى صار سمك الرقيقة جزءاً ضئيلاً جداً من المليمتر هذه الرقيقة وموصلاتها أى «الترانزستور» أخذت أطواراً خلال أجيال، كان كل جيل يُوغَل فى الرقة، وهو ما أطلقوا عليه عملية النَمِّمة، أى التصغير والترقيق فى كل طور عن الذى يسبقه. حتى وصل الترقيق بالنسبة لهذه الرقائق الكمبيوترية (الشيسات) أن الجهاز العادى المستخدم فى المنازل تحتوى ذاكرته على بضعة عشر مليوناً من الرقائق وموصلاتها من الترانزستورات.

فإذا تتبعنا أطوار أحجام الرقائق الكمبيوترية وجدنا أن الترانزستور الذى كان فى حجم ستيمتر مكعب أو أقل عام ١٩٥٧ صار بالنعومة أى الترقيق لايزيد حجمه عام ١٩٦٤ عن حجم حبة الملح، ثم توصلوا بتصغير سمك الرقيقة (الشيب) أصغر فأصغر إلى سمك متناه فى الدقة كما يتضح لنا من مما يلى:-

فى سنة ١٩٦٠ كان سمك الرقيقة ٤٠ ميكرون ثم صارت فى ١٩٦٦، ٩ ميكرون ثم فى ١٩٧٠ صارت بسمك ٨ ميكرون ثم فى سنة ١٩٧٣ صارت ٧ ميكرون ثم صارت بسمك ٥ ميكرون سنة ١٩٧٥ ثم ازدادت رقة فى سنة ١٩٧٨ فصارت بسمك ٤ ميكرون ثم صارت بسمك ٣ ميكرون فى سنة ١٩٧٩ وازدادت فصارت بسمك ٢ ميكرون سنة ١٩٨٢ ثم بسمك ٠.٥ ميكرون سنة ١٩٨٦ ثم وصلت إلى ٣٥ سنة ١٩٩٦ وهذا يدل على أن الترقيق تضاعف قرابة ١٢٠ ضعفا خلال خمسة وأربعين عاما تقريبا، وتوقع كاتب المقال الوصول عام ١٩٩٨ إلى وجود شيبات (رقائق) معروضة فى الاسواق مقاسها ٠.٢٥ ميكرون او ميكرومتر تحتوى هذا المجموعة من الشيبات على عشرة ملايين ترانزستور، والمتوقع ان تصبح مقاسها فى سنة ١٩٩٩، ٠.١٨ ميكرومتر ثم فى سنة ٢٠٠١ تصبح مقاسها ٠.١٣ ميكرومتر وتحمل عشرة ملايين من الترانزستورات. والميكرومتر ١ من مليون من المتر. وانظر إلى أى مدى فى الدقة وصل الرق المنشور^(١).

فإذا علمنا أن كل رقيقة دائرة كهربائية متكاملة، تبين لنا بوضوح أن تضخم سعة الذاكرة طورا بعد طور، رغم ثبات حجم الجهاز يرجع إلى عملية «النعومة» وهو المصطلح المعبر عند مؤرخى هذا الجهاز عن الايغال فى التصغير أو الترقيق. والحق أن اللفظ العربى الصحيح هو الترقيق لأن الترقيق هو اللفظ المناسب لوصف العملية التصنيعية التى جعلت سمك الرقيقة بموصلاتها لا تزيد عن جزء من أربعة آلاف جزء من المليمتر وصالحة لتخزين المعلومات فى صورة فوتونات معبرة عن الواحد والصفر اللذين يتكون منهما الأعداد التى تترجم إلى الحروف والألوان والخرائط والرسوم والبرامج، وكلها معلومات. ومن ثم أطلقوا على هذا النشاط بحق أنظمة المعلومات ومع التطور صارت المعلومة المستحضرة أو الصفحات المستحضرة من كتاب فى ذاكرة الكمبيوتر مسموعة بالإضافة إلى كونها مقروءة على شاشة الصغيرة.

(١) مجلة العلوم المجد ١٢ العدد ١٠ أكتوبر ١٩٩٦ صفحة ٣٤.

وقامت بعض المؤسسات العربية العاملة في هذا النشاط بإخراج برامج كومبيوترية في «ديسكات كومبيوترية» للقرآن الكريم والسنة بأصوات مختلف القراء تتيح الاستماع إلى السورة المطلوبة من المقرئ المفضل مع متابعة الآيات على شاشة الجهاز فأصبح القرآن الكريم مسطوراً في رق منشور وصدق التأويل الذي أورده ابن كثير للآية وهو التأويل القائل الكتب المنزلة التي تقرأ على الناس جهاراً وإن كان المعنى اعم من هذا بكثير.

فما هي الكيفية التي تكون فيها الكتب المنزلة مسطورة في رقائق منشورة ويتمكن الناس بها من قراءة آياتها وسورها بالنظر مع سماعها جهاراً بالأذن في آن واحد إلا بالحاسوب أو الكمبيوتر؟!؟

وهو في نفس الوقت له من الخطورة في حياة الإنسان في السلم والحرب حتى ليعتبر بحق من أهم وأقوى ما مكن الله تعالى به الإنسان في الأرض، ومن ثم أقسم الله عز وجل به على وقوع العذاب الذي ليس له من دافع، أي أنكم إليها الكافرون لن تدفعوا عن أنفسكم العذاب النازل من السماء بالهدية أي النيازك حتى بكل ما أوتيتم من قوة بما في ذلك الكمبيوتر الذي تستخدمونه في السلم والحرب على السواء حتى ظننتم أنكم قادرون على حماية الأرض منها.

أما قوله تعالى: ﴿منشور﴾ أي أنه صار معمماً حتى دخل بيوت أكثر القادرين على شرائه وهم يعدون بعشرات وربما بمئات الملايين علاوة على الإستخدامات العامة في المصالح والدواوين والمصانع والجيش وجميع أنشطة الحياة العامة.

أن سر ظهور الكمبيوتر اذن هو التقدم التقني في صناعة الرقائق الترانزستورية فجوهر حقيقة الكمبيوتر هو هذا الرق المعمم أي الممكن تصنيعه بكميات إقتصادية قابلة للنشر أي التوزيع والتعميم في الأسواق بعد أن امكن تخزين الكتب التي كانت المخزن الوحيد للمعلومات في هذه الرقائق التي هي جمع «رق» ومن ثم صار الكتاب مسطوراً في رق منشور.

فإذا ذكرنا أن العلماء والمهندسين تمكنوا من إنتاج الأقراص المبرمجة المعروفة باسطوانات الليزر والتي يمكن للقرص الواحد منها أن يحمل أكثر من خمسين مجلداً كبيراً من المصادر المعلوماتية حتى أن اسطوانة واحدة منها تستوعب العديد من كتب التفسير واللغة وأخرى كتب الحديث والرجال.

وحيث أن هذه الاسطوانة لا يتعدى سمكها ملليمتر واحد ومن ثم يصح أن تسمى رقيقة وحيث أن لها وجهان كالصحيفة الواحدة، فإن هذا يصدق على التأويل الذي فسر الكتاب المسطور في رق منشور بالصحيفة.

أما كونه منشورا أى موزعا ومعمما فيكفى تفسيراً لهذه الكلمة أن تعلم أنه قد تم بيع أكثر من ٤٠٠ مليون جهاز لتشغيل هذه الأقراص يلحق بالكمبيوتر و٦ بلايين قرص أو اسطوانة فى بضع سنوات بعد ظهور هذا التطوير فى الكمبيوتر.

أفليس هذا هو معنى قوله تعالى الكتاب المسطور فى الرق أنه منشور أى موزع ومعمم؟!

فهل بعد هذا التفصيل الذى أظهر المطابقة التامة بين هذا القسم الالهى الكريم وبين جهاز الكمبيوتر ووظيفته ومهامه وفوائده حسب استعمالاته المعاصرة اعتراض لاحد على تفسير الكتاب المسطور فى رق منشور بأنه الحاسوب (الكمبيوتر)؟!

أن استخدامات هذا الجهاز فى شتى نشاطات الحياة الإنسانية حتى أنهم بدونهم لم يكن لهم أن يتقدموا فى غزو الفضاء، هى جميعا بلاشك من الممرات المتفابقات التى هى من أحداث المرحلة الأولى ليوم القيامة الصغرى.

ولاشك أن مجيء القسم به بعد القسم بالطور يدل على إرتباطهما بزمان واحد وهى الحقب الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى، إذ بدأت مشاكل البيئة تظهر من السبعينات مع بدء ظهور الكمبيوتر، وتفاقما معا حتى إزداد فساد البيئة مع زيادة تغلغل الكمبيوتر فى شتى مناحى الحياة.

٣٥ - التفسير اللغوى (للبيت المعمور) يصدق على الحرم المكى الشريف بعد توسعته وإستيعابه لأكثر من مليونى مصلى.

روى الحاكم فى المستدرک والبيهقى فى شعب الإيمان وغيرهما (عن النبى ﷺ قال: البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة)^(١).

(١) السيوطى / الدر المنثور ج٤ ص ١٢٩.

وأورد السيوطي في الدر المنثور أيضا ما رواه (ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن خالد بن عرعة أن رجلا قال لعلى رضى الله عنه: ما البيت المعمور قال: بيت في السماء يقال له الضراع وهو بحيال مكة من فوقها، حرمة في السماء كحرمة في الأرض، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه أبدا^(١)) وفي رواية أخرى مرفوعة للنبي ﷺ قال (لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة)^(٢).

وأورد السيوطي رحمه الله أيضا ما أخرجه ابن جرير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: لما عرجَ بي الملك إلى السماء السابعة إنتهيت إلى بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يسبحون الله ويقصدونه ولا يعودون إليه^(٣).

فإذا علمنا أن الحرم المكي الذي فوقه البيت المعمور في السماء السابعة الذي يخص الملائكة، قد صار في عصرنا الراهن معمورا بأكثر من سبعين ألف مصلى وطائف وعاكف وناظر إليه كل يوم، وبأكثر من سبعمئة ألف مصلى يوم الجمعة، وأضعاف ذلك في مواسم العبادات يأتون من كل فج عميق من قارات الدنيا القديمة والجديدة، وأنه قد حدث فيه من التوسعة ومن التعمير الانشائي والتحسين والجمالي ما لم يحدث فيه من قبل في تاريخ البشرية المكتوب. وأنه صار مُضَاءً طول الليل بضوء كضوء النهار، وبلغت ساحات الصلاة فوق سطحه وخارجه شرقا وغربا ما يجعله يستوعب أكثر من مليوني مصلى في آن واحد. إذا علمنا هذا وغيره عن الحرم المكي الشريف في هذين العقدين الأول والثاني من القرن الخامس عشر وهما التاسع والعاشر من القرن العشرين، جاز لنا بمقتضى المنطوق اللغوي المطابق تماما للواقع التعميري الإنشائي وبكثرة رواه أن نقول: إن القسم الإلهي الكريم بالبيت المعمور يصدق على الحرم المكي الشريف في عصر القيامة الصغرى.

(١) (٢٠١) السيوطي / الدر المنثور ج٤ ص ١٢٩.

(٣) السيوطي الدر المنثور ج٤ ص ١٣٠.

يؤكد صحة هذه المطابقة ودقتها التزامن بين تعمير البيت بهذا الوصف المشهود للجميع وبين فساد البيثة وشيوع استخدام الكمبيوتر. وكذلك تزامن هذه الأقسام الثلاثة بالقسمين الباقيين من الخمسة، كما سترى بعد بإذن الله تعالى.

٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوي الشريف بعد توسعته الأخيرة والنهائية

أما ما ورد من آثار في تفسير هذا القسم (فعن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه في قوله تعالى «والسقف المرفوع» قال: السماء. وعن الربيع بن أنس في قوله والسقف المرفوع قال العرش. وعن مجاهد السقف المرفوع: «السماء»^(١)).

وبمحض اللغة كل ما يعلو البناء الذى يتواجد فيه المخلوق فهو سقف، وإذا كان خارج أى بناء من إنشاء البشر فهو سماء، وكل سقف يعلو المخلوق، حتى ولو كان من إنشاء البشر فهو سماؤه أيضا قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ / ١٥ / الحج ولا خلاف بين المفسرين فى تأويل قوله (فليمدد بسبب إلى السماء أى فليعلق حبلا فى سقف داره، ثم ليشتق نفسه، فالسماء فى هذه الآية هى السقف. وكذلك وصف الله تعالى السماء الدنيا بأنها سقف فقال ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [/ ٣٢ / الأنبياء]، وهذه هى سماء الدنيا التى هى الطبقة التى تعلو الغلاف الجوى وتحمى الأرض من الموجات الفوق بنفسجية، فهى سقف محفوظ من هذه الموجات لأنها تكف هذا الموج وترده عن الأرض، فهذه الآية تتضمن إعجازا علميا.

والسقف الذى أقسم به الله عز وجل جاء مُعَرَّفًا بالالف واللام، مع أنه يكون

(١) السيوطى / الدر المنثور / مجلد ٤ / ص ١٣٠.

مرفوعا سواء أكان مرفوعا بعمد مرئية أم بعمد غير مرئية قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهُ﴾ [٢/١/ الرعد].

والمفسرون بين قولين: أن الله تعالى رفع السماء بعمد لا نراها. والآخر: أن الله تعالى رفع السماء بغير عمد. وسواء صح هذا أو ذاك فالسمااء مرفوعة في كلا الحالين، وكذلك السقف، لابد أن يكون مرفوعا حتى يعلو الرؤوس، ولا معنى لسقف غير مرفوع، لأن جوهر حقيقة السقف، وممكن تحقيق وظيفته أو الهدف من وجوده هو في أن يكون مرفوعا ولو لم يكن مرفوعا لما صار سقفا يستظل به.

فما معنى أن يقسم الله عز وجل بالسقف المرفوع؟

فهل هو قسم بالسماء؟

لو كان المراد القسم بالسماء لاقسم الله تعالى بها بلفظ السماء. كما أقسم بها في سورة الشمس بقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [١/١٠/ الشمس].

ومن ثم نستبعد هذا التأويل، إذ يقتضى السياق أن يكون هذا القسم الرابع من الخمسة قسم بشيء متزامن مع الأقسام الثلاثة السابقة ومن جنسها وأن يكون هذا التأويل متضمناً لعنصرين هامين لازمين بمقتضى المنطوق اللغوي لعبارة «السقف المرفوع»، هذان العنصران هما: كونه سقفا من ناحية، وكونه مرفوعا رفعا غير الرفع اللازم لجوهر حقيقة السقف من ناحية أخرى.

والالكان يكفى القسم بالسقف فقط، ومن ثم لو اعتبرنا الرفع الموصوف به السقف في القسم هو الرفع اللازم لكل سقف لصار اللفظ (المرفوع) زائد عن الحاجة أى يكون هذا إطنابا ولفظا بلا معنى زائدا وحاشا لله تعالى أن يكون فى كلامه مثل هذا وهو الكلام البليغ المعجز.

ولكن يتحقق لنا الكشف عن العنصرين اللازمين للمنطوق اللغوي، واهمهما الرفع الزائد والمغاير عن الرفع اللازم للسقف، نقول: إذا كان القسم الالهى بالبيت المعمور قسماً بالمسجد الحرام فى زمن التوسعة الحضارية المتزامنة لعصر فساد البيئة

والكمبيوتر، وتوسعة الحرم المكي حتى صار معمورا كالذى فى السماء ونظراً لحدوث نفس التوسعة الحضارية للمسجد النبوى الشريف وفى نفس الفترة الزمنية، أفلا يكون القسم بالسقف المرفوع قسماً بالمسجد النبوى الشريف فى عهد هذه التوسعة؟!

لقد أقسم الله تعالى بالبلد الحرام فى زمن عيش حبيبه وخاتم رسله محمد ﷺ فيه فقال تعالى ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ﴾ [١٠٦/٢ البلد] فكان قسماً بأحب البقاع إليه سبحانه حين كان أحب خلقه إليه حالاً فيه. وأقسم سبحانه بأحب البقاع إليه فى زمن التوسعة والتعمير المعاصر كما أثبتنا.

فهل يتبع قَسَمَ الله تعالى بالمسجد الحرام فى هذا العصر الذى ليس فيه حبيبه ﷺ قَسَمَهُ سبحانه وتعالى بالمسجد النبوى الشريف الذى فيه مثوى حبيبه ﷺ؟ نعم والقسم بالسقف المرفوع هو قسم بالمسجد النبوى الشريف بعد توسعته الأخيرة بإعتبار هذا علامة على قرب وقوع عذاب القيامة الصغرى وهو المقسم عليه، وباعتبار أن الأقسام الخمسة فى سورة الطور ما هى إلا أقسام بأحداث حضارية وعلى رأسها فساد البيئة الذى جاء نتيجة مباشرة لما أنتجته هذه الحضارة من مصانع واستخدامات لمشتقات البترول المختلفة والتى لولاها كلها ما تمت توسعة الحرمين الشريفين وتعميرهما المعاصر: إنشاء وتعمير المصلين، بل ولما وُجدَ المال الذى تتم به هذه التوسعة، ومن ثم لابد أن يكون القسم بالسقف المرفوع قسماً بشئ حضارى أيضاً ويدل فى نفس الوقت على تسوعه المسجد النبوى بعد أو مع توسعة المسجد الحرام.

إن المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتعميره بالأساليب الحضارية المعاصرة يحتوى على ثمانية أسقف متحركة هى عبارة عن ثمان قباب قابلة للرفع تماماً حتى أن الناظر من تحتها بعد رفعها يرى السماء مباشرة. ويتم رفعها بتحريكها على مجارى (رولمان بلى) وبمحرك كهربائى.

هذه التقنية كانت مستحيلة من قبل، وقد ذكرت فى صيغة القسم للدلالة على حال المسجد النبوى الشريف فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى وهو العقد الأخير من القرن العشرين.

وهذا السقف يسير يتوفر فيه عنصرا المنطوق اللغوى وهو كون كل واحد من هذه القباب مستقفا مرفوعا على جوانب أربعة مثل كل الأسقف، ثم هو يُرفع حسب الطلب رفعا نهائيا فتتكشف السماء للناظر من تحته كأنه لا يوجد ولم يكن يوجد سقف، وهذا معنى الرفع المعرف بالألف واللام، فهو سقف أحيانا، وهو مرفوع عن جوانبه أحيانا أخرى. وتلك هى الدلالة اللغوية لمنطوق هذا القسم، والعلاقة بين هذا القسم وبين ما سبقه واضحة من حيث أنهما حدث حضارى من ناحية، وتم ظهورهما خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين الميلادى الأول والثانى من القرن الخامس عشر الهجرى من ناحية أخرى، والمقسم عليه كما قلنا هو أحداث القيامة الصغرى المتضمنة للآيات الثلاث الأولى من آيات الساعة العشر: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وقد اثبتنا أن الآية الرابعة هى الخروج العلنى للمسيح الدجال الذى يرى فيه بالأعين. ومن ثم وحسب الحديث الوارد عن المسيح الدجال عندما يأتى المدينة ويقف على أبوابها ولا يدخلها، فإن المسجد النبوى يكون قصرا أبيضاً وهذا ماتم بالتوسعة والتعمير المعاصر حيث صار المسجد من الفخامة والانتساع والأبهة ماصراً به قصراً أبيضاً بحق.

ألا ترى أختي المسلم اذا كنت ممن من الله عليك بالحج أو العمرة وبزيارة رسول الله ﷺ أن منظر المسجد النبوى من مكان مرتفع على أبواب المدينة المنورة يبدو للناظر كالقصر الأبيض الزاهر نهائياً فى ضوء الشمس، وكذلك ليلاً بالأضواء الساطعة المسطرة على سقفه وجوانبه؟!

هذا المنظر يدل على اقتراب يوم الخلاص، خلاص المدينة المنورة من المنافقين حين يأتى إليها الدجال ويقف خارجها تمنعه الملائكة من دخولها.

روى أحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرک (عن محجن بن الادرع قال قال النبى ﷺ: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ قال: يعجىء الدجال، فيصعد أحداً فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا

القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكاً مُصلّياً فيأتى سبخة الجرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا أخرج إليه، فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص^(١).

حقاً لقد صار المسجد النبوى قَصْرًا أبيضاً وتم بناء القصر الملكى خارج المدينة بموضع يقال له اليوم سلطنة، وهو نفس الموضع المذكور فى الحديث باسم سَبْخَةِ الجرف، ومعلوم أن الدجال عندما يخرج سيزعم أنه رب العالمين، وأنه ملك الدنيا ومن ثم فلا يتصور أحد نزوله وميَّته فى أى موضع يمر به إلا بالقصور الملكية.

فهذا الخبر دليل جديد على صدق نبوته ﷺ إذ أخبر عن مسجده الذى كان مبنياً فى عهده بالطوب اللبن وسعف النخيل أنه سيصير فى آخر الزمان قصراً أبيضاً وسيكون بسبخة الجرف (سلطنة) قصراً ينزل فيه الدجال؛ وكل هذا دليل على القرب الشديد لنزول العذاب وحدوث الخسوف وتسلسل الأحداث كما ذكرناها من قبل.

هذا القصر الأبيض أو المسجد النبوى فى صورته المعمارية المعاصرة لزمان الآيات أحداث القيامة الصغرى هو الذى أقسم الله تعالى بأسقفه الثمانية التى يمكن رفعها عند الحاجة باعتبار السقف المرفوع اسم جنس لهذه الاسقف وفى نفس الوقت علامة حضارية تدل على حالة مسجد حبيبة المصطفى ﷺ فى عصر القيامة الصغرى الزمن السابق مباشرة على خروج الرجال، والله تعالى أعلى وأعلم.

٣٧- البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة فى أماكن استخراجها^(٢) أو أماكن تكريرها وفى مواضع استخدامها: -

لقد سبق أن تحدثنا عن هذا القسم مع بيان إحدى المُسرَّات المتفاقمات وهى قوله

(١) عن كنز العمال للشيخ على التفتى الهندى ج٤ ١٤ حديث ٣٨٨٣٣ ومعنى مصلتنا أى مشهر اسلامه فى وجه الدجال.

(٢) نقصد بالاشعال فى أماكن التكرير والاستخراج اشعال الغازات المنبعثة من تحليل مكوناته فى صورة شعلات مرتفعة فى معامل التكرير

تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [٦ / التكوين] وعقدنا بينهما مقارنة فالبحر المسجور المقسم به هنا هو بحر البترول وهذا ما يدل عليه التفسير بالأثر وإن كان السلف الذين وردت عنهم هذه الآثار لم يعلموا أنها بحار البترول، وإنما كان تفسيرهم لها تفسيراً لغوياً أو بأخبار مأثورة مصدرها الوحى من غير أن يتصوروا أن هذا سيكون كائناً بالصورة التى تستخدم فيها البشرية هذا البحر الآن.

أورد السيوطى فى الدر المنثور (أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله تعالى: (والبحر المسجور) قال: المجوس، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله: (والبحر المسجور قال المرسل.. وعن مجاهد فى قوله: (والبحر المسجور قال هو الموقد، وعن قتادة فى قوله (والبحر المسجور قال المملوء.. وعن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله (والبحر المسجور قال: الفارغ، خرجت أمة تستقى فرأت الحوض فارغا فقالت الحوض مسجور)^(١).

فما هو البحر الذى يكون مجوساً ثم مرسلًا ثم موقداً ثم فارغاً؟!

وكان هذا السؤال لغزاً يعجز السابقون عن الاجابة عليه، بيد أن أى معاصر يقول على الفور أنه بحر البترول أو الغاز الطبيعى. ظل مجوساً عشرات أو مئات أو ملايين السنين ثم صار مرسلًا باستخراجه فى العصر الحديث، ثم إرساله إلى مواضع تكريره ثم استخدام مشتقاته فيكون موقداً، ثم بعد ذلك يصبح فارغاً.

وبسبب هذه الاستخدامات فسدت البيئة، وتلك هى علاقته بقسم الله تعالى الأول بالطور، ثم إن بحر النفط، هذا أحد أسباب التقدم العلمى والتقى والصناعى وبه تتولد الكهرباء وبه وبغيره تقدمت الصناعات الالكترونية، ومنها صناعة الكمبيوتر، وبثمنه تم تعمير البيت الحرام ليس بسبب ثمنه الذى أغنى الله به أهل الجزيرة بعد غلاته فقط، ولكن أيضاً لأن التعمير الذى تم فى المسجد الحرام، تم بكل الانجازات الحضارية فى جميع المجالات: الإضاءة والصوتيات والانشاءات الحديثة، وكذلك ما

(١) السيوطى/ الدر المنثور ص ٢ ص ١٣١.

تم فى المسجد النبوى الشريف بما فيه السقف المرفوع، أى أن التعمير كان بكل
المسرات المتفابقات.

فكلها متصلة ببعضها، إذ لم يكن ليتم أحدها إلا بالأربعة الأخرى، وكلها فى نفس
الزمن تقريباً فهى متعاصرة بل ومتزامنة، وجميعها مقدمات وإرهاصات على قرب
وقوع العذاب الذى هو المقسم عليه، لأن المقسم به إذا وقع فلنرتقب وقوع المقسم
عليه.

٣٨ - العذاب الذى أقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب:-

والدليل على هذا أنه يقع فى الدنيا قبل حدوث القيامة الوسطى علاوة على
الكبرى، وهذا، ما يدل عليه السياق.

(١) فقله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فى الدنيا
لقوله تعالى عن العذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ فوقوعه لا يكون إلا على الأرض أما العذاب
فى الآخرة فهو فى جهنم والعياذ بالله منها، ومن ثم فهو لا يقع على المعذبين وإنما
يهوى الكافرون فيها ويقعون عليها ولا يقع عليهم العذاب وإنما هم الذين يقعون
عليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدل على أن ثمة محاولة سيقوم بها الذين يظنون
أنهم قادرون عليها بما أوتوا من قوة باطشة، وفى هذا إشارة لمحاولة الولايات
المتحدة ومن سيتعاون معها من الدول النووية بمحاولة دفع النيازك الفخمة المحدثه
للهدية باعتبارها أول حدث من أحداث الخُسوف والزلازل ومسببة لهما. والنفى
يدل على فشل المحاولة التى ستكون من الأمريكان والذين معهم لمنع الهدية
بقذفها قبل دخولها الغلاف الجوى بصواريخ محملة براءوس هيدروجينية، تلك
النيازك المحدثه للهدية التى ستتسبب فى حدوث الخُسوف والزلازل وقد سبق
الحديث تفصيلاً عنها فى الجزء الأول. وقوله تعالى ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدل على

حدوث المحاولة ثم فشلها وآخر ما نشرته أجهزة الإعلام عن هذه النيازك الضخمة المتجهة نحو الأرض، والتي تراقبها أجهزة ناسا أن الولايات المتحدة طلبت من الدول الفضائية التعاون معها لمراقبتها ومواجهتها إذا لزم الأمر.

(٣) قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۖ (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ يدل على أنه في الدنيا قبل القيامة الوسطى، لأن الوسطى ليس فيها أحداث هدم في السماء أو الجبال أو الأرض، كما أن الجبال في القيامة الكبرى لن تكون إلا عهنا منقوشا كما وضعنا هذا من قبل.

(٤) قوله ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين سيكون لهم أعظم نصيب من هذا العذاب ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى عندما يأتيهم العذاب يكونوا يومئذ في خوضهم يلعبون، وهذا ليس من أحوال الحشر يوم البعث والحساب. فدل على أن يوم وقوع العذاب عليهم وهم يلعبون أى يكونون في الدنيا في عصر مُسَرَّات يوم القيامة التى منها هذه الخمس التى أقسم الله بها، وتكون حياتهم لعبا ولهواً أى رياضة وفنا، وهم يخوضون بالاحداد حتى يسمحون بنشر ما أطلقوا عليه آيات شيطانية باسم حربة الفكر والعقيدة والنشر فى الوقت الذى يذبحون فيه المسلمين أطفالا وشيوخا ونساء لا لشيء إلا لانهم مسلمون، ولم يقع هذا الذبح على المسلم الغريب عنهم بل وأدوا الجنين الذى ستلده أميرتهم المحبوبة لمجرد أنه سيولد مسلما، هذا هو خوضهم الذى فيه يلعبون والذي سيجلب عليهم عذاب يوم القيامة الرهيب.

الباب الثالث

الإمارات العلمية والتكنولوجية في المجالات المدنية والعسكرية في الكتاب والسنة

الفصل الأول: وسائل السفر والنقل المعاصرة في الكتاب والسنة
الفصل الثاني: الأساطيل البحرية الحربية في القرآن الكريم والسنة
الفصل الثالث: القوات الجوية والصواريخ المدمرة في الكتاب
والسنة.

الفصل الرابع: القنبلة الذرية وغزو الفضاء في الكتاب والسنة.
الفصل الخامس: أجهزة الاتصال الحديثة وأجهزة الإعلام المقروءة
والمسموعة والمرئية في الكتاب والسنة

الفصل السادس: التقدم في التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف
الطرق من أمارات الساعة في الكتاب والسنة.

الفصل السابع: التقدم في علوم الحياة والطب والجراحة والهندسة
الوراثية واستنساخ الكائن الحي من أمارات الساعة
في الكتاب والسنة

الفصل الثامن: آبار البترول وحقول الغاز الطبيعي واستخداماتها
من أمارات الساعة في الكتاب والسنة.

الفصل الأول

وسائل السفر والنقل المعاصرة فى الكتاب والسنة

(٣٩) التفسير اللغوى المحض للمترسلات عرفا وأخواتها يصدق على وسائل المواصلات المعاصرة: برية وجوية وبحرية أكثر من صدقه على أى شئ آخر: -

تشكل وسائل السفر والانتقال المعاصرة ظاهرة حضارية متقدمة، حتى أصبحت إحدى السمات المميزة لهذا العصر، وهى التى جعلت العالم أو الكرة الأرضية قرية صغيرة، ولم يكن هذا ليتم لولا التقدم الصناعى العلمى التقنى، ليس فى مجال الحركة (الميكانيكا) فحسب، بل فى مجالات الاكتشافات والاختراعات السمعية والبصرية والكيمائية والبيئية وغيرها.

إن هذه الوسائل تدخل فى حياة البشرية فى السلم والحرب، وأصبحت عاملا رئيسيا وحاسما فى تسارع الاحداث التاريخية بشكل لم تشهده الإنسانية فى تاريخها المكتوب.

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد أن الخالق عز وجل قد مَنَّ على الانسان بخلق الخيل والبغال والحمير التى ينتقل بها ويحمل عليها أثقاله فى سفره وانتقاله الفردى.

وكذلك مَنَّ الله تعالى علينا بالأبل والسفن التى استخدمها الإنسان فى السفر الجماعى ونقل البضائع .

فقال تعالى عن وسائل السفر والنقل الجماعية: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس] وقال عن الوسائل الفردية ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل/٨].

أفلا يتضمن كتابه الحكيم سبحانه ذكرا لوسائل السفر والركوب الجماعية

المعاصرة المنتظمة المتتابعة وماوراءها من مؤسسات وأجهزة ومهندسين وسائقين وفنيين وإداريين وعلماء وباحثين؟! بغيرهم ماكان لها أن تنتظم وتتابع فى مواعيد محددة بشكل دورى حتى أصبح الانتقال من حى الى حى داخل المدينة ومن بلد الى بلد داخل القطر ومن دولة الى دولة داخل القارة ومن ميناء الى ميناء داخل البحر الواحد أو المحيط ومن قارة الى قارة ومن محيط الى محيط أمراً ميسوراً بالليل والنهار وعلى مدار العام والشهر والأسبوع واليوم وبانتظام؟!!

بلى والله، لقد تضمن القرآن الكريم هذا النبأ العظيم ليس تلميحا بل تصريحاً.

فقال تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝۱﴾ فَأَلْعَافَاتِ غَصْفًا ۝۲﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝۳﴾ فَأَلْفَارِقَاتِ فَرَقًا ۝۴﴾ فَأَلْمَلِكِيَّاتِ ذُكْرًا ۝۵﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ۝۶﴾ إِنَّمَا تُرْعَدُونَ تَوْاقِعَ ۝۷﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝۸﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝۹﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝۱۰﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتْ ۝۱۱﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝۱۲﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝۱۳﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝۱۴﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝۱۵﴾ أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝۱۶﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ۝۱۷﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝۱۸﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝۱۹﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝۲۰﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝۲۱﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝۲۲﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝۲۳﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١-١٥/المرسلات].

يقسم الله تبارك وتعالى بالمرسلات ومابعدها والمقسم عليه وقوع وعيده بالعذاب، وتوقيت وأمانة تحقق الوعيد هو طمس النجوم وفروج تحدث فى السماء ونسف الجبال.

فما هى المرسلات التى اقسام الله تعالى بها وبملحقاتها، والتى هى امانة على قرب وقوع العذاب الذى سيحل إذا طُمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال؟!.

الْمُرْسَلَاتِ جمع الْمُرْسَلَةِ وهو اسم مفعول مؤنث وعُرْفًا أصلها: عرف، قال عنه ابن فارس فى معجمه (العين والراء والفاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع

الشيء متصلا ببعضه ببعض والآخر على السكون والطمأنينة) ثم قال (ومن الأول عرف الفرس لتتابع الشعر عليه ويقال: جاءت القطا عرفا عرفا أى بعضها خلف بعض) (١).

وهذا هو الذى يفسر لنا (المرسلات عرفا) فالمرسلات ترسل من الجهة التى ترسلها عرفا أى متتابعة متصلة بعضها ببعض وبعضها خلف بعض فتصل ايضا إلى الجهة المرسله إليها متتابعة متصلة بعضها خلف بعض.

هذه المرسلات المتتابعات التى يقسم بها رب العالمين سبحانه وتعالى ليست حدثا عاديا وإنما هى ظاهرة هامة فى حياة البشرية وحدثا عظيما فى تاريخها والمقسم عليه لا بد أن يكون عظيما أيضا كما سنرى.

فما هى المرسلات المتتابعات بعضها خلف بعض؟! إنها جميع الرحلات المتتابعة فى جميع أنواع وسائل السفر والركوب الجماعى للبشر ولنقل البضائع، أولها حدوثا قطارات السكك الحديدية ثم الباسات وخطوط المترو الكهربائية داخل المدن ثم العبارات والسفن المنتظمة الرحلات بين الموانى والقارات.

وتبع هذا كله وسيلة أسرع، ومن ثم تُعتبر الجيل الثانى من المرسلات من حيث السرعة، وهى الطائرات، ولذلك جاء القسم بها بعد المرسلات بحرف العطف «الفاء»، لأن العاصفات ليست إضافة نوع جديد أو مغاير للمرسلات، إذ هى من المرسلات ولكنها جاءت بعد الأولى متطورة عنها ومتفوقة فى وظيفتها فأخذت حرف الفاء ولو عطف بحرف الواو، لذلك هذا على أنها قَسَمٌ جديد بشئ جديد، لأن الواو للجمع والفاء للتعقيب، ولكنه قال (فالعاصفات عصفا) أى فالمرسلات التى تعصف عصفا فالفاء تفيد مجيئها بعد الأولى وتفيد ايضا أنها من نوعها، فهى مرسلات عرفا، ولكنها تختلف عن الأولى بأنها عاصفات عصفا فما الدليل على أنها الطائرات؟

الدليل يكمن فى جوهر معنى العصف الذى قال عنه ابن فارس (عصف أصل واحد صحيح يدل على خفة وسرعة، فالأول من ذلك العصف، وهو ماعلى الحب

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة مجلد ٤ ص ٢٨١.

من قشور التبن، وتقول عصفتُ الزرع إذا جززتُ أطرافه وأكلته، والرياح العاصف الشديدة، لأنها تجز أطراف الأشياء وتذهب بها، وقوله تعالى: ﴿وجاءتها ريح عاصف﴾ أى أنها تستخف الأشياء فتذهب بها، أى تعصف بها.

فالعاصفات إذن ليست هى الرياح، لكنها كل الحاملات للأشياء المعصوف بها بخفة وبسرعة وقول العامة عن الرياح الشديدة (العاصفة) خطأ لغوى والصحيح هو «الرياح العاصفة» وقولنا ريح عاصف أى ريح شديدة قوية مسرعة تعصف بالأشياء أى تحملها وتذهب بها.

ومن ثم يصح لغويا وصف أى شئ يحمل الأشياء والأحياء ويذهب بهم بسرعة وبخفة بأنه عاصف حتى ولو لم يكن ريحا، فتكون المرسلات السريعة عاصفة وجمعها عاصفات.

وعصفا مفعول مطلق يدل على شدة العصف، أى شدة السرعة فى الذهاب. فكان الفاء للعطف جعلت القسم هكذا (والمرسلات العاصفات) ومن ثم ورد عن الخليل أن معنى ريح عاصف أى شديدة، فكل ما يحمل الأشياء ويذهب بها بسرعة وبشدة فهو عاصف ومن ثم قالوا: الناقة العصوف أى التى تعصف براكبها لسرعتها، والحرب تعصف بالقوم تذهب بهم، ونعامة عصوف: مسرعة^(١).

وعلى هذا فالعاصفات عصفا بعد المرسلات عرفا هى من جنسها، ولكنها تذهب بما تحمله بسرعة وخفة أشد، وهذان الوصفان ينطبقان تماما على الطيران المدنى المستخدم فى السفر، الذى أهم ما يميزه أنه رحلات متتابعة منتظمة يحمل الناس وحقائبهم بخفة وبسرعة وهذا هو المعنى اللغوى الدقيق لقوله تعالى (فالعاصفات عصفا) وكذا ليس أدق لغويا من القول عن (المرسلات عرفا) أنها الرحلات المتتابعة المنتظمة بعضها خلف بعض لوسائل السفر والنقل.

بل إن العاصفات عصفا هى نفس القطارات والباصات وجميع وسائل النقل مع الطائرات بعد أن تطورت من خلال أجيال متعددة حتى أصبحت جميعا شديدة السرعة بينما كانت الأجيال الأولى منها أقل سرعة.

(والناشرات نشرًا) وأول ما نلاحظه العطف بحرف الواو وليس الفاء مما يفيد إضافة جديدة، أى قسم بجديد غير المرسلات.

(والنشر فتح الشئ وتشعبه، والنشر أن تنشر الغنم بالليل فترعى) و«الناشرات» جمع مؤنث مفردة «الناشرة» وهو اسم فاعل بخلاف المرسلات جمع مرسلة اسم مفعول. كأن الناشرات هى التى ترسل المرسلات وتعمل على نشرها وتشعبها فى الأرض فتنتشر فى جميع خطوطها وطرقها وتصل إلى جميع أرجائها.

والمعنى إما أن يكون إشارة إلى أن هذه المرسلات خلفها مؤسسات وشركات وإدارات تعمل على تعميم الخطوط والرحلات فتنتشر وتشعب فى الأرض، فإذا بالكرة الأرضية مألوفة بل بعشرات الألوف من خطوط السكك الحديدية والطرق البرية والبحرية والجوية تنقل الناس من حى إلى حى ومن قرية إلى قرية ومن دولة إلى دولة ومن قطر إلى قطر ومن قارة إلى قارة.

ويدخل فى معنى الناشرات أيضا مراكز الأرصاد الجوية التى تمد الخطوط البرية والبحرية والجوية بما هو ضرورى لاقلاعها من النشرات الجوية وأحوال الطقس وتوقعات الرياح العواصف والأعاصير حتى تتجنب الخطر، والتى يعتمد عليها الطيارون والملاحون والربانة فى الاقلاع والهبوط.

(فالفارقات فرقا) ونلاحظ هنا العطف «بالفاء» وهى تعقيبية كمجئ النتيجة فى عقب المقدمة وتحقق الهدف عقب العمل مباشرة فهى فى النهاية الفارقات للأهل والأحباب عن بعضهم البعض، والفارقات بين المسافرين وبين أوطانهم وبلدانهم وكان هذا القسم - والله أعلم - هو بمحطات السكك الحديدية والموانئ والمطارات التى عندها يكون الوداع بين المسافر وأهله وإخوانه وهى المنطلقات التى تنطلق منها المرسلات بانتظام إلى محطات وموانئ ومطارات أخرى تنتهى إليها وتقف وترسو وتهبط عندها.

وجميعها الآن ذات خطوط فاصلة بين المسافرين الذين يحجزون خلف هذه الخطوط بعد تأشيرته الخروج وبين أهلهم الذين يمنعون من اجتياز هذه الخطوط

فالفارقات هو المعنى الجوهرى المميز للموانئ والمحطات والمطارات، حتى قبل بدء حركة المرسلات، فالمحطات والموانئ والمطارات التى هى أبواب المدن والعواصم والدول هى الفارقات فرقا بمقتضى القوانين، والخطوط الفاصلة والوسائل الناقلة هي الفارقات بمقتضى العصف بالمعصوف عصفاً، وبمقتضى المسافات البعيدة الشاسعة.

(فالملقيات ذكراً، عذراً أو نذراً) وهو قسم معطوف على سابقه بالفاء وليس بالواو أى أنه أمر ملحق بما سبق وليس مغايراً له. وهذا الذكر هو مايلقى على المسافرين فى المحطات والمطارات والموانئ ثم فى السفن والقطارات والطائرات والبسات بمكبرات الصوت من قيادة الرحلة وهى عبارة عن توجيهات وبيانات وتعليمات: عذراً أو نذراً، عذراً بالسماح لهم بممارسة النشاط المسموح به ونذراً ببيان الممنوع من هذا النشاط، والالتزام بمقاعدهم وربط الأحزمة فى الطائرات أو اللجوء إلى قوارب النجاة التى فى السفن ساعة الخطر التى تتعرض لها هذه الوسائل إما بالغرق وأما بالاصدام وإما بالإحترق والسقوط وهذا متكرر كل يوم .

وكذلك تكون الناشرات نشرًا التى هى مراكز الأرصاد الجوية ملقيات ذكراً عذراً أو نذراً من خلال أجهزة الإتصال اللاسلكية للربانة والملاحين والطيارين والسائقين بحراً وجوا وبراً بالسماح لهم بالرحلة أو بانذارهم من تقلبات الطقس.

يؤكد هذا الذى نقول قوله تعالى عن وسائل السفر الجماعية بما يفيد أنه سبحانه سيخلق للبشر الجديد فى هذا المجال ﴿وَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)﴾ [يس] وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعنى الإبل خلقها الله تعالى كما رأيت، فهى سفن البر يحملون عليها يركبونها^(١). لكن على هذا التفسير تحفظين:

الأول: لقوله تعالى ﴿... أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

(١) السيوطى / الدرا المنثور مجلد / ٥ / ص ٢٨٧.

الثانى: قوله تعالى ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فالضمير فى «ذريتهم» كما يتبادر إلى الذهن يعود على الذين نزل عليهم القرآن الكريم المخاطبين به وهم العرب وسائر البشر إلى يوم القيامة، وقد فسر ابن كثير «ذريتهم» بمعنى آباءهم وهذا مخالف للغة لأن المعنى اللغوى يلزم أن يكون هذا الذى خلقه الله من مثله ليركبه هو لذرية الذين نزل عليهم القرآن أى أنه سيحدث فى المستقبل.

والتحفظ الثانى حول تفسير ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بالإبل لأن الأبل لايفرق راكموها وقد قال تعالى عنهم ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مما يجعل هذا الذى خلقه الله تعالى لذريتهم للركوب والسفر بديلا عن الفلك المشحون هو من مثله، وليس مثله أى ليس من نوعه، إذ يؤدى نفس الهدف، وهو النقل والسفر الجماعى، ولكن ليس هو أو ليس مثله، ولكن من مثله أى ليس نفس النوع، ولكن من نفس الصنف الذى يؤدى نفس الأهداف، إذ تمّ فرق جوهرى بين قوله تعالى: ﴿مِثْلِهِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾. كما أن تفسير ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بالإبل لاينطبق على الذرية فقط، إذ كان الآباء والأجداد يركبونها، أما قصرها على الذرية، فيفيد أنها ستأتى للأجيال اللاحقة ولم تكن عند الأجيال السابقة.

وقد قارن الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله تعالى بين القطارات والسفن العظيمة كالأعلام من ناحية وبين الإبل من ناحية أخرى من حيث السرعة والقوة والتفوق الهائل للوسائل الحديثة والمعاصرة فى الكم الذى يحمله من المسافرين ومن أمتعتهم وبضائعهم وانتهى إلى أن القطارات والسفن العملاقة عبارات المحيطات والشاحنات التى كالجبال هى (المراة بالآية جزما)(١).

فلو كان الكلام عن سفينة نوح عليه السلام لما نوّه السياق إلى أن الله تعالى خلق لهم ماسير كونه من السفن أيضا لأن هذا أمر معلوم، لذلك قال من قال أنها الإبل لأن ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ تقتضى أنه وسيلة كالفلك وليست هى الفلك فقال: أنها الإبل باعتبار

(١) الشيخ الغمارى/ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية صلا مطبعة المكتبة الشعبية/ بيروت/ نشر دار الرشاد الحديثة/ دار البيضاء بدون تاريخ.

أنها وسيلة السفر الجماعية البرية الوحيدة فى عصره غير السفن، لكن يمنع كونها الإبل أنهم مُعرضون للغرق كركاب السفن، كما أن الله تعالى من على البشرية جميعا بحملها فى سفينة نوح عليه السلام، وليس فقط الذرية أو الاجداد فقط، فقال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١/ الحاقة).

ومن ثم دل هذا كله على أنها وسيلة ركوب جماعية إذا أصابها العطب غالبا ما يغرق ركبها فى البحر ولا منقذ لهم، أى أن إمكانية الانقاذ ضئيلة جدا، والأمر ينتهى بسرعة خاطفة حتى أنهم لا يكادون يصرخون، وهذا لا يكون إلا فى حوادث الطائرات التى غالبا ماتقع فى المحيطات والبحار لأن أكثر خطوط الطيران تكون فوقها، ولذلك يلاحظ المسافر بالطائرة تخصيص طوق للنجاة من الغرق لكل مسافر فى حالة سقوط الطائرة.

وفى هذا كله إشارة وتلميح بل وتصريح إلى أنها الطائرة بأكثر من لازم من لوازم السياق وهى:

- ١ - حمل الذرية وليس الآباء فى الفلك المشحون.
- ٢ - أنه سبحانه خلقها من مثل الفلك الشحون، وليس مثله فهى أمثال الفلك وليست فلكا.
- ٣ - أن المسافرين عليها معرضون للغرق السريع حتى إنهم لا يتمكنون من الصرير.
- ٤ - أن الله سبحانه وتعالى سمح لهم بهذه الوسيلة رحمه منه سبحانه ومتاعا إلى حين، أى فيها متاع بالرغم من أن السفر قديما كان قطعة من العذاب كما جاء فى الحديث الشريف، وهذا يشير إلى الرفاهية الموجودة على العبارات والقطارات والبسات والطائرات من غرفات للنوم ومطاعم ووسائل التسلية كالتليفزيون والفيديو وحمامات السياحة والملاعب والملاهى، مما أشار إليه السياق بقوله (.. ومتاعا إلى حين) أنه لا مصيبة ولا عذاب إلا بكثرة وغلبة المعاصى وطغيان الذنوب. وفى هذا إشارة إلى ما يرتكب فى هذا العصر داخل وسائل السفر من معاصى وكبائر، إذ جهزوها وأمدوها بوسائل اللهو والمتاع الحرام ففى قوله: ﴿وَإِنْ

نُشَأُ نَفَرَهُمْ ﴿إشارة إلى هذا، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ إشارة إلى، صبره وحلمه وعفوه سبحانه وتعالى عن كثير.

فذكرُ المتاع في السياق الذي يتحدث عن السفر بحرا أو جوا، يدل على أن السفر أصبح أمراً سهلاً ميسوراً خالياً من العذاب والمشقة بل يكتنفه المتعة والراحة، فالسفر بالطائرة ألف ميل يستغرق تسعين دقيقة، يشرب المسافر فيها المشروبات ويتناول الطعام ويشاهد فيلماً ولا يتعرض المسافر حتى للأتربة فهو سفر سهل ميسور، حتى على الشيخ الكبير الذي لم يكن من قبل مستطيعاً لقطع هذه المسافات بالوسائل القديمة، أي بالإبل والسفن القديمة، ومن ثم لم يكلف بالبريد في الماضي إلا الشباب الذين يستطيعون توصيله وحماية الإبل والخيول، فكان الشيوخ قديماً يرسلون الشباب بالبريد والبضائع، أما اليوم فإن الشباب يرسلون الشيوخ بالبريد، ولم يكن هذا الحال ليتم إلا بسهولة المواصلات ويسرها ومتعة السفر وخلوه من المشقة والخطر.

وقد أنبأ المصطفى الخاتم الصادق المصدوق ﷺ عن هذا كإمارة من إمارات الساعة فيما رواه (عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تتخذ المساجد طرقاً فلا يسجد لله فيها، وحتى يبعث الغلام الشيخ بريدًا بين الأفقيين، وحتى يبلغ التاجر الأفقيين فلا يجد ربحاً)^(١) وبين الأفقيين كناية عن طول المسافة.

وفي رواية للطبراني أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه جاء فيه (.. وأن يُبرد الصبيُّ الشيخ)^(٢) أي يرسل الصبي الشيخ بالبريد وقضاء الحوائج، أما التاجر الذي يسافر ببضاعته بين الأفقيين فلا يجد ربحاً، فهذا كناية أيضاً على أن هذا أمر متكرر كل يوم لسهولة المواصلات، الأمر الذي جعل البضائع الضرورية متوفرة في كل مكان مما أدى إلى الكساد والخسارة أحياناً. وهو ما عبر عنه المصطفى ﷺ في أحاديث أخرى عن أمارات الساعة بقوله (وتتقارب الأسواق)^(٣).

(١) الطبراني في الكبير.

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة.

يؤكد مانقول ماورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة عن امارات الساعة التي يستغنى بمقتضاها الإنسان عن الإبل في السفر الجماعي والحمير والبغال للانتقال وحمل الانتقال في السفر الفردى بقوله تعالى عن هذه الأمانة (وإذا العشار عطلت) اورد السيوطي بسنده عن مجاهد [إذا العشار، عشار الإبل، عطلت، لاراعى لها] (١) أى أهملت فلم تعد تُرَبَّى للركوب (وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم (وإذا العشار عطلت) قال: هي الإبل] وقال ابن فارس (وناقة عشاء وهي التي أقربت سُميت عشاء لتمام عشرة أشهر حملها، وجمعها عشار ويقال بل يقع اسم الجمع على النوق التي نتج بعضها وبعضها قد اقترب ينتظر نتاجها) (٢) وعطلت أى أهملت وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الناس سيهملون كوسائل للسفر لوجود وسائل بديلة أسرع وأفضل راحة.

والإبل كانت وسيلة الانتقال الجماعية والفردية، هي فردية للانتقال من حى إلى حى، وجماعية للسفر من بلد إلى آخر فى شكل قوافل، فهي بحكم الوظيفة الفردية تشارك الخيل والبغال والحمير. لكن نظرا لأن أكثر ماكان الانتقال الفردى بالخيول والبغال والحمير، وأكثر السفر الجماعى كان بالإبل لتحملها ولياقتها لهذه المهمة اشتهرت الإبل بأنها سفينة الصحراء.

أما هذه الثلاثة فقد ورد الإستغناء عنها بالتلميح الذى كاد أن يكون تصريحاً بأن الله سبحانه سيخلق من وسائل الركوب الفردية ما لا يعلمه أهل الزمان الذى نزل فيه القرآن الكريم وما بعده حتى تم اختراع السيارة والدراجة العادية والدراجة الآلية وكلها وسائل ركوب وانتقال فردية، وهذا التلميح جاء فى قوله تعالى ذاكرًا ومعدداً سبحانه النعم التي انعم بها على الإنسان سبحانه وتعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨/ النحل) أى أنه سبحانه سيخلق ما لا تعلمونه انتم ايها الصحابة ومن بعدهم من وسائل الركوب الفردية التى ستأتى بعدكم وهي مما لا يمكنكم تصوره أو إدراكه.

(١) السيوطي / الدر المنثور / ٦ / ٣٥٤.

(٢) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة / ٤ / ص ٣٢٥.

فالأية تخص وسائل الركوب الفردية فقط بدليل عدم ذكر الإبل لأنها كانت كوسيلة السفر في شكل قوافل جماعية، فكانت للركوب الجماعي.

يؤكد هذا قوله ﷺ عن نزول المسيح بن مريم عليهما السلام (والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها) (١) والقلاص جمع قُلُص والقُلُص جمع القلوص وهي النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء (٢) فالقلاص جمع الجمع وهذا يعنى أنها جميعا ستترك وتتوقف قوافل السفر بها لأن قوله (فلا يسعى عليها) أى فلايسافر الناس عليها، وكانت الإبل يُسعى عليها بين الصفاء والمروة، وبطاف عليها حول البيت فى حالة المرض والضعف والشيخوخة، وحتى هذه وتلك أيضا عطلت فيها الآن وصار للعجزة والشيخوخ كراسى متحركة يطوفون ويسعون عليها.

والمعنى اللازم هو إستحداث البديل لها، وهى وسائل الركوب والسفر الجماعية والفردية التى تستخدمها البشرية فى هذا العصر.

هذا كله يؤكد المعنى الذى استخلصناه من آية سورة «يس» وكذلك المعانى المستخلصة من آيات «المرسلات» كما أن التعبير «بترك القلاص فلا يسعى عليها» يفسر لنا المعنى المستفاد باعتباره لازما من لوازم «تعطيل العشار» لأن العشار لم تهمل باعتبارها أنعاما يشرب لبنها ويؤكل لحمها ويتنفع بأوبارها، فدل ترك السعى عليها أن التعطيل للعشار بالنسبة للسفر عليها فقط. وذلك لأن النوق التى كانت تُقَتَّنَى للسفر من سلالات خاصة، كما هو الحال بالنسبة للخيل الأصيلة، لأن هذه النوق ذات مواصفات خاصة تجعلها صالحة للسفر بخلاف النوق التى تربى لالبانها ولحومها، وهذه النوق هى التى يسمونها «الهجن» ولم يعد لها من إستعمال إلا فى سباق الهجن، كذلك يجب أن ننوه إلى أن سبب إهمال الإبل أو الهجن وترك إستخدامها

(١) رواه مسلم فى صحيحه ك/.

(٢) مختار الصحاح ص ٢٢٩.

للسفر ليس هو إختراع وصناعة القطارات والبسات والبطائرات فقط، بل السبب الحقيقى هو فى تعميم هذه الوسائل فى كل مكان فى الأرض، ولجميع المستويات المالية بين البشر، حتى أصبح فى مقدور الغنى والفقير أن يسافر على وسيلة من هذه الوسائل تناسب مستواه المالى، ومن أى بلد إلى أى بلد، ومن أى مكان إلى أى مكان، ومن أى قارة إلى أى قارة، وهو ماجاءت إليه الإشارة فى القَسْمُ بقوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ إذ بفضل الله تعالى تَمَّ تعميم تصنيع هذه الوسائل وتوفير الطاقة الرخيصة لها وهى البترول ومشتقاته ثم تمكين البشر من ايجاد الشركات والانظمة والأجهزة الإدارية التى تدير هذا كله وتنشره وتعممه حتى تغطى به أرجاء الكرة الأرضية بخطوط السفر التى هى رحلات منتظمة متتابعة، فالاستغناء عن الإبل وغيرها صار بما أقسم الله تعالى عليه بقوله ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ لأن وراء هذا النشر مؤسسات ضخمة صناعية واقتصادية وتنظيمية وإدارية.

يؤكد مانقول أنه ليس كل ما هو مُخْتَرَعٌ وَمَصْنُوعٌ منشورًا، ومعممًا على كل الناس، فالصواريخ الحاملة للمركبات الفضائية ومكوك الفضاء والغواصة وغيرها من المخترعات والمصنوعات لم تعمم للاستخدام البشرى العام مثل ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) .

فمحور القسم إذن يدور حول وسائل السفر العامة والخاصة المعاصرة، وهى من الإمارات لأنها من عجائب آخر الزمان وهى من الإمارات على قرب وقوع العذاب وحدث الخسوف الثلاثة وزلزال الأرض العظيم، إن لم ترجع البشرية إلى ربها عز وجل، لأنه اقسم سبحانه بوسائل السفر المعاصرة على المقسم عليه وهو قوله (انما تُوعَدون لواقع) وماتوعد به البشرية هو إما العذاب وإما الساعة، فالعلاقة واضحة بين القسم والمقسم عليه، وهو أن حضور ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا (٦) دليل

على بدء نهاية البشرية والقرب الشديد للساعة، وأن الدنيا آذنت بانتهاها، وما وعدوا به من عذاب واقع إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

أليس التقدم العلمى التقنى فى وسائل الركوب والسفر وتنوعها بين برية وبحرية وجوية وانتشارها هو مما جعل أهل الأرض يظنون أنهم قادرون عليها؟ بلى والله، اللهم ارحم عبادك يوم نزول عذابك؟.

(٤٠) مخترعات معاصرة متعددة مصاحبة للمرسلات أنبأت عنها الأحاديث النبوية

لقد ربط رسول الله ﷺ فى حديث مسلم بينها وبين نزول المسيح من السماء، ومعلوم أن خروج الدجال يسبق نزول المسيح عليه السلام، ومعلوم أن ظهور المهدي عليه السلام يسبق خروج الدجال لعنه الله، ومعلوم أن الزلزال يسبق ظهور المهدي، فإذا كان ظهور وسائل السفر المعاصرة هذا الذى أدى إلى ترك القلاص، وتعطيل العشار، علامة على قرب نزول مسيح الهدى عليه السلام، فأولى أن يكون هذا كله علامة على قرب الخسوف والزلزال، ومن ثم أقسم الله بها جميعا على أن وعيده للناس بالعذاب- إن لم يتوبوا إليه- لواقع.

وهذه الأمارات التى ذكرها الله تعالى مقسما بها وهى وسائل السفر تصاحبها امارات أخرى حضارية أيضا من المخترعات العلمية والتقنية وهى أيضا من العجائب ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۖ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۖ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۖ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ ۖ (١١) لَأَيُّ يَوْمٍ أَجَلَتْ ۖ (١٢) لَيَوْمَ الْفَصْلِ ۖ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۖ (١٤) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۖ (١٦) ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ۖ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۖ (١٨) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المسلمات ٨-١٥].

وقد حدثت هذه الأمارات أيضا، لأن طمس النجوم ذهب ضوئها وقد ذهب ضوؤها بسبب اضاءة المدن حتى أن الناظر إلى سماء المدينة فى ليلة صافية لا يرى نجما واحدا بسبب الأضواء المنبعثة من المدينة بينما ترى النجوم فى البادية وفى الريف، وهى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ والطمس أشد فى الاخفاء من الانكدار، وكلاهما يعنى إختفاء المرئى أو غياب معالنه فى بصر الرائى وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ قد حدث أيضا والفرجة تطلق على الفتحة أو الشقب فى السقف إذا

فَتُفْتَحُ السَّقْفُ مِنْ أَسْفَلٍ أَوْ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْفَلٍ، وَالْغُلَافُ الْجَوَى أَوْ طَبَقَةُ الْأَوْزُونِ التِّى هِيَ بِمِثَابَةِ السَّقْفِ، إِذَا كَانَتْ الْفَتْحَةُ فِيهِ مِنْ أَسْفَلٍ وَإِنَّمَا يُقَالُ إِنْفَرَجَ السَّقْفُ وَيُسَمَّى هَذِهِ الْفَتْحَةُ التِّى تُرَى مِنْ أَسْفَلٍ فَرْجَةً، وَمِنْ ثَمَّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ) إِلَى حَدَثٍ مَا يَخْرِقُهَا مِنْ أَسْفَلٍ وَهُوَ مَا تَمَّ وَيَتِمُّ بِعُرُوجِ سَفْنِ الْفَضَاءِ وَالصَّوَارِيخِ وَمَكْوِكَ الْفَضَاءِ مِنْهَا. وَكَذَلِكَ قَدْ يَنْطَبِقُ هَذَا الشَّرْطُ عَلَى ثِقَابِ الْأَوْزُونِ لِأَنَّهُ انْفِرَاجٌ بِفَعْلٍ غَاذَاتٍ صَاعِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَى مِنْ أَسْفَلِ السَّقْفِ لَكِنْ هَذَا احْتِمَالٌ ضَعِيفٌ، إِذْ لَثِقَابِ الْأَوْزُونِ، آيَةٌ أُخْرَى أَكْثَرُ مِطَابَقَةً أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسْفَتْ) فَقَدْ حَدَثَ وَنُسِفَ الْإِنْسَانُ الْجِبَالَ بِالدِّيْنَامِيْتِ ثَمَّ حَمَلَهَا فِي سِيَّارَاتٍ شَحَنَ ضَخْمَةً ثَمَّ نَقَلَهَا إِلَى خَارِجِ الْمَدَنِ وَشَقَّ الْجِبَالَ لِنَقَبِهَا وَشَقَّ الطَّرِيقَ فِي بَطُونِهَا بِمَا نَطْلُقُ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقَ. وَمَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ وَجِبَالُهَا وَمَا حَدَثَ لَهَا خِلَالِ الْعَشْرِينَ سَنَةَ الْمَاضِيَةِ خَيْرٌ شَاهِدٌ عَلَى هَذَا كُلِّهِ.

(وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ) أَى جُعِلَ لَهَا وَقْتُ الْحِسَابِ أَتَمُّهُمْ وَاشْهَادُهُمْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿لَا أَى يَوْمٍ أَجَلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَبَلْ يَوْمُئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَى لِلرُّسُلِ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ شَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ وَعِيدِ بِالسَّاعَةِ وَأَمَارَاتِهَا.

إِنْ أَهَمَّ مَا يُمَيِّزُ وَسَائِلَ الْإِنْتِقَالِ وَالسَّفَرِ الْحَدِيثَةِ هُوَ السَّرْعَةُ، وَهَذَا مَانَّبًا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ قِسْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا بِقَوْلِهِ ﷺ (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْتَقَارِبَ الزَّمَانُ وَتَزُولَ الْأَرْضُ زَيْلًا^(١)) وَالزَّيُّ هُوَ الطَّيُّ وَهُوَ مَا يَشْعُرُ بِهِ رَاكِبُ السَّيَّارَةِ الْمُسْرَعَةِ أَوْ الْقِطَارِ أَوْ الطَّائِرَةِ وَيَزْدَادُ زَيْ الْأَرْضِ وَطَبِهَا بِزِيَادَةِ السَّرْعَةِ وَقَالَ ﷺ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْتَقَارِبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ)^(٢) أَى كَالسَّعْفَةِ الْمُحْتَرَقَةِ لَا يَسْتَعْرِقُ حَرْقُهَا إِلَّا ثَوَانِي أَوْ ثَانِيَةً. وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْتَقَارِبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَالْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ.

(٢) جَامِعُ التِّرْمِذِيِّ / ح ٢٣٦٩.

والساعة كاحتراق السعفة^(١) وهى ورقة النخلة اليابسة تحترق فى ثانية أو اثنتين. والمعنى أن ما تقطعه الطائرة النفاثة فى ثانية تقطعه وسيلة أخرى فى ساعة ونفس المسافة تقطعها الوسائل القديمة فى يوم، وما تقطعه السيارة فى يوم تقطعه الإبل فى شهر وتقطعه الطائرة فى ساعة وهكذا.

وهذا معناه أن البلاد البعيدة أصبحت قريبة أو قريبة جدا حسب سرعة الوسيلة التى يسافر بها المسافر فكما كان أهل مكة يصعدون الجبل إلى الطائف صيفا لجوها الصيفى البارد والمسافة بينهما قرابة أربعين أو خمسين ميلا أصبح أهل مكة والمدينة يقضون الصيف بالشام بدلا من الطائف، كأن الشام ضاحية من ضواحي مكة أو المدينة لأن الزمان الذى يستغرقونه فى السفر إلى « الشام بالسيارة يوم وبالطائرة ساعة فكأنه سفر إلى الطائف أو أدنى من الطائف وقد نبأ النبى ﷺ أن هذا سيكون، وأشار إلى سهولة الانتقال ويسره، حتى بالنسبة للمريض بقوله (لأنقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة) وقد علق الشيخ الغمارى رحمه الله على هذا الحديث الشريف بقوله أن فيه معجزه للنبي ﷺ، لأنه يستحيل على الذى يريد السفر للاستشفاء- إذا كان مريضا- الذهاب من المدينة إلى الشام لمسافة ألف ميل وأكثر على الإبل، وإن كان غير مريض، فكيف يقطع على الإبل أكثر من شهر للذهاب وشهر للعودة لكى يستجم فى الشام بضع أيام ثم يعود بنفس المشقة، فمثل هذه المسافة لم تكن تقطع الا للتجارة. ولم يكن بين القدماء عاقل يسافر هذه المسافة البعيدة فى الحر للإستجمام والراحة أو للعلاج من المرض.

أما وقد حدث هذا فعلا، ولا يزال، فإن هذا دليل على صدق نبوته ﷺ، خاصة فى عصر البترول إذ يملك أهل الجزيرة بعامة ومنهم أهل المدينة أحدث السيارات والمال فيركبون الطائرات من المدينة إلى أى مكان فى العالم، علاوة على ذهابهم بسياراتهم.

وقد نبأ النبى ﷺ عن السيارة بالوصف والتشبيه فذكرها ذكر صريحا إذ شبهها بالرحال التى كانت توضع فوق الإبل، وهى مراكب الإبل عليها السروج ثم يوضع فوقها بالهودج الذى هو عبارة عن غرفة صغيرة مكعبة الشكل من الستائر لتجلس المرأة فوق الرحال فى داخل الهودج وكانت تستخدم فى زف العروس.

(١) مسند الإمام أحمد / ح ١٠٦٦٧.

ومعلوم أن السرج هو المقعد الجلبد الذي يوضع فوق الإبل والخيول والحمير والبغال ويصنعه السروجي، والعجيب أن يسمى الناس اليوم من يصنع كراس السيارات الحديثة بالسروجي أيضا وقد سَمَّى رسول الله ﷺ ماستقعد عليه الناس في آخر الزمان بالسروج وهذا فيما رواه أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كاسنام البخت العجاف، إلعنهن فإنهن ملعونات) (١).

ورواه الحاكم في مستدركه بلفظ المياثر بدلا من السروج والمياثر هي السروج العظام وهي ثياب حمر تكون في مراكب الاعاجم، والسرج في اللغة الرحل وقد أُسْرِجَت الدابة، والرحل هو رحل البعير، وهو مايوضع فوق القتب، والجمع الرحال. والمفهوم من هذا كله أن المياثر مقاعد مريحه وثيرة كبيرة وهذا الحديث الصحيح الشريف يتضمن عدة حقائق هامة:

١ - الركوب على السروج العظام الوثيرة في مراكب كأشباه الرجال اي ليست رحالا وإنما تشبه الرجال، فهي ليست خيلا ولا إبلًا فماذا تكون غير السيارات؟.

٢ - قوله ﷺ ينزلون على أبواب المساجد يمنع أنها خيل وإبل، لأنهم لم يكونوا يربطونها على أبواب المساجد، بل بعيدا عنها حتى لاتلوث مداخل المساجد بروثها فدل هذا على أنها السيارات.

٣ - قوله ﷺ: (نساؤهم كاسيات عاريات) يدل على ظاهرة التبرج المصاحبة في الزمان لانتشار السيارات أو مع ظهور السيارات لأن الحديثين: تعميم استخدام السيارات وظهور التبرج، متعاصران تمامًا.

٤ - قوله ﷺ (سيكون في آخر أمتي) دليل صريح على أن السيارات أماره من أمارات الساعة تدل على قربها، وأن الدنيا في آخر الزمان، لأن آخر الأمة هو آخر الدنيا باعتبار أنه ﷺ آخر الأنبياء وأمه آخر الأمم.

٥ - الحديث دليل على أن داء التبرج سيصيب أكثر الأمة، لأن النساء الكاسيات

(١) ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

العاريات الملعونات ينتظرن أزواجهن وأهلهن فى سياراتهم على المياثر حتى يؤدون الصلاة داخل المسجد، وقد علق الشيخ الغمارى رحمه الله على هذا الحديث بقوله (فهو من أصرح الأحاديث فى السيارات).

وحيث قد ارتبط ترك القلاص فلا يُسافر عليها بنزول المسيح بن مريم عليهما السلام، فإنه يكون من المتوقع وجود نصوص تتحدث عن وسائل السفر المعاصرة السريعة بأنواعها فى عصر المهدي والدجال أيضا، من هذه الأحاديث:

١ - روى أبو على عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: يا أيها الناس إني أجمعكم لخبر جاء من السماء، فذكر الحديث وفيه: هو المسيح تطوى له الأرض فى أربعين يوما، إلا ما كان من طيبة، وطيبة المدينة مامن باب من أبوابها إلاً عليه ملك مُصلتٌ سيفه يمنعه وبمكة مثل ذلك).

٢ - وفى صحيح مسلم حديث طويل عن الدجال جاء فيه (قلنا يارسول الله: وما إسرعه فى الأرض؟ قال: كالغيث إستدبرته الريح) وهذا وصف صريح دقيق لطائفة الثفائة.

٣ - جاء من أخبار المهدي أن الذين يبائعونه، وهم عدة أهل بدر، كقزع الصيف سيلاحقونه من مكة إلى المدينة ثم من المدينة إلى مكة ثلاث مرات، وذلك فى المدة من نهاية موسم الحج حتى ليلة عاشوراء، أى حوالى خمسة وعشرين يوما ويبائع ليلة عاشوراء، وليس هذا ممكنا إلاً بالوسائل الحديثة فى السفر ولذلك إعتبر بعض الأقدمين هذه الأخبار منكراً، لأن هذه المسافة بين مكة والمدينة تحتاج بالابل إلى شهر ذهاباً وإياباً فكيف بقطعونها ثلاث مرات ذهاباً وإياباً فى أقل من شهر؟! ومن ثم يكون المهدي فى زمن هذه الوسائل السريعة.

٤ - ورد أن المسيح عليه السلام يدرك الدجال عند باب لد ويقتله عنده، والد لم تكن باباً فى القديم وهى الآن مطار فى شرق تل أبيب، وأبواب المدن الآن هى المطارات والموانئ ولاشك أنه سيحاول الإفلات من المسيح عليه السلام بركوب طائرته الرابضة فى مطار اللد.

٥ - أَجْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا سَيُحْمَلُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدِ
الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَبَجَّهَ الظَّهْرَ جَهْدًا
شَدِيدًا، فَشَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا بَظْهَرَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ فَتَحْنِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مَضِيقًا سَارَ النَّاسُ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَرُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فَمَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِظَهْرِهِمْ فَجَعَلَ
يَنْفِخُ بِظَهْرِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ احْمِلْ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِكَ، فَإِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوَى
وَالضَّعِيفِ وَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) قَالَ فَضَالَةُ: فَمَا بَلَّغْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى
جَعَلْتَ تَنَازَعَنَا أَزْمَتًا، فَقُلْتَ: هَذِهِ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَوَى وَالضَّعِيفِ، فَمَا
بِالْرَّطْبِ وَالْيَابِسِ؟! فَلَمَّا قَدَمْنَا الشَّامَ غَزَوْنَا غَزْوَةَ قَبْرِصَ فِي الْبَحْرِ فَلَمَّا رَأَيْتِ
السَّفْنَ فِي الْبَحْرِ، وَمَا يَدْخُلُ فِيهَا عَرَفْتَ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ (١).

وَلَمَّا أَنْ تَسْأَلُ: إِذَا كَانَ الرَّطْبُ فِي الْبَرِّ هُوَ الْخَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمِيرُ وَالْإِبِلُ فَمَا هُوَ
الْيَابِسُ الَّذِي يَحْمِلُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ جُنُودَهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ فِي الْبَرِّ؟! وَهِيَ
جَمِيعًا تَقَابِلُ الْيَابِسِ فِي الْبَحْرِ أَى السَّفَنِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَرْكَبَاتُ الْآلِيَّةُ بِأَنْوَاعِهَا؟!
لَأَنَّ دَعْوَتَهُ ﷺ تَضُمَّتْ أَرْبَعَ وَسَائِلَ رَطْبٍ وَيَابِسٍ فِي الْبَرِّ وَرَطْبٍ وَيَابِسٍ فِي
الْبَحْرِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مِنْهَا مَا هُوَ قَوَى وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَعِيفٌ.

فَالضَّعِيفُ الرَّطْبُ فِي الْبَرِّ وَالْخَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمِيرُ ثُمَّ الْيَابِسُ الدَّرَاجَةُ الْعَادِيَّةُ
وَالدَّرَاجَةُ الْآلِيَّةُ وَالسَّيَارَةُ الْفَرْدِيَّةُ وَالْقَوَى الرَّطْبُ فِي الْبَرِّ الْعُشَارُ أَوِ الْقُلُوصُ أَى
الْهَجَنُ.

وَالْقَوَى الْيَابِسُ فِي الْبَرِّ الْقَطَارُ وَالْيَابِسُ وَفِي الْبَحْرِ الضَّعِيفُ الْيَابِسُ السَّفَنِ
الشَّرَاعِيَّةُ وَالضَّعِيفُ الرَّطْبُ السَّفَنِ الْبَخَارِيَّةُ وَالْقَوَى الْيَابِسُ السَّفَنِ الْحَدِيثَةُ
وَالْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ بِالْوَقُودِ الْبَتْرُولِيِّ وَبِالذَّرَّةِ مِثْلَ حَامِلَاتِ الطَّائِرَاتِ.
وَقَوْلُهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَدْخُلُ فِيهِ الطَّائِرَاتُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسَافِرِينَ فَوْقَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: (... وَضُيِّقَتِ الطَّرِيقَاتُ ...) كُنَايَةً عَنْ
كَثْرَةِ السَّيَارَاتِ وَأَزْمَةِ الْمُرُورِ.

٦ - رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (الدَّجَالُ يَخْرُجُ
فِي بَغْضٍ مِنَ النَّاسِ وَخُفَّةٍ مِنَ الدِّينِ وَسُوءٍ ذَاتِ بَيْنٍ فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ فَتَسْطَوِي لَهُ

(١) مسند الإمام أحمد / ح ٢٣٤٩٥.

الأرض طى فروة الكبش...) وهذا التعبير دليل على السرعة الشديدة، لأن طى فروة الكبش تستغرق جزءاً من الثانية، فإذا كان المقصود بلفظ الأرض فى الحديث المسافة من المكان الذى فيه المسافر إلى نهاية الأفق المرمى، فهذه قد تبلغ من أربعة إلى سبعة أميال، فتكون السرعة على الأقل ثمانية عشر ألف كيلو متر فى الساعة، هذه سرعة الطبق الطائر التى لم تبلغها سرعة التفاثات التى ورد فيها قوله ﷺ (كالغيث إستدبرته الريح) وهذا يعنى أن عنده وسائل سريعة للسفر ووسائل أسرع وأسرع.

كل هذا يثبت أن وسائل السفر المعاصرة المتفاوتة فى السرعة دليل على أننا فى آخر الزمان وفى عصر الآيات العشر وأن أول الآيات وهى الخسوف التى تقع. بزلزال الأرض العظيم على وشك الحدوث والله تعالى أعلى وأعلم ونسأله الرحمة والنجاة يوم نزول العذاب.

الفصل الثاني

الأساطيل البحرية الحربية

فى القرآن الكريم والسنة

(٤١) التفسير اللغوى المحض للنازعات غرقا وأخواتها يصدق على الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة أكثر من صدقه على أى شئ آخر.

قال تعالى مقسما: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝﴾ [النازعات ١-٧] مربنا أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بجلد صبيغ بن عسل مائة جلدة لسؤاله عن أشياء منها الرسائل والنازعات، وتبين لنا أن النازعات من التى سكت عنها النبى ﷺ لحكمة ذكرناها فى الفصل السابق، فإذا أردنا أن نعرف مافسر به الصحابة والتابعون هذه الآيات، لوجدنا أنهم فسروا الرسائل ومابعدها والنازعات ومابعدها بالملائكة تنفذ أمر الله تعالى فى حياة الناس.

وليس مايمنع أن يكون تفسيرهم صحيحا مع وجود تأويل لهذه الآيات فى آخر الزمان يكون مطابقا لغويا على هذه الآيات مثل مطابقته على تفسيرها بالملائكة وربما يكون أكثر مطابقة فيؤكد هذا صحة التأويل بالآمارات المعاصرة.

والذى يرجح التأويل بالآمارات المعاصرة على تأويل السابقين لهذه الآيات بالملائكة هو الصلة المعنوية بين القسم والمقسم عليه.

فى الرسائل لمسنا أن الصلة بين وقوع الوعيد وهو المقسم عليه، وبين وجود الرسائل عرفا بمعنى أجهزة ووسائل السفر المعاصرة قائمة، وهو نزول العذاب.

كذلك نجد أن القسم بالنازعات ومابعدها على أمر يكون يوم ترجف الراجفة أى يوم يقع زلزال الأرض العظيم كما سبق وأن عرضنا تفسيره فى الجزء الأول، ولاشك

أن مطابقه الآيات على تفسيرين متباعدين هو من الأعجاز البياني لكتاب الله عز وجل، وذلك لأن الصحابة والتابعين ومن بعدهم لابد أن يفهموا معانى مقبولة لهذه الآيات، فإذا ما تحقق التأويل المعاصر الذى هو أمارات على الساعة لا يملك السامع أو القارئ حياله إلا التسليم به وقبوله، يؤكد ان المقسم عليه من أمارات الساعة. وعلى كل حال فما دام التفسير الذى نوره أكثر مطابقة حسب اللغة فهو أولى بإعتماده من غيره.

فما الصلة بين ما أقسم الله تعالى به وبين المقسم عليه وهو (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) وقد ثبت لنا أن الراجفة هى الزلزلة العظيمة وأن الرادفة هى الساعة هذا فى قول راجح.

ما الصلة بين النزاعات وما أقسم المولى عز وجل به معها وبين أمارات الساعة؟ ربما يقول أصحاب تفسير النزاعات بالملائكة أن يوم الراجفة أى الزلزال ثم الرادفة أى الساعة سيموت أكثر الناس ومن ثم ستقوم الملائكة بمهامها المتمثلة فى نزع نفوس الكفار نزعا ونشط نفوس المؤمنين نشطا وهذا تفسير مقبول.

ولكن إذا كانت ثمة أحداث سابقة للراجفة مباشرة ومعاصرة لها أو تصدق عليها هذه الأوصاف التى وردت فى القسم لصار هذا التفسير أكثر مطابقة.

يدل على هذا قوله تعالى بعد القسم «يوم» أى أن هذه النزاعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ستكون موجودة وكأنه يوم الرادفة أى فى عصرها، وزمانها، وتكون هذه جميعا أمارا على قرب وقوعها وارهاصة لها، بل إذا ثبت أنها جميعا من أسباب وقوع الراجفة فإن المطابقة تكون تامة.

فإذا تذكرنا أن اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا، وهو بمعنى العصر، وإذا تذكرنا أن الساعة تسبقها أمارات أى عجائب، فإن آخر الزمان يكون هو زمن العجائب ويؤكد لنا هذا أن النزاعات من الأمارات، ومن العجائب. وأن استخدامهما فى الشر والاستعلاء والطغيان، وليس فى الخير من أفعال الانسان المغضبة للخالق عز وجل،

والتي تكون مع غيرها من الجرائم، أسبابا لنزول العذاب إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

فهل فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده قول يصلح سنداً لماسنقول من تفسير للنازعات وأخواتها؟

نعم، هو قول عطاء بن رباح عن النازعات أنها القسى جمع قوس وهو آلة الحرب القاذفة للسهام فهو سلاح قاذف وقال عن الناشطات هى الأوهاق أى الحبال فى آخرها الانشودة التى تعلق فيها الخيل أو الدابة، أما السابقات عنده فهى الخيل وهى أخطر سلاح فى الحرب القديمة.

وقال قتادة إن النازعات غرقا الكافر، ولم يقل الملائكة تنزع نفس الكافر، وإنما ربط بين الكفر وبين النازعات، ثم قال عن السابقات أنها النجوم.

أما الذى ورد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن النازعات وأخواتها الملائكة فليس مايمنع أن يكون حقاً، ولكن لايمنع أن تكون الآيات أكثر إنطباقاً وصدقا على أسحلة الحرب، لأن الصلة التى بين هذا التفسير - أى أسلحة الحرب - وبين الراجعة اوثق من الصلة التى بين هذا اليوم وبين الملائكة كما سنرى.

فالتفسير بالسلاح ارجح، ولكن ليس بالسلاح القديم فقط، إذ تكون ارجح وأكثر مطابقة، حسب اللغة، للسلاح البحرى المعاصر، وليس القسم بالأسلحة الفردية بل بالأسلحة الجماعية والبحرية بالذات، تلك التى تكون جيشاً عرمرماً كاملاً وقوة جبارة باطشة يمكنها التدمير والغزو لأى بحر أوبر فى الأرض. وهو قوة العلو الكبير فى الأرض ليس لأمريكا فحسب بل لبنى اسرائيل الذين سيطروا عليها وحكموها بالافساد فيها، ثم بالافساد بها فى كل الأرض، إن أول ماتشير إليه الآية (والنازعات غرقا) أننا بازاء أمر بحرى، لأن البحار والمحيطات أكثر من ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، ومن يسيطر عليها يحكم الأرض، وهذه الغاية تحتاج إلى أسلحة وقطع وأجهزة بحرية خاصة ومتنوعة. نعم، ولكن هذا الأمر قديم إذ قد عرفت البشرية الاساطيل البحرية منذ القدم.

هذا صحيح، بيد أن هذه الأساطيل القديمة كانت مجرد سفن تحمل الجنود وعليها سلاح واحد فقط هو المنجنيق ثم المدفع، فكانت ذات شكل واحد وطراز واحد ومهمة واحدة، أما الأسطول البحري المعاصر، فقد تعددت قطع الأسطول من حيث الحجم والشكل والسرعة، ومن حيث الوظيفة القتالية لكل قطعة في هذا الأسطول، حتى يمكن القول أن الأسطول الأمريكي الواحد جيش بحري وجوى وبرى كامل متكامل عائم فوق سطح الماء، تخرج قِطْعُهُ من الترسانة التي صنعتها في أمريكا، فلا تعود إلى شواطئها بعد ذلك إلا إذا أحييت الواحدة منه إلى التقاعد، وخرجت من الخدمة، أي تظل هذه الأساطيل أو بالأحرى الجيوش الأمريكية العائمة تجوب البحار والمحيطات، وهي على صلة وثيقة آنية بقيادتها في البستاجون على بعد آلاف الأميال كأن حكومتها وقيادتها الموجودة في واشنطن معها وإن لم تكن فيها.

صحيح أن القسم الإلهي بالنازعات وأخواتها لا يخص أساطيل أمريكا وحدها بل يعم ويضم جميع هذه النازعات وأخواتها في كل بحار ومحيطات الدنيا، إلا أنه يحق لنا بلا جدال أن نقول إنه قسم بالأسطول البحري المعاصر بعامة وبالإساطيل الأمريكية بخاصة كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

أما القطع البحرية في الأسطول البحري بعامة وفي الأسطول الأمريكي بخاصة، والتي هي مختلفة في الحجم والشكل والسعة، والمهام القتالية الموكولة بها، فهي كالتالي بحسب الأحداث في الاختراع والصنع:-

أولاً: الغواصات وهي النازعات غرقاً. أقول، وبالله تعالى التوفيق والسداد وله الحمد والمنة، أنه سبحانه يقسم بالنازعات غرقاً أي التي تدفع بنفسها مرتفعه من قاع البحر إلى سطح الماء متازعة للغرق، أو تنزع نفسها لتطفو مع كونها غارقة في الماء.

قال ابن فارس في معجمه عن مادة: نزع: أصل صحيح يدل على قلع شيء، ونزعت الشيء من مكانه نزعا.. والنازع هو الذي ينزع في القوس أي يجذب وتره بالسهم) ونزعت الماء من البشر أي رفعته، (وبئر نزوع قرية القعر ينزع منها باليد)^(١)

(١) ابن فارس / ٤١٥/٥.

فمعنى النزاع الأخذ مع الشدة والرفع، والخلع والترك. والنزاعات جمع نازعة اسم فاعل، وليس لها فى القسم مفعول مطلق كقوله (والناشطات نشطا) بل قال (غرقا) وهو فى معنى الحال أى أن نفس المنازعة غارقة ، أى تنزع نفسها فى حال كونها غارقة، فهى تنزع الغرق.

والذى يسبح فوق الماء لايتنازع الغرق أولا ينزع نفسه من الغرق وإنما هو يقاوم الغرق بأن يظل على سطح الماء بما يفعله من حركات تعرف بالسباحة، أما الذى ينزع نفسه وهو غارق، فلا بد أن يكون تحت سطح الماء، فإذا نزل تحت السطح وتوغل فى الأعماق رغما عنه فهو الغرق، وإذا فعل ذلك بارادته فهو الغوص وهو غواص، بيد أن الغريق هالك ولا يطفو إلى السطح إلا جثة وبالنسبة للسفن تطفو بعد غرقها ألواحاً خشبية مبعثرة. أما الذى يغوص حتى القاع ثم إذا شاء إرتفع إلى السطح فهو الذى ينزع نفسه بالرغم من كونه غارقاً تحت سطح الماء.

والغواصة آخر المخترعات البحرية صنعا واختراعا تغوص ثم تنزع الغرق فتطفو إلى السطح فالنازعات غرقاً هى الغواصات. وقد أعطاهما الذكر الحكيم بهذه التسمية أخص ما يميزها عن غيرها من قطع الأسطول الأخرى، وهى منازعة الغرق والتخلص منه، لأن الغوص وهو المعنى الذى اشتق منه اسمها عند البشر ليس هو الميزة التى تتميز بها لأنه ميسور لكل جسم فوق سطح الماء إذ هو ليس إلا الغرق، ولكن جوهر وكنه هذه القطعة هو منازعة الغرق، والاستطاعة على الصعود للسطح إرتفاعاً من القاع، ومن ثم فتسمية الذكر الحكيم لما نطلق عليه نحن البشر الآن «الغواصات» «بالنازعات غرقاً» أدق وأصح وأوضح.

ثانياً: (والناشطات نشطا) قال أبو عبيد هى النجوم تطلع ثم تغيب وقيل هى النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، وقال ابن مسعود وابن عباس هى الملائكة).

وفى اللسان (نُشِطَتْ الإبل تنشيطا إذا كانت ممنوعة من المرعى فأرسلتها ترعى وقالوا أصلها من الانشودة إذا حلت) (ونشطت الناقة فى سيرها وذلك إذا شَدَّتْ) (١).

والذى يمكن استخلاصه من هذا كله أن المعنى اللغوى الدقيق للأصل: نشط هو الإنطلاق المفاجئ السريع القوى، إما بعد سكون وتوقف، وإما بعد حركة أبطأ من سرعة الإنطلاق. يؤكد هذا المعنى قوله فى اللسان (ورجل متنشط إذا كانت له دابة يركبها فإذا سئم الركوب نزل عنها، ورجل متنشط من الانتشاط، إذا نزل عن دابته من طول الركوب) (١) فالنشاط هو الحركة والإنطلاق بعد الركون والسكون والتوقف، أو هو الاسراع المفاجئ بعد الإبطاء، وهذه الصفات بالنسبة لقطع الأسطول تتوفر فى ذورق الصواريخ أو ذورق الطوربيد أو الطراد لأنها جميعا تتصف بالحركة المفاجئة السريعة، بينما سائر قطع الأسطول الأخرى تحتاج إلى التدرج فى السرعة فلا تستطيع المناورة كالنشاطات نشطا لأن أهم مافى السلاح المناور هو القدرة على السرعة المباغتة مع الإلتفاف وتغيير الاتجاه بخفة وسرعة.

فالنشاط بهذا المعنى هام جدا لوظيفة الذورق والطراد ومهامهما القتالية. وقوله تعالى (نشطا) هو مفعول مطلق لتأكيد هذا المعنى وبيان شدة النشاط وقوته.

ثالثا: (والسباحات سبحا) السباحات جمع سابحه اسم فاعل وسبحا مفعول مطلق يفيد التأكيد، والسباحة العوم وهو الطفو فوق سطح الماء مع الحركة، إذا الفرق بين قولنا يطفو وقولنا يسبح هو حركة السابح وانتقاله فوق سطح الماء من موضع إلى موضع آخر. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ لأن الأجرام والكواكب ^{التي} فى فلك دائرى أو يضاوى حول مركز، وتحافظ على مستوى البعد أو الارتفاع عن هذا المركز كما يحافظ السابح فوق الماء على بعد ثابت بينه وبين القاع فلا يفرق ولا ينزل تحت مستوى سطح الماء، أى يظل دائما على سطح الماء أثناء انتقاله من موضع إلى موضع.

(١) لسان العرب لابن منظور.

وللسائل أن يسأل: أَلَيْسَتْ البشرية تركب السفن السابحة، منذ ابنيها الثاني نوح؟
فقيم يكون القسم بالسفن السابحة بعد القسم بالغواصات وبالزوارق الناشطات؟

حقا إن الله تعالى عظيم ولا يقسم إلا بعظيم من الخلق والأمر.

وجوهر معنى هذا القسم يكمن في قوله تعالى (سبحا) التأكيدية والتي تدل على ضخامة وعظمة السباحة الحادثة ومن ثم ضخامة وعظمة السابحة من هذه السابحات وهذا يشير إلى أنها حاملات الطائرات.

أرأيت مدينة عائمة طافية فوق سطح الماء تتكون من عشرة طوابق إرتفاعا ومئات الامتار طولاً وعشرات عرضاً، بها كل مقومات وإمكانات الحياة الرغدة المرفهة وغرف النوم التي تستوعب آلاف الجنود الذين يستقبلون بصفه دورية زوجاتهم أو صديقاتهم أو اللاتي يأتين للترفيه عن الجنود والضباط.

قرية من قرى امريكا أو قل مدينة صغيرة بمساحتها وأسواقها ومطاعمها وطرقاتها ومصادر طاقتها النووية علاوة على اجهزتها العسكرية والطائرات التي عليها والمدرمات التي تحمل جنود مشاة البحرية للنزول على الشواطئ للقتال.

حتى وزارة المالية الأمريكية والبنك المركزي الذي يتولى طبع الدولار الأمريكي موجود له فرع في هذه المدينة ليطلع المرتبات التي يتقاضاها الجنود، تلك هي السابحة سبحا.

إنك إذا نظرت لأول وهلة إلى هذه القطعة نظن أنك ترى اليابسة أو جزيرة فإذا نظرت للوهلة الثانية تتيقن أنك أمام جزيرة عائمة، وهي كذلك، مطار عائم، وهو كذلك. وتلك هي الجوارى في البحر كالأعلام. التي يظن الإنسان الكافر واهما أنها له وأنه يملكها ملكية حقيقية لكن عندما تأتى الريح العاصف والأعاصير وتعلو الأمواج كالجبال ويوشكون على الغرق يدركون أنها لله تعالى وأنه هو وحده المالك الحقيقي لكل شئ في الأرض وفي السماء ويعلمون أنها لله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿[الرحمن ٢٤-٢٥] تلك هي السابحات

سبحا. جيش عظيم عائم بكامل معداته وجنوده حتى الطيران والمدركات، تحاول أن تسيطر به الآن دولة واحدة على الأرض، هي عاد الثانية التي قال رئيسها بوش ومن بعده كلينتون ليس على وجه الأرض قوة أعظم من قوة الولايات المتحدة الأمريكية والقرن الواحد والعشرون هو قرن أمريكا. كأنهم ملكوا حتى الزمن وضمنوا مجيء القرن الواحد والعشرين؟!

كذلك استكبرت عاد وقالت من قبل ﴿من أشد منا قوة﴾ والسباحة هي العوم فوق الماء فلا يشترط فيه سرعة الانتقال والحركة لأن حقيقة السباحة هي استمرار الطفو وعدم النزول تحت سطح الماء. فالسباحات إذاً ليست سريعة كالناشطات ولا تناور مثلها ولا تنغوص تحت سطح الماء كالنازعات لأنها صنعت لكي تكون مدينة عائمة لها مطارها.

وربما تدخل في السباحات أيضا مع حاملات الطائرات المدمرات وهي بوارج حربية عظيمة محملة بالمدافع الثقيلة والطور بيدات وسرعتها محدودة أيضا كحاملة الطائرات بالقياس إلى الناشطات.

وكذلك يدخل في معنى السباحات العبّارات ؟ المصممة والمصنوعة للسفر عبر المحيطات وهي كالمدن العائمة التي يصدق عليها قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أي كالجبال وهي منشآت أنشأها الإنسان كالعمارات السكنية ومن ثم تسبح فوق الماء سبحا، وقوله تعالى: (له) عن الجوارى المنشآت العظيمة كالأعلام التي لم يكن لها وجود بهذا الوصف إلا في هذا العصر يدل على أنها الأساطيل البحرية الضخمة التي يظن أعداء الله تعالى أنهم يملكونها على الحقيقة وأنهم بها أقوى قوة في الأرض ولكنهم وما يملكون من قوة ملك الله تعالى وحده. فهي له وحده سبحانه ولا يهينهم ولا يهينهمونها إلا بأمره وسيطل الله تعالى كيدهم.

وكذلك يدخل في السباحات سفن الشحن العملاقة التي منها ناقلات البترول العملاقة التي تحمل مئات الآلاف من الأطنان.

فالقسم اذن يشمل ماهو عسكري بحرى وماهو مدنى للسفر فى البحر وماهو مدنى للتجارة والنقل البحرى.

خامساً: قوله تعالى (فالسابقات سبقا) يجعلنا نسأل لماذا العطف هنا بالفاء وقد كان قبل بالواو؟ الواو تفيد الإضافة والجمع أى أن قسمه سبحانه بالنازعات والناشطات وبالسابعات تفيد أن كل منها قطعة مستقلة عن الأخرى، وكل منها مكون رئيسي وعضو مستقل عن الآخر فى الأسطول، لاختلاف المهام القتالية لكل منها، وإن كانوا جميعا تابعين لقيادة الأسطول أو القيادة العامة كما سنرى هذا بعد.

أما قوله (فالسابقات سبقا) بالفاء التى لاتفيد الجمع، وإنما تفيد الترتيب واللاحاق أو ذكر لازم الشئ للشئ فتكون السابقات غير مستقلة عما تسبقها وليست عضوات مستقلة عن الثلاثة المذكورات، بل هى ملحقات بها جميعا، وهى سابقة لها جميعا فى نفس الوقت. فماذا تكون هذه الملحقات بالنازعات والناشطات والسابعات وسابقة لها جميعا؟ إنها الصواريخ والطوربيدات وقذائف المدفعية والطائرات أليست الغواصات حاملة للطوربيدات والصواريخ التى تنطلق منها إلى الأهداف المراد تدميرها بحرا وبراً وجواً؟ بلى. أليست زوارق الصواريخ والطرادات حاملة لكل ذلك؟ بلى. أليست حاملة الطائرات حاملة للطائرات التى تسبقها إلى الأهداف وتعود إليها؟ تلك اذن هى السابقات سبقا للملحقات بالاسطول فالفاء تفيد أنها- أى السابقات- ليست سوى لوازم ومكملات للثلاثة الرئيسية فى الأسطول البحرى، والتى بدونها لاتتحقق الأهداف الحربية، وهى سابقات لامهاتها اللاتى يحملنها، وهو سبق أى سبق بدليل قوله تعالى (سبقا) لتأكيد السبق لشدة السرعة اذ تنطلق جميعا بقوة رد فعل النار المنفوثة من خلفها.

خامساً: قوله تعالى (فالمدبرات أمرا) والعطف هنا بالفاء أيضا، لأن هذا الأمر لازم لكل ماسبق وهو ومدبره وبدون المدبرات للأمر لاتنطلق السابقات من الاسطول، إذ المدبرات بمثابة الرأس لها جميعا، وهى قيادة الأسطول كله، واصدار الأوامر القتالية بناء على رؤيا شاملة فيكون التنسيق بين جميع قطعه من أمر المدبرات، ويجوز أن

يمتد امر المدبرات إلى قيادة الأساطيل فى العاصمة واشنتون فى مبنى البنتاجون أو الأخرى بموسكو أو بلندن، وربما كان الأمر الحقيقى ومدبر الموقعة هو قائد اليهود فى افسادتهم الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض، حيث ثبت أنهم يشعلون الحرب لتحقيق مصالحهم ولإمكان السيطرة على الأرض فيحاربون من عصاهم بمن أطاعهم.

(٤٢) العلاقة بين الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة بعامة والاساطيل الأمريكية بخاصة وبين رجفة الأرض

عندما تكون القوى العسكرية العظمى المتعادية والمتنافسة فى الأرض متوازنة تقوم سنة الدفع التى بها يحى الله تعالى الضعفاء والمساجد والصوامع والبيع التى يذكر فيها اسمه تبارك وتعالى.

أما إذا انفردت قوة واحدة بهذه الأساطيل وسيطرت عليها هى وأنواع الأسلحة الأخرى وسخرتها لحسابها بطريقة خفية، ونعنى بهذه القوة الصهيونية بقيادة المسيح الدجال، فإن هذا الإنفراد بحكم الأرض هو إستثناء مؤقت لأنه مخالف لسنة الله تعالى الخاصة بالدفع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ٢٥١) وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (الحج/ ٤٠) وهذا معناه أن البشرية قد عادت إلى أيام عاد الذين إنفردوا فى الأرض بالقوة وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. فإذا جاء اليوم الذى تتوقف فيه سنة الدفع وبدأ الطاغوت المتفرد بالقوة فى الأرض كلها فى إستئصال المؤمنين، والقضاء على الإسلام وكثر هدم المساجد والصوامع والمذابح الجماعية والحروب غير المتكافئة ضد المسلمين التى لاتلبث أن تنطفئ هنا فتشتعل هناك، فإن هذا اليوم الذى يحدث فيه هذا يكون هو يوم الراجفة ويوم نزول العذاب، مالم ترجع البشرية إلى ربها، أى يكون هذا اليوم هو زمن الواقعة ولترتقب البشرية زلزلة الساعة.

فهذه الأساطيل البحرية العسكرية التي يمتلكها الغرب بعمامة، والتي تمتلكها امريكا بخاصة، ليست مجرد امارات تقنية للساعة فحسب، بل هي أيضا معلم سياسى لهذا الزمن، إذ لأول مرة تنفرد قوة واحدة بحكم الأرض متعاونة مع قوى أقل باتفاق ضد حزب الله أو أمة الإسلام، هذه القوى هي الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الأطلسي الذي يتوسع ويمتد شرقا. وتعلن هذه القوة الصليبية المتحالفة أن عدوهم الوحيد هو أمة الإسلام. وفي اواخر عام ١٩٩٧ صوّب البتاجون ١٥٠٠ صاروخ تحمل رؤوس نووية إلى مدن العرب والإسلام واعلن بيل كليتون ذلك بنفسه.

ولأول مرة في تاريخ البشرية منذ الإعلان عن النظام العالمي الجديد تتولى سلطة عالمية تعاقب الدول المستضعفة، وليست هذه السلطة الا الدول القوية وعلى رأسها جميعا إسرائيل وجميعها تستر خلف مجلس الأمن، ولأول مرة تمتلك فئة واحدة أموال الناس كلهم، ويدار الاقتصاد العالمي في كل الدول بالربا لصالح هذه الفئة فيزدادون جمعا للمال ويزداد الناس جميعا في كل بلاد الدنيا عوزا وغلاء ومرضا.

لأول مرة يبدأ حكم الدّجّال للعالم من وراء ستار إستعدادا للمرحلة الثانية لخروجه والإعلان عن نفسه، ومن أدوات حكمه، بل من أهمها وأخطرها هذه الأساطيل التي يسيطر عليها من خلال سيطرته على دولها وشعوبها وإقتصاد هذه الدول وإعلام هذه الشعوب.

هذا اليوم هو يوم الراجفة يوم زلزال الأرض العظيم الذي سيدمر به الله تعالى مكر هؤلاء المفسدين في الأرض ليتيح للمسلمين فرصة إعادة الخلافة الراشدة بالمهدى، بإذنه وعونه وتوفيقه ورحمته وبركته سبحانه وتعالى.

فالقسم به هو كالنازعات وأخواتها والمقسوم عليه هو العذاب الذي ينزل يوم ترجف الراجفة. فالنازعات علامة وأمانة ومقدمة للرجفة. إن لم يعودوا ويتوبوا إلى الله عز وجل. لذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿الاولى هي القيامة الصغرى والثانية هي الساعة التي يموت بها كل حي.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك، وقنا عذابك يوم تبعث عبادك.

الفصل الثالث

القوات الجوية والصواريخ

المدعمة في الكتاب والسنة

(٤٣) التفسير اللغوي المحض للعاديات ضحا وأخواتها يصدق على الطيران الحربي والصواريخ أكثر من أى شئ آخر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ (١ / ١١ / العاديات)

وحسب قاعدة العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، نقول إن الآيات تنطبق على الخيل باعتبارها أسلحة مدرعة في الحرب القديمة فإذا ثبت أنها تنطبق وتصدق - بمقتضى اللغة - على أسلحة الاغارة الحديثة والمعاصرة أكثر وأشد انطباقاً من الخيل باعتبارها سلاح الاغارة في الحرب القديمة، كان تأويلها المعاصر أولى.

والأمر الثاني أن الآيات قَسَمَ بهذا السلاح المغير بينما القَسَمَ عليه وهو (إن) الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد) حدث لم يتم ولم يتحقق في تاريخ البشرية إلا في العصر الحديث، وسنوات القرن العشرين، كما سنرى بعد، ومن ثم يكون تأويلها بما نقول أولى.

والأمر الثالث هو أن رسول الله ﷺ سكت عنها، ومن ثم اجتهد الصحابة والتابعون وإختلفوا، ورجحوا، وهذا يعطينا الحق في التأويل المناسب لمعصرتنا بشرط المطابقة للمعنى اللغوي الخالص. لأن هذا الشرط هو العاصم الوحيد من القول في كتاب الله تعالى بالرأى أو بالهوى، والتزام اللغة في التأويل يلزم المؤمنين الأخذ بهذا التأويل اللغوي المحض.

ففى القديم فسرهما عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بالخييل وهى تصبح عندما تعدو، وتصطك سنابكها بالصخور والحجارة فيخرج منها شر النار، وهذا معنى ﴿فالموريات قدحا﴾ أى كما يقدح الزند فيخرج منه الشرر، عند بعض المفسرين وهى ايضا المغيرات صبحا على العدو تفاجئة وتثير الغبار فى الحى المغار عليه (فأثرن به نقعا) وتنتهى الاغارة بان تتوسط هذا الحى فتزل به الهزيمة (فوسطن به جمعا).

وفسرها على بن ابى طالب رضى الله عنه بالابل وليس بالخييل. جاء فى الدر المنثور للسيوطى (عن ابن عباس قال بينما انا فى الحجر جالس اذ أتانى رجل فسأل عن ﴿العَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾).

فقلت: الخيل حين تغير فى سبيل الله، ثم تأوى الى الليل، فيصنعون طعامهم وبورون نارهم، فانفتل عني فذهب الى على بن ابى طالب، وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن ﴿العَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلى؟.

قال: نعم، سألت عنها ابن عباس فقال: هى الخيل حين تغير فى سبيل الله، فقال اذهب فادعه لى، فلما وقفت على رأسه قال: تفتى الناس بما لا علم لك؟! والله ان أول غزوة فى الاسلام لبدر، وما كان معنا الا فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون العاديات ضبحاً؟! وإنما العاديات ضبحاً من عرفة الى المزدلفة، فإذا أدوا الى المزدلفة أو رَوَّأ إلى النيران، والمغيرات صبحاً من المزدلفة إلى منى، فذلك جمع، وأما قوله: فأثرن به نقعاً، فهو نقع الأرض حين تطؤه بخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: (فَنَزَعْتُ عن قولى ورجعت الى الذى قال على)^(١).

(وروى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند صحيح فى الموريات قدحاً قال هو الرجل إذا اورى زنده اى قدح زنده ليخرج منه الشرر الذى يوقد منه النار).

والخلاصة أن الذى اقسم به الرب تبارك وتعالى هو: إما أن يكون من وسائل الركوب للسفر فى السلم وهى الابل قديما، وإما أن يكون من أسلحة الاغارة صبحا على العدو فى القتال، وفى جميع الاحوال موريات النيران ليست شرراً بسيطاً بل

(٢٠١) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٩

نيراناً مشتعلة مصاحبة للعاديات سفراً أو اغارة، والذي أقوله وبالله تعالى التوفيق والسداد، هو أن المقسم به يصدق على الطائرات وبالذات الحربية المغيرة أكثر من صدقها على تأويلها بالابل أو الخيل والله تعالى أعلم.

فالعاديات جمع عادية، والعدو هو الاسراع في الحركة، وهو اسم فاعل وضبطاً حال والضبط هو الاصوات التي تخرج من أجواف هذه العاديات أثناء العدو وبفعله، وهذا ما ينطبق على الجيل الأول من الطائرات المروحية التي في جوفها محركات قوية لها هدير خارج من أجوافها فهو ضبطها وهي عاديات ومغيرات صبحا إذ استخدمت هذه الطائرات المروحية عسكرياً في الحرب العالمية الثانية في الاغارة على الاعداء، لكن القسم بالعاديات ضبطاً عقبه قسم آخر هو (فالموريات قدحا) والعطف بحرف الفاء يفيد التعقيب واللاحق أكثر من الاضافة، فهو ليس قسماً بشئ جديد مخالف ومغاير لما سبقه، وإنما هو من نوعه وجاء بعده، وهذا هو الجيل الثاني من الطائرات وهي الطائرات النفاثة التي تقوم على نظرية رد الفعل إذ تنطلق النيران من خلفها بقوة فتندفع الى الامام، أي في الاتجاه المعاكس بنفس القوة، فتقلع الطائرة وتطير. فجوهر النفاثات، وايضا الصواريخ، هو اشعال النيران العظيمة ودفعها الى الخلف بقوة، وهذا هو المدلول اللغوي المحض للموريات قدحا ففي اللغة (ورئى الزئد يرى ورئاً ووراء: خرجت ناره)^(١). (ووريت النار تورية إذا إستخرجتها)^(٢) (قال الزجاج: وراء يكون لخلف وقدام ومعناه ما توارى عنك أي ما استتر عنك)^(٣) فالموريات إذن هي النفاثات لان نيرانها مخفية، وهي تخرج من خلف بقوة لتندفع الجسم الى الامام، فالموريات قدحاً هي التي تقدح نيرانها وتوريتها، أي تشعلها مع اخفاء، اذ تجعلها وراءها، وهذا هو عمل المحرك النفاث الذي تقلع به الطائرة النفاثة والصاروخ أيضاً.

(١). (٢)، (٣) لسان العرب لابن منظور / ح٦ ص ٤٨٢١.

يؤكد هذا، أنها هي المغيرات صبحاً للعطف بحرف الفاء، وليس بالواو، وهذا ما يصدق أكثر على الطائرات المغيرة في الحرب، إذا تكون الاغارة عادة مع اول ضوء النهار، وأما الاغارات الليلية فهي أحدث اختراعاً بعد اختراع أجهزة الإصدار الليلية ومع هذا، فلا زالت المهام القتالية الرئيسية تتم بالنهار وفي الصباح الباكر مع اول ضوء بصفة خاصة.

وقوله (فالمغيرات.....) اشارة إلى الغارات الجوية، وهو نفس اللفظ المستخدم للتعبير عن هذه العمليات الجوية في البيانات العسكرية لقيادة الجيوش المحاربة.

يؤكد هذا نتيجة هذه الغارات او ما يعقبها (فأثرن به نقعاً) ونون النسوة في هذا الفعل عائد على العاديات الموريات اي النفاثات المغيرات في الصباح الباكر فتثير بعد الاغارة النقع. فما هو النقع في اللغة؟!

النقع هو الماء في باطن الأرض، او في مُسطح في شكل قيعان او منخفض ممتلىء بالماء فهو مستنقع، وكذلك الماء في قاع البشر هو نقع، ففي الحديث (لَا يُمنع نقع البشر ولا رَهْوُ الماء)^(١) وفي الحديث ايضا (لا يقعد أحدكم في طريق أو نقع ماء)^(٢) ينهى الرسول ﷺ فيهما عن منع الماء عن طالبه، كما ينهى عن قضاء الحاجة في الطريق وفي نقع الماء حتى لا يتنجس ويؤذى من يستخدمه للشرب.

قال صاحب اللسان (وكل مجتمع ماء: نقع، والجمع نقعان، والنقع القاع منه، وقيل هي الأرض الخرة الطين ليس فيها إرتفاع ولا إنهباط، ومنهم من خصص) وقال: التي يستنقع فيها الماء)^(٣) والناقع هو القاتل (ويقال: سم ناعم أي بالغ قاتل وقد نقعه أي قتله)^(٤) والعجيب أيضا في معاني مادة: نقع الهدم والتدمير قال في اللسان (وانقعت البيت اذ جعلتُ اعلاه أسفله)^(٥) والاعجب أن من معانيها ايضا الصراخ ورفع الصوت والعويل قال في اللسان ايضا (والنقيع الصراخ، والنقع رفع الصوت)^(٦).

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) اللسان لابن منظور ص ٦ ص ٤٥٢٦.

أرايتم لفظا واحدا فى لغة من اللغات يجمع فى معانيه كل آثار ونتائج نزول القنبلة من الطائرة على الأرض، أو نزول الصاروخ على موقع من الأرض مأهولا بالناس وبمساكنهم أو غير مأهول بهم مثل قوله تعالى (فأثرن به نقعا) باللسان العربى المبين؟! فما تشير هذه الغارات ليس مجرد غبار كما ذكرت كتب التفسير التى فسرت العاديات بالإبل أو الخيل أو بهما معاً باعتبار أن هذه وتلك لائملك من الاثارة فى الأرض إلا الغبار.

أما العاديات التى تشير غاراتها الماء من باطن الأرض أو الذى على سطحها وتهدم المساكن رأسا على عقب وتقتل الأحياء وتسبب الفزع والصراخ فليست الا الطائرات القاذفة للقنابل، وليست الا الصواريخ فتتفجر الأرض وينطلق من باطنها الماء وتهدم وتقتل وتحث الفزع فيسمع الصراخ والعيول، وكل هذا فى لفظ واحد هو (نقعا) فبمقتضى التعبير اللغوى المحض (فأثرن به نقعا) ماذا يكون الذى يفجر الماء ويهدم ويقتل الا الصاروخ والقنبلة؟!

أما من قال إن معنى (فأثرن به نقعا) معنى التراب فإنه قد ترك المعنى الحقيقى للكلمة ولجا للمجاز، لأن الخيل أو الإبل لا تحدث الحفر العميق الذى يتفجر منه الماء كما أنها لا تهدم المساكن والمباني، ولا تقتل بمجرد عدوها وإنما أقصى ما تحدثه هو إثارة الغبار، مع أن الغبار ليس من معانى النقع المثار فى اللغة اذ هو الماء من البشر أو من المستنقع أو من باطن الأرض، فأذا أضفنا الى هذا المعنى الاثارة للماء من باطن الأرض مع الهدم والقتل والصراخ، نأكد لنا أن هذه الآثار لا تجتمع الا بفعل القنابل المقذوفة والصواريخ.

يؤكد هذا التأويل اللغوى المحض ان القنابل والصواريخ تسقط وسط المدن والمجمعات السكنية، أو التجميعات العسكرية حسب الاهداف المحددة فهى التى تنوسط الجمع مباشرة من غير إحتياز أطراف المدينة ومداخلها، وكذلك بدون إحتياز المعسكرات من أبوابها أو أسوارها، ومن ثم قال تعالى (فوسطن به جمعا) أى النزول فى وسط الهدف المراد تدميره مباشرة، وهذا ما لا يتم فعلا إلا بالقنابل التى تسقطها الطائرات القاذفة والصواريخ بأنواعها جو أرض وأرض أرض وبحر أرض.

وبهذا يكون تأويل العاديات بالطائرات القاذفة والصواريخ أولى من تأويلها بالخييل او الإبل، لأن هذه الأخيرة لايمكنها ان تتوسط الجمع مباشرة بل لابد لها ان تجتاز الى الوسط من الاطراف بخلاف ما توحى به الآية الكريمة.

(٤٤) عصر الطائرات والصواريخ هو عصر المجاهرة بالكفر

والإلحاد

ويؤكد هذا كله أخيرا ما يفترض من وجود علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وقد علمنا المقسم به وهو الطائرات والصواريخ التي تعتبر من الامارات المعاصرة، ومن ثم فلا بد ان يكون المقسم عليه هو أيضا حدث معاصر، لم يكن له وجود فى القديم، فما هو؟ المقسم عليه هو: (إن الانسان لربه لكنود) اى لجاحد منكرو، وهذا إنكار لوجود الرب سبحانه وهو ظاهرة الإلحاد أى انكار وجود الإله الرب الخالق للكون وللانسان، ولكن قد يقول قائل: الإلحاد موجود منذ القدم، وليس ظاهرة حديثة وطارئة فى حياة البشر.

وللرد عليه نقول: هذا ليس صحيحا على إطلاق، اذ لم ينتشر الإلحاد على مستوى الشعوب فى تاريخ البشر المكتوب، وانما كان محصورا عند القلة النادرة من الفلاسفة.

وظلت اوربا خاضعة للكنيسة حتى بدء ما يسمونه بالعصر الحديث الذى تَخَلَّصَتْ فيه الشعوب الأوروبية من سلطان الكنيسة، ومن ثم لم تعد تطبق عقوبة التجديف او الإلحاد أو الكفر العلنى، وكذا فى العالم الاسلامى، اذ كان الكافر يخفى كفره ولا يجرؤ على اعلانه، أما فى العصر الحديث وبعد اعلان العلمانية فقد إنتشر الإلحاد على نطاق أوسع شعوبيا واعلاميا وتربويا وبخاصة فى دول الاتحاد السوفيتى الشيوعى والصين وسائر البلاد الشيوعية، وأصبح الإلحاد هو العقيدة الشرعية لهذه البلاد وأصبح الإلحاد علانية يشهد الملحد على نفسه بالإلحاد مفتخرا به، وهذا ما يدل عليه السياق بقوله تعالى: ﴿وانه على ذلك لشهيد﴾ اى معلنا لحاده وشاهد على نفسه، ونظراً لأن الإلحاد لم يكن مذهباً رسمياً إلا فى روسيا الشيوعية والبلاد التى إستعمرتها بما عُرِفَ بالاتحاد السوفيتى ولا رتباط الإلحاد بشيوعية المال حسب زعم

الماركسيين، بأن مشاكل البشرية الاقتصادية لن تحل الا بالماركسية الشيوعية المؤسسة على الاتحاد، فإن السياق تضمن تكذيب هؤلاء الشيوعيين الملاحين وفضحهم بأنهم أشد حبا للمال وللإستثمار به من الرأسماليين فقال تعالى عن الملاحدة بعامة وعن الاشتراكيين والماركسيين منهم بخاصة (وإنه لحب الخير لشديد) اى لحب المال لشديد فإذا ما حكموا الشعوب بالشيوعية واعدن آيأهم بانها ستحقق لهم الرفاهية نهبهم وعاش الحكام الشيوعيون فى رغد من العيش بينما يعانى البلوروتاريا أى الطبقة الكادحة شظف العيش وقسوته وإنتهت الدولة اللادينية بعد نيف وسبعين عاما بالافلاس فالقسم والمقسوم عليه حدثان متعاصران تماما إذ بدأت الدولة الشيوعية عام ١٩١٧ مع بدء تطور الطيران ليصبح بعد ذلك من أهم وسائل السفر مدنيا ومن أهم الاسلحة المغيرة المدمرة من ناحية أخرى. وكانت روسيا اكبر متسابق مع أمريكا فى هذا المضمار، وفى امريكا يعبدون الدولار صراحة وكذا كان الامر فى الاتحاد السوفيتى خفية.

ثم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ ۖ ﴾ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ ۖ ﴾ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿ (العاديات / ٩ - ١١). فهذا القسم اذن يتناول السلاح الجوى والدمار الذى يلحقه بالمدن، والقتل الذى يسببه للانسان بالقنابل والصواريخ وبغيره من أسلحة الدمار الشامل كما يسمونها فى هذا العصر.

لقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ بأن بين يدي الساعة الهرج الهرج، وهو القتل الكثير بلغة الحبشة، ولا يكون القتل كثيرا إلا إذا كان جماعيا وليس فرديا، يدل على هذا حديث [حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من اقتراب الساعة إثنان وسبعون خصلة)... ذكر منها (واستخفوا بالدماء)]^(١) وعن ابى موسى رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد فقال (لايعلمها إلا الله ولا يعجلها

(١) رواه ابو نعيم فى الحلية.

لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها: ألا إن بين يديها فتنة وهرجا، فليل يارسول الله: اما الفتن فقد عرفناها، فما الهرج قال بلسان الحبشة: القتل^(١).

وروى أحمد (عن ابى هريرة عن النبى ﷺ انه قال: «ويل للعرب من شر قد اقترب، ينقص العلم ويكثر الهرج، قيل: يارسول الله، وما الهرج؟ قال: القتل») فكثرة القتل يفيد القتل الجماعى، وهو الحادث الآن بفعل القنابل والصواريخ وعلى رأسها أسلحة الدمار الشامل. بخلاف الحروب القديمة التى اكثر القتل فيها على مستوى الافراد بالسيوف والرماح والنبال اى كان غالبه فرديا. والآن القتل فى الحروب يغلب عليه أنه جماعى وهذا معنى كثرة الهرج اى القتل فى الحديث. فهذه الاسلحة جميعا هى من الامارات الدالة على ان الدنيا آذنت بانتهاء والبشرية الآن بين يدي الساعة.

وقد ورد ذكر الطائرات: مدنية وحربية فى حديث لعلى بن طالب رضى الله عنه أخرجه له نعيم قال (ويل للعرب بعد الخمس والعشرين والمائة، من شر قد اقترب، الاجنحة وما الاجنحة؟ الويل والطوبا فى الاجنحة، ربح قفَاهُوبُهَا، وريح تهيج هُوبُهَا، وريح تراخى هوبها، ويل لهم من قتل ذريع، وموت سريع، وجوع فظيع، يُصب عليهم البلاء صبا، فيكفر صدورهم ويغير سرورها ويهتك ستورها، ألا وبذنوبها يظهر مراقها... الخ الحديث)^(٢).

فقوله الويل والطوبا فى الاجنحة اى إما الدمار والموت وإما الخير والنفع والمتاع، وفى هذا اشارة إلى الطيران العسكرى المدمر اولا ثم الطيران المدنى. وبعد هذا ذكر درجات سرعة الاجنحة الطائرة فهى اما تسبق الريح واما تركبه وإما تتراخى عنه وإما تهيجه أى تصنعه بالمراوح فهذا ذكر لأجيال الطيران المروحي والطيران النفاث، وبعد هذا ذكر أنها تصب البلاء أى العسكرى منها، وهو موت سريع وقتل ذريع. وهذا ما يحدثه الطيران الحربى لأن (الموريات قدحا) هى المحركات النفاثة سواء كانت

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه نعيم رقم ٥٥٧.

للمطائرات التفاتة ام للصواريخ الحربية أرض أرض أرض جو وجو أرض وبحر
أرض وبحر بحر وهى صواريخ وطوربيرات، ونتائج استخدام هذا كله الموت
السريع والقتل الذريع.

وبهذه الصواريخ يتناول المحاربون خصمهم ويصيبونه ويدمرونه ويقتلونه على
بعد مئات الاميال بل وآلاف الاميال وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ
التَّائُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبا/ ٥٢) والتناوش هو التناول، ومن مكان بعيد يفيد إصابة
الخصم عن بعد من غير أن يلتقى الخصمان فى صعيد واحد ويرى كل منهما الآخر
بالعين المجردة وهذا لا يكون إلا بالمدفعية بعيدة المدى ثم بالصواريخ بعيدة المدى
وعابرة القارات.

وسينأتى تأويل هذه الآية مع سياقها فى موضع لاحق بإذن الله تعالى بما يؤكد
صدقها ومطابقتها للصواريخ وقذائف المدفعية بعيدة المدى.

الفصل الرابع

القنبلة الذرية وغزو الفضاء

فى الكتاب والسنة

(٤٥) التفسير اللغوى المحض لقوله تعالى: (فاذا انشقت السماء
فكانت وردة كالدهان) يصدق على القنبلة الذرية اكثر من أى
شئ آخر

وأول ما يتبادر إلى أذهان أهل هذا الزمان عندما يذكر على سمعه السلاح النووى
هو القنبلتان النوويتان اللتان أُلقيتا على هيروشيما وناجازاكى باليابان عام ١٩٤٥ فى
نهاية الحرب العالمية الثانية.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا هى أن أهم وأخطر الاحداث والتغيرات البشرية
التالية لهذه الحرب، يتمثل فى إنهيار القيم الخلقية وأخطرها جميعا على الإطلاق:
بإباحة الزنى فى اوربا وأمريكا وتوابعهما وصار امرا مشروعا وعلانية بالغاء القوانين
التي كانت تجرّم هذا الفعل وإسقاط العقوبات عنه تماما، ثم تلى هذا إلغاء العقوبات
عن الممارسات الجنسية الشاذة بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء، واشتروا
لاسقاط العقوبة أن يتم الفعل بين بالغين عاقلين بإختيارهما، وهل تُرتكب هذه
الجرائم إلا بين إثنين بالغين؟!

ولا زالت هذه الفحشاء تزداد إنتشارا وإسفارا حتى صار لها نقابات وجمعيات
ومحافل ومؤتمرات تطالب بتطبيعها اى بالنظر الى أصحابها على أنهم طبيعيون،
وليسوا منحرفين او شواذا ويطالبون بتعديل القوانين لهذا الغرض.

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا هو:

ما العلاقة بين القنبلة الذرية التى بطشت بها أمريكا عام ١٩٤٥ وبين أن تصبح
الفحشاء من المعروف وليست من المنكر، فلا يحاسب مرتكبوها ولا يمنع الداعون
اليها والمطالبون بالمجاهرة بها؟!

العلاقة بينهما وثيقة، فهما يحدثان في عصر واحد ويأتى إشاعة الفاحشة ونشرها والمجاهرة بها بعد انفجار هاتين القنبلتين، وخروج الناس من الحرب فرحين بنجاتهم مقبلين على الحياة ناسين ربههم راغبين فى المرح والإستمتاع مندفعين لهذا كله بقوة، فأدى هذا إلى سرعة التغير الاجتماعى والخلقى، وإن كان السبب الرئيسى هو مخططات الدجال واليهود الخبيثة.

والحدثان من أمارات الساعة، ويقعان بين يدى الساعة الصغرى، وقد جاء ذكرهما فى القرآن الكريم لانهما حدثان عظيمان فى تاريخ البشرية، ومتعاقبان أى يعقب أحدهما الآخر مباشرة.

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)﴾ (الرحمن) فقوله تعالى: مخاطبا الجن والانس ﴿إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ يتضمن أمراً كونياً وهو قوله فى حالة استطاعتكم (فانفذوا) ويتضمن أيضاً نبأ عن امر سيحدث فى المستقبل بعد نزول القرآن الكريم، والمعنى أنه سيكون منكم محاولات للنفاذ من أقطار السماوات والأرض، وهذه الاقطار لا تخصى اذ هى ارتفاعات متتالية أو مستويات متتالية متعالية من الارتفاعات التى لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحده أى أنكم ستحاولون، وقد قضى الله تعالى قضاء كونياً أنكم ستحصلون على الاستطاعة للنفاذ من بعض هذه الاقطار، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وهو سلطان العلم والتقنية والصناعة التى هى من أمارات الساعة، ولكن هذا السلطان محدود وستعجزون، مهما تقدمتم فيه، عن التعمق فى هذه الاقطار، إذ يهلككم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران، وقد صرح علماء الفضاء فى ناسا وغيرها بأنه من المستحيل السفر إلى الفضاء الخارجى البعيد لامتلائه بما أطلق عليه العلماء الابر النحاسية والشهب فلا يكون نجاحكم إلاّ جزئياً فيمكنكم ان تنفذوا من أقطار الأرض

والسمااء الدنيا الى ارتفاع قريب، وهو الحادث الآن بما يعرف بالمكوك الفضائى ذهابا وإيابا ومحطة الفضاء الأرضية.

والنفاذ فى أقطار الأرض يكون بالغواصات، والدخول فى أعماقها بالآلات وإستخراج ما فيها من معادن ومياه وبتروول وكله بسلطان العلم والتقنية والصناعة وقد بدأ النفاذ من أقطار السماوات بالطيران المروحي الذى تَطَوَّرَ جيلا بعد جيل ليصل فى كل تطور الى ارتفاعات أعلى فأعلى. ثم بالصواريخ التى خرجوا بها من جاذبية الأرض واتخذوا أقمارا صناعية للاتصالات والتجسس والارسال التليفزيونى.

وكذلك نفذوا بيوت فضائية يعيشون فيها شهورا طويلة للبحث العلمى فى الفلك والفيزياء وطب الفضاء وغيره.

وقد أشار رسول الله ﷺ الى رواد الفضاء الذين يخرجون من الأرض إلى أقطار السمااء ويعيشون فى هذه المحطات فيأكلون بالسنتهم لأن طعامهم عبارة عن معاجين فى أنابيب للتغلب على حالة انعدام الجاذبية، حتى الماء موضوع فى رضاعات الاطفال، لأنه ليس من سبيل للتغلب على انعدام الجاذبية لادخال الطعام والماء الى أفواههم إلا بالضغط على الانابيب ورضاعات الاطفال التى بها الماء، لكى يندفع هو والطعام إلى أجوافهم، وليس من طريقة لدفع الطعام إلى البلعوم إلا باستخدام اللسان من غير إستعمال الاسنان، لأن طعامهم معجون لا يحتاج إلى مضغ، وإنما يحتاج إلى تلقى الطعام المعجون باللسان ثم دفعه الى البلعوم مع البلع بشدة لعدم وجود جاذبية وليس بالنسبة لهم فوق وتحت كما هو الحال بالنسبة لاهل الأرض، الذين يكون لهم تحت فى اتجاه الأرض التى تجذب اليها كل شئ فينزل، اما فى حالة انعدام الجاذبية فتتساوى جميع الجهات حول رائد الفضاء فالمعول فى الاكل بالنسبة له هو اللسان والبلع، وهذه طريقة أكل البقر إذ تمد لسانها فتسحب به الطعام وتقذف به على الفور إلى جوفها بدون مضغ لانها بعد ذلك تجتره عجائن وتطحنه فى عملية الاجترار ثم تبلعه.

وهذا ما ذكره رسول الله ﷺ فقال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بالسنتهم كما تأكل البقر بالسنتها)^(١). فتأمل قوله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى) أى أنه

(١) رواه الامام احمد فى مسنده من حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وبرقم.

حدث قريب جدا من الساعة ثم قوله (تخرج قوم) إشارة إلى خروجهم من الغلاف الجوى إلى منطقة إنعدام الجاذبية مما اضطرتهم إلى أن يأكلوا بألسنتهم. فهؤلاء هم رجال الفضاء فى المحطات الفضائية وفى المكوك الفضائى.

فآليات أنفة الذكر من سورة الرحمن تتحدث عن ثلاثة أحداث متتابعة، بدأت الأولى منها مع مطلع القرن العشرين، وهى ما يطلقون عليه غزو الفضاء، إذ لم يبدأ غزو الفضاء برحلة جاجارين رائد الفضاء كما يفهم البعض خطأ، وإنما بدأ بصناعة أول طائرة ترتفع عن الأرض، لان النفاذ من أفطار السماوات تم تدريجيا بتطوير الطيران جيلا بعد جيل حتى الطيران النفاث الذى أدى إلى صناعة الصواريخ وتطورها ليخرجوا بها من منطقة جاذبية الأرض.

ومن ثم جاء قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا...﴾ ثم جاء بعد ذكر الحدث الثانى الذى تم عام ١٩٤٥ أى بعد بدء الحدث الاول بنصف قرن تقريبا والذى تم بالحدث الأول وهو إلقاء القنبلة الذرية على اليابان لأن القاء هذه القنبلة كان بالطيران، ولولا الطيران ما حدث هذا الحدث الرهيب، وهو ما جاء ذكره فى القرآن الكريم والله تعالى أعلم ﴿فإذا أنشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ وهو إنفجار القنبلة الذرية إما بغرض التجارب النووية التى أجرتها الدول النووية امريكا وروسيا والمجلترا وفرنسا وغيرها، وإما ما حدث من امريكا لإنزال الهزيمة والإستسلام باليابان فدمرت مدينتى هيروشيما وناجازاكى.

والسما فى اللغة هى الفضاء ومستويات الارتفاعات فوق الرؤوس ابتداء من سقف المنزل وإنهاء بطبقة الاوزون التى تعتبر سقفاً لسماء الدنيا وفوقها ينتهى الغلاف الجوى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق] فالسحاب الممطر فى السماء بمعنى أنه فى مستوى من مستويات الارتفاعات المتسامية بعضها فوق بعض، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (آية ٣٢ الأنبياء) وجاء وصفه فى الحديث بأنه (الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف)^(١) وهو ما ينطبق تماما على طبقة الاوزون سقف الغلاف

(١) الدر المنثور للسيوطى ص ٦ ص ١٨٩ وعزاه للترمذى واحمد عن ابى هريرة الى أبى الشيخ فى المعظمة.

الجوى حسب وصف علماء الفيزياء والفلك وعلماء الفضاء، ويعتبر هذا الحديث من الاعجاز العلمى للنبي ﷺ.

وعلى هذا فالفضاء الذى تسير فيه السحب وتطير فيه الطائرات هو سماء او هو جزء من السماء، وليست السماء او الفضاء عدما او فراغاً وإنما هي مبنية بناءً قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (آية ١٢ النبأ) لانه أى الفضاء، عبارة عن مادة غازية او بالاحرى مواد غازية معلومة وذرات ليس بينها فراغ، وإنما هي وسط غازى يسهل على العناصر المادية الكثيفة إختراقها كما يحدث لهذه العناصر مع الماء الا أن النفاذ من الغلاف الجوى بالنسبة للإنسان والعناصر المادية أيسر وأسرع من النفاذ من الوسط المائى.

فإذا حدثت خلخلة فى هذا الفضاء الجوى باحتراق العناصر الغازية فى جزء منه فإنه يكون إنشقاقاً ولو لثواني أو دقائق كما لو حدثت خلخلة او اختراق فى جدار، فانه يسمى إنشقاقاً فيه والغلاف الجوى أو الفضاء القريب هو فى القرآن الكريم السماء، والانفجار الحادث فى الفضاء انشقاق فى سماء قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (آية ١ الانشقاق) بالانفجار بعامة وبالانفجار الذرى بخاصة. وهذا من أمارات الساعة أى الاحداث العجيبة التى تحدث بين يدي الساعة وأرهاصات تدل على ان الآيات العشر على وشك البدء بالزلزال والخسوف الثلاثة.

فأقطار السماء هى حسب المعنى اللغوى سماوات، أى أن مستويات الارتفاعات المتتالية فى العلو كل منها سماء، ألا ترى ان القرآن الكريم أطلق على سقف الحجر أو المنزل سماء قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ [١٥ / الحج]. أى فليمدد بحبل إلى سقف داره ثم ليشتق نفسه ولينظر هل أذهب بكيده هذا ما يغيبه؟ وأطلق على القطر الذى تسير فيه السحب سماءاً ﴿وَوَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ (٩/ق) وأطلق على طبقه الاوزون الواقية للارض باذن ربها من الأشعة الكونية النووية سماءاً ايضاً ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ (٣٢ / الانبياء). وهو الذى قال فيه النبى ﷺ (إنه الرقيق سقف محفوظ وموج مكفوف)^(١).

(١) سبق نخرجه.

وأطلق على ما فوقها من الفضاء الذى تسبح فيه النيازك والأجسام الصغيرة التى تصبح شهباً عند دخولها الغلاف الجوى سماء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (٥ / الملك) ومدارات الكواكب سماء أيضاً. والمجرات الممتلئة بالنجوم والشموس سماء أيضاً. وهى السماوات العلاء التى ورد ذكرها فى سورة طه ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤ / طه).

والذى نخلص اليه من هذا كله هو أن المستوى الذى ارتقى اليه الاثر الاحتراقى الرهيب لانفجار القنبلة الذرية فوق مدينتى اليابان المنكوبتين هو سماء لانه مستوى سير السحب أو أعلى.

فماذا حدث نتيجة لهذا الانفجار الرهيب؟!.

قلنا ان الفضاء أو السماء ملئ بعناصر غازية منها الاكسوجين والإيدروجين وغيرهما من الغازات، وهى ذرات مترابطة بعضها بجوار بعض، فهذا الغلاف الجوى بناء قائم صحيح، وان كان متحركاً وليس جامداً ويسمح لغيره من الاجسام الاكثر كثافة بالنفاذ من خلاله، فإذا إنهدم جزء من هذا البناء فجأة فى أى مستوى من مستويات إرتفاعه وحدثت خلخلة فى هذا الجزء، فإنه يكون قد إنشق كما إنفلق الماء الذى سار فيه موسى عليه السلام وقومه، الا أن الشق فى الماء كان من الأرض إلى أعلى، فكان فلما، أى ان الماء إنفلق، ولكن لان ما حدث بالقنبلة الذرية كان فى موضع داخل الغلاف أى لم يحدث من الأرض إلى نهاية السماء، وإنما من الأرض إلى أحد مستويات الإرتفاعات، ومن ثم فهو شق وليس فلما، اذ لم ينفذ إلى نهاية الغلاف الجوى، لقد احترقت كل الغازات الموجودة فى هذا الجزء وصارت ناراً وتخلخل البناء الذرى لهذا الجزء فى اللحظات الأولى للانفجار فصعد الاثر من الاسفل متخذاً شكل الورد ولونها اذ يكون عنقها وهو الجزء السفلى ربيعاً أسوداً، ويكون رأسها وهو الجزء العلوى كروياً وردياً متضخماً، متخذاً شكل القبة المتنامية الممتدة من بعض أطرافها فتصبح فى شكل الورد ولونها أيضاً. وهذا هو بالضبط شكل انفجار

القنبلة الذرية الذى رأيناه كثيرا على شاشة التلفزيون وهذا ما قرره المفسرون قديما بمقتضى اللغة.

[أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ يقول: حمراء كالدهان قال هو الأديم الأحمر^(١).

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن عطاء (فكانت وردة كالدهان) قال: لون السماء كلون دهن الورد فى الصفرة) فهى بين الصفرة والحمرة إذن، وهو نفس اللون الذى ظهرت به قبة الانفجار النووى وهذه القبة فى محيطها العلوى تعرجات تجعلها فى شكل الورد.

والسياق يدل على أنه إذا حدث هذا الحدث (فإذا انشقت....) وهذا فعل الشرط، أما جوابه فهو (فيومئذ لايسؤل عن ذنبه إنس ولاجان) وهذا هو الحدث الثالث الذى حدث بعد الحدث الثانى، وهو إنشقاق السماء بالقنبلة النووية إذ تحولت أوربا وأمريكا وبسرعة نحو الانحلال الجنسى وإباحة الزنا ورفع العقوبات مع بدء النصف الثانى من القرن العشرين. فأصبح المنكر معروفا معترفا به من المجتمع، وهذا معنى «لايسؤل» عن ذنبه أى عن نوع واحد من الذنوب وهو الفحشاء حتى أصبحت تمارس علنا فى النوادى والاماكن العامة والحدائق.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿عَنْ ذَنْبِهِ﴾ وليس ﴿عَنْ ذَنْبِهِ﴾ إذ هو نوع واحد من الذنوب وهو ما يخص الشهوات الجنسية، وقوله ﴿إِنْ سَ وَالْجَانِ﴾ يفيد التعميم أيضا فى عالم الجن وأنهم إستحلوا الزنا كما حدث فى عالم الانس، كما تدل على هذا الآية الكريمة. وفى يوم الدين والحساب يسؤل المجرمون عن أعظم ذنوبهم وهو الشرك كما نص على هذا القرآن الكريم فى أكثر من موضع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ

(١) السيوطى / الدر المنثور / ٦ / ١٦٠.

يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٢ - ٦٦ / القصص﴾ فهم يسؤلون عن أعظم ذنوبهم وهو الشرك، وموقفهم من دعوة الرسل وسبب رفضهم لها، فكيف لا يسؤل عن ذنبه يوم الحساب اذن انس ولاجان؟ وهى صياغة تفيد النفي الكلي للحساب فهى اذن صياغة تتعارض مع كون هذا اليوم يوم الحساب ويوم الدين، فلزم ان تكون آية سورة الرحمن النافية بالكلية لحساب الانس والجن جميعا فى الدنيا وليس يوم الحساب، وعن ذنب واحد وليس عن كل الذنوب وفى هذا المعنى يفهم البعض قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مِن هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨ / القصص) والنفى هنا جزئى اذ يخص المجرمين وليس كل الانس والجن ولكن عن كل الذنوب، فهو ينفى سؤل المجرمين دون غيرهم، ولا يسؤلون عن كل ذنوبهم، وقد فسرنا البعض بانها فى الآخرة اذ يكتفى باثبات الشرك عليهم ومن ثم يدخلون جهنم خالدين فيها دون أن يسؤلوا عن الذنوب التى دون الشرك.

أما سياق هذه الآيات فهو يتحدث عن المجرمين فى الدنيا وما ينزل عليهم من عذاب الاستتصال مثل قارون الذى قال (انما أوتيته على علم عندى) ذاهبا فى الكفر الى أبعد مدى ومن ثم خسف الله به وبادره الأرض، ومن ثم يمكن أن نفهم النفى الوارد عن سؤل المجرمين عن ذنوبهم فى الدنيا وليس فى الآخرة، إذ يفعل أكابر الناس الحكام والاغنياء وذوى الجاه ما يريدون من كبائر وأثام عظيمة: رشوه ونهب وسطو وقتل وزنى دون ان يحاسبهم أحد وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ (انما اهلك الامم قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)^(١). وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لأنهم الطبقة العليا فى المجتمع غير الإسلامى لا تطبق عليهم القوانين ولا تنفذ فيهم العقوبات إن ذنوا أو سرقوا أو اعتدوا على الضعفاء حتى بالقتل.

فإذا وصل المجتمع الجاهلي إلى الحد الذى لا يسؤل فيه اهل الطبقة الحاكمة الغنية العليا وهم المجرمون عما يفعلون من ذنوب، ولا يحاكمون، فيصبحوا فوق القانون، فإن هذه تكون علامة اجتماعية خلقية سياسية على قرب مجئ الهلاك.

(١) صحيح البخارى / ح ٣٣٣٧ ك.

ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩/ الرحمن) أى العصر أو الزمن الذرى الذي يفجر فيه الإنسان القنبلة الذرية للتجربة ويفجرها لتدمير مدينتى اليابان، وربما والله تعالى أعلم ستقذف غيرهما بالنووى ويقتل من فيهما، فإنه سيصبح المنكر الذى هو الزنى معروفا ومباحا ولا يسؤل عن إرتكابه الناس من كل الطبقات من الانس والجن وهذا هو تخطيط خبثاء صهيون بقيادة الدجال للاكثار من أبناء الزنى لانهم أكثر أتباعه هم واليهود كما دلت على هذا الأخبار الصحيحة عن النبى ﷺ وهذا هو التاريخ القريب يشبث ذلك، اذ كان الزنى محرما وله عقوباته فى جميع بلدان اوربا وأمريكا ثم أصبح ابتداء من الخمسينات من القرن العشرين مباحا ومحما بقوة القانون وهذا هو قول السيدة عائشة (...). فإذا استفسحوا الزنا) أى إنتشر وشاع وصار معروفا وليس منكرا فلإن الله تعالى يغار فى سمائه ويأمر - إن لم يتوبوا ويرجعوا - بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى.

كذلك ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ على المستوى الدولى اذ جعلوا مجلسا يعاقب الدول الصغيرة الضعيفة ويتخذ ضدها القرارات ويحشد الجيوش الهائلة من كل صوب وحذب لتنفيذ هذه القرارات بينما عشرات القرارات ضد إسرائيل هى حبر على ورق لا قيمة لها، فالكيل بمكيالين ليس بالنسبة للأقوياء والضعفاء فى المجتمع الواحد، وانما هو على مستوى البشرية حسب النظام العالمى الحديد الذى صنعه الدجال لقومه اليهود الذين يحكم بهم الأرض ويحكمون الأرض هم ايضا بقيادته.

ومن ثم فقولته تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فى الدنيا عندما يصل الشر إلى اقصى مدى، ومن ثم يأتى بعد ذلك الخسف والقذف والرجفة والعذاب كما حدث لقارون اذ ورد قوله تعالى هذا تعقيبا على فعل قارون وكفره وتبجحه بالكفر.

والآن علا المتجبرون المجرمون فى الأرض وارتكبوا كل الجرائم، فإستحلال الزنا والربا والقتل الجماعى «الهرج» بأسلحة الدمار الشامل، ومن ثم استحقوا عذاب الاستئصال بزلزال الأرض العظيم والقيامة الصغرى، إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى خالقهم جلا وعلا.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟. آمين.

الفصل الخامس

أجهزة الاتصال الحديثة وأجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى الكتاب والسنة

(٤٦) توسيع دائرة السمع والبصر وعمل العقل بالأجهزة الحديثة

قد منَّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة لاتعد ولا تُحصى، ومن أعظمها السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ (٧ - ٩ / السجدة).

ولست المخترعات الحديثة الكثيرة المتنوعة التى ظهرت فى العصر الحديث بفعل التقدم العلمى والتقنى إلا مقويات وموسعات لمجال الاستطاعة البشرية. بمعنى أن هذه المخترعات لاتُضيف إستطاعة جديدة للانسان، ولاتُحدث له ملكة جديدة لم تكن عنده.

فأجهزة الإتصال السمعى الحديثة: الهاتف السلكى وأجهزة الاتصال اللاسلكية كالبرق والراديو وجهاز التسجيل والتلكس والفاكس وهاتف السيارة ثم المحمول ثم بعد ذلك الجليل المتوقع من أجهزة الإتصال وهو الهواتف المحمولة التى يمكن الاتصال بها من اى مكان إلى أى مكان فى المعمورة عن طريق شبكة متكاملة من الاتمار الصناعية تغطى أرجاء الارض كلها. هذا كله ليس الا تقوية وتوسعة السمع البشرى.

فإذا أصبح بوسع أى إنسان أن يتصل بآخر فى أى مكان ومن أى مكان فهل فى هذا اضافة استطاعة أو ملكة أو قوة جديدة لم تكن عنده؟

بالقطع لا. وانما كل هذا توسيع متدرج جيلا بعد جيل فى السمع البشرى، إذ بعد أن كان يسمع الإنسان الاصوات التى حوله والصادرة على بعد امتار أو عشرات الامتار اصبح يسمع على بعد عشرات الكيلو مترات ثم المئات ثم الآلاف، وهكذا وليس هذا إلا توسيع دائرة السمع البشرى، ولو تصورنا الإنسان بدون سمع لما اقدم على اكتشاف واختراع هذه الاجهزة أصلا.

وكذلك الحال بالنسبة للأجهزة البصرية: السينما والتلفزيون والفيديو، والتى تجمع بين المخترعات البصريه والسمعية معا هى ايضا توسيع لدائرة الإبصار البشرى، ويضاف اليها التلسكوب والميكروسكوب وبطيعة الحال آلات التصوير بجميع اجيالها المتطورة.

فلولا أن الله خلق الإنسان بصيرا لما اكتشف ولما اخترع الانسان هذه الأجهزة البصرية.

ويكمل هذين النوعين من الاجهزة السمعية والبصرية أجهزة الكمبيوتر وهى توسيع لمجال عمل الذاكرة البشرية والملكة الحاسبة عنده.

وكما يأتى السمع ثم البصر ثم الفؤاد دائما بهذا الترتيب عند ذكر هذه النعم فى القرآن الكريم فإن اكتشاف الانسان لإجهزة السمع جاء قبل أجهزه البصر ثم أجهزة الحاسبات الآلية.

ثم وصل الإنسان الى دمج هذه الاجهزة مع بعضها البعض من ناحية والاستفادة بها فى مجالات وسائل النقل والسفر حتى فى مجال (غزو الفضاء) النفاذ من اقطار السماوات والأرض وفى مجالات التربية والتعليم والطب العلاجى وغيره من مجالات الحياة.

فأهم ما قدمته الأجهزة السمعية والبصرية والحاسبات الألكترونية هو توسيع دائرة الإبصار البشرى كما حدث فى مجال السمع بحيث يرى البعيد الغائب ويسمعه كما لو كان حاضرا أو ليس غائبا. والغائب عن الانسان ولو كان فى نفس الزمن فهو من الغيب.

وفى هذا العصر يرى الانسان الحادث وقت وقوعه أو بعده بقليل صوتا وصورة ومعنى فلم يصبح البعيد غيبا بل صار حاضرا.

فهل أخبر القرآن الكريم عن هذا الامر الخطير فى حياة البشر، وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما فرط فى الكتاب من شئ يوان به تبياننا لكل شئ؟ نعم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ (٥٢ - ٥٣ سبأ) وستعرض لتأويل هذه الآيات الكريمة من خلال السياق بعد ذلك فى موضع آخر بإذن الله تعالى.

ولكننا هنا نتدبر قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ (سبأ) هؤلاء الكفار يقذفون بالغيب من مكان بعيد صوتاً أو صورة أو بهما معاً، أليس هذا هو ارسال الأخبار والأحداث بالصوت عن طريق الأجهزة السمعية التى آخرها المحمول؟ بلى.

وأليس هذا هو إرسال الأخبار والأنباء والأحداث صوتاً وصورة عن طريق الاقمار الصناعية من اقصى الأرض إلى اقصى الأرض أى من مكان بعيد؟ بلى.

(٤٧) الاختراعات السمعية البصرية الحديثة حولت الغيب البعيد الى حاضر قريب:-

هذه الآية الكريمة هى الأساس اذن فى إثبات أجهزة الإتصال السمعية والبصرية والالكترونية (أى بالكمبيوتر وشبكة الانترنت) ولرسول الله ﷺ أحاديث تخبر وتحدث عن بعض هذه الأجهزة التى يتم بها قذف الغيب، اى ارساله من مكان بعيد، ذلك لأن الموجات الخارجة من أجهزة الارسال الاذاعية والتليفزيونية اقرب ان تكون مقذوفة من أن تكون مرسله من أعلى، فى حين ان الذى يأتى من نفس المستوى فيكون بالرمل وليس بالقذف، قال تعالى عن استخدام السهام والحراب: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١٧ / الانفال) وقال رسول الله ﷺ (الا إن القوة الرمي) أما القذف فى الآية حسب اللغة فيشير إلى استخدام الاقمار الصناعية، وهى فى مكان بعيد يرسلون اليها الإنباء فتقذفها صوتاً وصورة، لأن الارسال التليفزيونى الأرضى لا يكون من مكان بعيد، وإنما يلزم لكل منطقة أو اقليم مركز إرسال لمسافة لا تتعدى

الأفاق المحيطة به كما هو معلوم، فمن القنوات الأرضية يكون إرسالاً أو رمياً ولكن من الاقمار الصناعية والمحطات الفضائية يكون قذفاً. ومعلوم أن هذه التقنية تستخدم أساساً للتجسس العسكرى وللتصوير الجوى لأغراض شتى، وكل خبر غائب بسبب البعد المكانى فهو غيب وهذه الاختراعات جعلته حاضراً.

يُفَصِّلُ هذا ما ورد فى السنة من آثار أثبت العلماء صحتها، تصف هذه الاجهزة السمعية المنتشرة بين ايدى الناس على اختلاف مستوياتهم المعيشية والثقافية وعلى مستوى جميع الشعوب بلا استثناء، من هذه الآثار:

**أولاً: الهاتف والبرق والتلكس والفاكس والبريد الالكترونى
بالحمبيوتر والانترنت:**

١ - ما رواه النسائى من حديث عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله ﷺ (ان من أشراط الساعة أن يفشوا المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بنى فلان)^(١) وقد فسر الشيخ صديق الغمارى رحمه الله هذه العبارة الأخيرة فى الحديث بأنه اثناء عقد الصفقة يتوقف حتى يتشاور مع شريكة أو شخص آخر غير موجود معهم، لانه فى قبيلته أو فى مدينته التى يعيش فيها فى مكان بعيد عن مكان الصفقة ويلزم من هذا وجود وسيلة اتصال يستأذن ويكلمه من خلالها. ففى الحديث إشارة إلى الهاتف. أو إلى الفاكس أو إلى التلكس.

وهذا تعبير نبوى كريم يتسم بالبلاغة اذ قال حتى (أستأمر تاجر بنى فلان) ولم يقل (أستأمر فلان) اذاً الحكمة النبوية اقتضت أن يخبر الرسول ﷺ أهل زمان هذا الحدث وهو زماننا بما عندهم من وسائل إتصال بتعبير يفهمه جيل الصحابة، فذكر هذا الاسلوب البيانى المعجز الذى يلزم منه بالضرورة وجود وسيلة اتصال عن بعد، يستأذن بها شريكه فى القبيلة او فى المدينة التى ليسوا متواجدين فيها أثناء

(١) عن مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البريه / للشيخ محمد صديق الغمارى ص طبعة الدار البيضاء. بدون تاريخ.

عقد الصفقة، يؤكد هذا المعنى أنه لم يقل (لا: حتى أذهب لاستأذن تاجر بني فلان) وإنما قال (حتى استأذن) أي وهو في نفس الجلسة دون أن يتحرك فدل هذا على وجود اتصال عن بعد بالتعبير على هذا النحو وبهذه الكلمات الدقيقة مقصود للنبي ﷺ ومراده الإشارة إلى أنه يستأذن في الحال من رجل في بلد آخر. وهذا من تفصيل قوله تعالى: ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣ سبأ) ومن تطبيقاته.

٢ - ومن الأجهزة السمعية أيضا لاقط الصوت، وأجهزة التسجيل وقد أشار إليها رسول الله ﷺ باعتبارها من أمارات الساعة فيما رواه أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة قد أو شك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعله وسوطه ما أحدث أهله بعده) (١).

فإذا تذكرنا قوله ﷺ (ان الله رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه) (٢) علمنا أن قوله ﷺ عن الشيء الذي رآه يحدث الرجل ما أحدثه أهله من بعده وقد شبهه ﷺ بالنعلين والسوط هو الهاتف الذي يتكون من قطعتين توضع إحداها فوق الأخرى كما يضع المصلى في المسجد نعله فوق الآخر ويمتد من أحدهما سلك شبيه بالسوط، وعندما يصل الرجل الى مكتبه أو إلى بلد آخر سافر إليه، فإنه يتصل بأهله ليستعلم منهم أخبارهم من بعده، أي من بعد مفارقتهم لهم. فالصياغة تدل على أنه الهاتف لانه يعلم أخبار أهله قبل ان يرجع اليهم بدليل قوله: ﴿..... فلا يرجع حتى يحدثه...﴾.

وروى الترمذى أيضا قوله ﷺ (والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس، وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه، وشراك نعله ويحدثه فخذه بما أحدث أهله من بعده) (٣).

وتكليم الرجل لعزبة السوط اشارة (للميك) لاقط الصوت الذى هو عادة ما يكون عبارة عن جسم معدنى شبه كروى يمتد منه سلك فهو أشبه ما يكون بعزبة

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

(٢) رواه الطبرانى/ عن «إتحاف الجماعة» للشيخ التويجرى ج١ ص٦، ص١٦.

(٣) رواه الأمام أحمد والترمذى والحاكم فى المستدرک وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح عن إتحاف الجماعة للشيخ التويجرى ج١ ص ٢٢٢

السوط وهي كتلة الشعر المكثفة في ذيل البقرة الذي يجعلونه سوطاً بعد تجفيفه ودبغه، وشارك نعله إشارة إلى سماعة الهاتف، أما قوله: ﴿ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده﴾ فهو أيضاً إشارة إلى الهاتف المحمول الموضوع في جيب السروال (البنطلون) أو المعلق فوق فخذه) وهذا ما توصي به الشركات المنتجة والاطباء ابتعاداً لخطر الذبذبات الصادرة منه عن الجسم إذ ثبت أنها تسبب أمراضاً خبيثة.

٣ - (الراديو) الإرسال الإذاعي بعامة وإذاعة القرآن الكريم بخاصة دليل على قرب حدوث الآيات ونزول العذاب والزلازل والخسوف الثلاثة، ذلك أن الراديو في أول اختراعه كان كبير الحجم وكان يُوضع على رف مرتفع في المقاهي والناس يجلسون تحته يسمعون الأغاني والموسيقى المسجلة على أسطوانات (الجرامافون) وكانت الإذاعات في البلاد الإسلامية تذيع الأغاني والأخبار والقرآن الكريم والأحاديث الدينية.

وفي أوائل الستينات تخصصت إذاعات مستقلة لإذاعة القرآن الكريم في مصر ثم السعودية ثم الكويت وغيرها.

وتطورت بعد ذلك كما هو معلوم الأجهزة السمعية حتى انتشرت أجهزة التسجيل ذات السماعات المتعددة الفتحة (الاستريو) التي تستعمل في الحفلات الراقصة الماجنة المختلطة وفيها روى الإمام أحمد وغيره بسنده عن مالك الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ (لَيَشْرَبَنَّ ناسٌ من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها يُضْرَبُ على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير)^(١). فضرب المعازف على الرؤوس لا يكون إلا من سماعات معلقة في الاسقف وعلى الجدران في الملاهي الليلية والسينما والمسرح.

(٤٨) إذاعة القرآن الكريم دليل على أننا في آخر الزمان حسب ما ورد في السنة:

أما إذاعة القرآن الكريم فقد ورد فيها خبر صريح رواه أبو نعيم في الحلية والدارمي مرفوعاً (إن الله تعالى قال: ابث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه والطبراني والبيهقي ورواه أبو داود في مسنده عن «تحاف الجماعة» للشيخ التوحيدي ج ٢ ص ٢٤١.

عليهم^(١). ولفظ «أبث» هو الذى يستخدمه الاعلاميون للدلالة على عملهم الاذاعى والتليفزيونى لان أعمالهم تتحول إلى مبعوثات فى الهواء و«بث العلم» لا ينطبق الا على اذاعات القرآن الكريم، وما يتخلل الاذاعات، الأخرى من برامج دينية، لماذا؟.

لأن العلم الذى يتلقاه الجميع بالبث: الصغير والكبير والحر والعبد والرجل والمرأة، هو إذاعة القرآن الكريم بالضرورة، إذ أن تعبير الصغير والكبير يفيد الفقير وضعيف الحال والغنى وذا الجاه والسلطان، ويدخل فى هذه الاصناف المتعلم وغير المتعلم والقارئ وغير القارئ، هذا العلم لا يكون ولا يتم لهؤلاء جميعا إلا بالاستماع، ويمنع ان يكون هذا فى مدرسة أو بالتلقى عن الكتب والكتابة وجود العبد معهم كالحرف سواء بسواء والمرأة كالرجل فإذا ثبت ان التلقى يكون سمعاً وأن الالتقاء يكون بئاً، تأكد لنا أن الوسيلة هى الاذاعة بعامة وأن الحديث يخص اذاعات القرآن الكريم بخاصة. ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ أَخَذْتَهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ﴾ أى إذا بثت العلم حتى أصبح كالهواء فى متناول الجميع بلا إستثناء لم يعد لاحد بعد ذلك حجة على الله بالجهل وبحجب النور الالهى المنزل على رسول الله عز وجل قرآنا وسنة عنه، ومن ثم استحقوا العذاب فنزل عليهم بما الله تعالى من حق له عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أَبْثْ﴾ أى أن هذا الأمر قدره سبحانه بارادته وانفذه لكى يقيم الحجة على الناس.

ومن ثم يدل إنتشار هذه الإذاعات الاسلامية على القرب الزمنى للقيامة الصغرى لأن الله تعالى أوعد الناس بحقه عليهم يأخذهم إن بالزلزال وإن بالساعة الصغرى.

كذلك يدل هذا على أننا بالقطع فى آخر الزمان لورود هذا بمثل الحديث بقوله سبحانه ﴿أَبْثِ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ﴾. وهذا لا يكون فى جيل الأشرار الذين لا يقال فى الأرض فى زمنهم الله ومن ثم لزم من هذا أن أخذه سبحانه للناس بعد بث العلم هو فى القيامة الصغرى بالنفخة الأولى أى بالعذاب الذى يقابل الساعة الوسطى.

(١) رواه الدارمى مرفوعا وابو نعيم فى الحلية.

يؤكد أن هذا الحديث القدسي يخص إذاعات القرآن الكريم حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: (إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قاتل أن يقول: ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعين حتى ابتدع لهم غيره فاياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة)^(١) وهذا الحديث الذى لم يرفعه معاذ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ عند العلماء فى حكم المرفوع لأنه ينسب عن غيب لا مجال للرأى والاجتهاد فيه، والملاحظ عليه انه تحقق فى زماننا هذا بل إنه قد تحقق فى خلال ثلاثين عاما مضت، فهو يتضمن عدة احداث متعاصرة خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى وهى:-

- أ - كثرة المال وقد حدث بصفة خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٤ م.
- ب - انتشار إذاعات القرآن الكريم وزيادة إرسالها فى البلاد العربية والاسلامية وقد أشار حديث معاذ إليها بقوله «وبفتح فيها القرآن» وهو نفس التعبير المستخدم عند العرب عند تشغيل الراديو على اذاعة من الاذاعات حتى يقول القائل (افتح الراديو على القرآن) ولا يقول القائل (وبفتح فيها القرآن) بمعنى: ويفتح المصحف للقراءة، فهذا لا يكون حسب سياق الحديث لقوله (حتى يأخذه: المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والصبي والحر) وهذا الاخذ لا يكون من الجميع مع اختلاف أعمارهم ومستوياتهم، لأن هذا التعبير يفيد القارئ فيهم وغير القارئ فهو أخذ بالاستماع وليس بالقراءة، يؤكد هذا ثانيا وبما لا يدع مجالا للشك ليكون الحديث منزلا على إذاعة القرآن الكريم قطعاً، أن هؤلاء جميعاً يأخذون القرآن من المقرئ وليس من المصحف بدليل قوله بعد هذا (ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن؟) إذن الناس يأخذونه من قارئ يحرص على أن يستمع إليه أكبر عدد من الناس أكثر من غيره وفى هذا إشارة الى طلب بعض المقرئين للشهرة.

(١) رواه عبد الرزاق فى مصنفه وابو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهذا الحديث حكمه حكم المرفوع لأنه إنباء عن غيب.

ج - قوله بعد هذا (ما هم بمبتغى حتى أبتدع لهم غيره) وفي هذا إشارة واضحة إلى مغالاة بعض المقرئين في التغنى بالقرآن طلباً للمديح المستمعين وللشهرة ولجلب إعجابهم، فيقع في البدعة الأمر الذي جعل معاذ رضى الله عنه يحذر من هذا بقوله (فياكم وما أبتدع، فإن ما أبتدع ضلالة) وهذا هو الكائن الآن من المقرئين طلباً للشهرة، ومعنى البدعة في القراءة مخالفة قواعد التجويد والتلاوة وترك الالتزام بأحكامهما ويلجأ إلى الابتداع بتلحين الآيات والمغالاة في التطريب. كأنه مطرب وليس مقرئاً وهذا الحديث يؤكد صحة حديث البث وحديث البث يؤكد أنه أى أن كل منهما يقوى الآخر سنداً. ويجعل تفسيرهما بإذاعة القرآن الكريم قطعياً.

لقد أنفذ الله تعالى مشيئته بإقامة هذه الإذاعات القرآنية حسب سنته سبحانه في الابتلاء إذ تقتضى هذه السنة أن يكون أمام الإنسان لصحة الاختيار النجدان: نحمد الخير ونحمد الشر، وأن يكونا متماثلين واضحين فلما استولت الاغاني والمعازف ودعوات الباطل على أكثر أجهزه الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية جعل الله تعالى - لتيسير القرآن للذكر - اذاعات القرآن الكريم وبعضها يستمر ارساله بلا توقف ليلاً ونهاراً مثل اذاعة القرآن الكريم المصرية، فيكون الحق ميسراً بقدر تيسير الباطل. ولا يكون للشيطان منبراً للإغواء إلا ويكون لاهل الحق منبراً مثله يعادله وكما يمكن للكبير والصغير والفقير والغنى والمتعلم والأمل أن يحصل على المعازف والغناء واللهو بسهولة ويسر فإن هؤلاء جميعاً يستطيعون أن يحصلوا على الحكمة والخبر والنور والهدى المحمدى بنفس السهولة واليسر، بل ومن نفس الجهاز، فقط ما عليه إلا أن يحرك مؤشر المحطات بضع ستيمرات حتى ينتقل من ذاك إلى هذا، وبهذا قامت الحجة ومن ثم كان هذا البث مقدمة لنزول العذاب في الحديث القدسي (... أخذتهم بحقي عليهم). أى أن الإذاعات بعامة وإذاعة القرآن الكريم بخاصة أمانة من الأمارات الدالة على قرب نزول العذاب.

د - ومن الاجهزة السمعية التى دخلت حياة الناس حديثا وانتشرت فى المساجد والمدارس والجامعات ودور اللهو والحفلات ووسائل المواصلات وحتى المعدات الحربية مكبرات الصوت التى اتاحت توسيع قاعات الدرس وتطويل المنابر وتوسيع المساجد بعامة وتوسيع الحرمين الشريفين بصفة خاصة حتى يخطب الخطيب فى جمع يربو على مليوني مصلى ويسمعه جميعا سواء فى المسجد النبوى أو فى المسجد الحرام ونظراً لأن استخدام الميكروفون أصبح ظاهرة معاصرة نراها ونستخدمها على الدوام ومن ثم قال ﷺ (....) وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه...) كما وضعنا من قبل تشبيه الميك أو لاقط الصوت بكنتلة الشعر، فالحديث الشريف يتحدث عن ظاهرة شائعة فى عصر الزلزال والقيامة الصغرى.

(٤٩) التليفزيون والفيديو وإرسال الأقمار الصناعية واستخداماتها جميعاً فى الفتن.

أخرج البخارى فى كتاب الحج باب أطام المدينة عن أسامة بن زيد «أشرف رسول الله ﷺ على أطم من أطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر» (١).

والأطم هو البناء المرتفع الذى يشرف من يقف فوقه على ما حوله وقد وقف ﷺ ونظر حوله وقال (هل ترون ما أرى؟) وهذا سؤال تقريرى يفيد النفى، أى أنهم لا يرون ما يراه ﷺ بدليل قوله بعد هذا (إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر) والقطر هى رخات المطر تقع على البيوت وخلالها من السماء، إذن كان يرى رسول الله ﷺ من هذا المكان المشرف اسطح المنازل وأراه الله تعالى وأجلى له الفتن النازلة من أعلى السطح كنزول رخات المطر.

وهو اقرب تشبيه للموجات الكهرومغناطيسية النازلة من الارسال الفضائي من الاقمار الصناعية فى السماء على المستقبلات الهوائية فوق الاسطح المعروفة الآن (بالدش).

(١) صحيح البخارى ك الحج ب أحكام المدينة (٢٨/٣).

وروى ابن ابي شيبة عن حذيفة انه قال (ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافي قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله؟. قال: الأرض القفر).

وهذا هو حال الإرسال الفضائى يعم مساحات شاسعة من الأرض. ومن الممكن أن يعم الأرض كلها بنظام متعدد من الأقمار فيشمل الإرسال البحار والمحيطات والقفار اذ يأتى الإرسال من ارتفاع شاهق فيغطى مساحة ضخمة من الأرض سواء العامر منها والخراب. والملاحظ أيضا فى حديث حذيفة رضى الله عنه استخدام كلمة الشر بدلا من الفتنة، لان الفتنة يمكن ان تكون بالشر كما يمكن ان تكون بالخير قال تعالى: ﴿وَنَبِّلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥ الانبياء) فتكون بمعنى الاختبار اما هذا الذى يأتى من هذه الاقمار فهو شر محض لاخير فيه، ذلك هو الإرسال الفاضح الذى ترسله المحطات الدجالية الصهيونية بأموال اليهود ومخططاتهم الخبيثة وعلى رأسها القناة الاسرائيلية وللأسف تركيا وفرنسا وامريكا وغيرهم من بلاد العالم المشرك الملحد والذين يعملون على تدمير فطرة الانسان والقضاء على كل خير فيها وإطفاء ما بقى فيها من بصيص من نور خافت وليس لهذا التعبير من تفسير إلا إرسال القنوات الفضائية الفاضح لانه لا معنى لإرسال الشر على الفيافي القفار التى ليس بها بشر يستقبل هذا الشر الا أن يكون هذا بمقتضى طبيعة الإرسال والبت اذ لكى يوصل الإرسال إلى الاقاليم المأهولة بالناس حول الفيافي لابد ان ينزل الإرسال على الفيافي التى فى وسطها، وهذا هو الواقع الآن الذى ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨ القصص) وايضا ينطبق على هؤلاء قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩ الرحمن).

وهذا الشر هو ادخال النساء العاريات على الرجال فى بيوتهم وإدخال الرجال العراة على النساء ببيوتهن، قد يقول القائل: انها صور، مجرد صور قلنا: نعم ولكنها صور حية نابضة متحركة تمارس غواية الانسان بالفحشاء او الفحشاء نفسها، فهل ثم شئ أشر من هذا فى تاريخ البشر؟ هذا عن الدش، وقد يقول قائل: هذه الفتنة لم تعم

كل بيوت الامة، وهذا حتى ايامنا هذه صحيح، ولكن الم يدخل التلفزيون كل بيت من بيوت الامة؟ بلى، ولكن حتى القنوات الوطنية والمحلية لم يخل ارسالها من الفتنة والشر بالرغم من أنها لاترسل فضائح جنسية، ولكنها ترسل ايضا ما يخالف الشرع من صور لنساء متبرجات وراقصات نصف عاريات وقبلات وغير ذلك هذا عدا الموضوعات الدرامية الهادمة لقيم الخير والمدمرة لأركان الايمان فى النفوس والغارسة لقيم الشر، ولكن يظل شر هذه الفتنة البارز هو إدخال الحريم البيوت وقد صرح بهذا حديث رسول الله ﷺ عن أخطر الاحداث التى بيننا وبين الروم بعد موت النبي ﷺ وحتى قيام الساعة وواحدة منها هو التلفزيون باعتباره اختراع غربى أوربى اى رومى بلغة الحديث روى الامام احمد بسنده الى (معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ست من اشراط الساعة: موتى، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ فى الناس كقعاص الغنم، وفتنة يدخل حريمها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل الف دينار فيسخطها، وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند إثنا عشر الفا)^(١) وروى عن عوف بن مالك رضى الله عنه بنحوه. وما يخص موضوعنا من هذه الست الرابعة (وقتة يدخل حريمها بيت كل مسلم) وهو تعبير عجز السابقون بلا شك عن فهمه، وقد أتى تاويله فى زمن الامارات والعجائب بالتلفزيون، وليس له معنى آخر، والتلفزيون الآن فى بيت كل مسلم بلا جدال. وملحقات التلفزيون كالفيديو. يدخلون الحريم العرايا وشبه العرايا بيوت جميع المسلمين صدقت وبلغت يا سيدى يا رسول الله بأبى أنت وأمى ونفسى.

(٥٠) اعمال الدراما فى المسرح والسينما والتلفزيون: تأليفا واخراجا وتمثيلا من أمارات الساعة ودليل على أننا فى آخر الزمان :-

ليست أجهزة الارسال والاستقبال المسموعة والمرئية فى حد ذاتها محرمة، بل إستيلاء حزب الشيطان على جميع أجهزة الاعلام وبخاصة اليهود فى افسادتهم الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض هو الذى جعل اكثر برامج هذه الاجهزة وأغلب اوقاتها للافساد وليس للاصلاح، ومن أخطر أعمال الإفساد (الدراما الكوميدى منها

(١) رواه البخارى فى الصحيح وأحمد والطبرانى عن معاذ وأورده الشيخ الألبانى فى الصحيحة برقم ١٨٨٣.

والتراچيدى). إذ ترمى جميعا إلى هدم قيم الخير وغرس قيم الشر والاباحية بإسم الحرية والتنوير.

فهذه الاجهزة كالسلاح لابد من أن تمتلكه الامة لقتال عدوها، وقد يستخدمه البعض لقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، ويستخدمه الصالحون للجهاد، ونظراً لان أغلب وأكثر ما تعرضه هذه الاجهزة يتعارض مع أصول الاسلام ومبادئه وأهدافه وقيمه، اذ كل برامجها تدور حول محورى اللهو واللعب، اى ما يسمونه الفن والرياضة، حتى كاد الفن والرياضة أن يكونا ديناً، بل أصبحاهما الدين الواقعى الفعلى الذى تدعو إليه أجهزة الاعلام بعمامة والتلفزيون بخاصة، وفى امثالهم قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا...﴾ [٧٠ / الانعام] أى دع الذين اتخذوا اللعب واللهو ديدنهم ومحور حياتهم حتى صار هو دينهم ومنهج حياتهم، وصار ما يسمونه بالرياضة والفن هما الغاية العليا فى حياتهم.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٥٠ - ٥١ / الاعراف].

فالدين هو محور الحياة والغاية العليا والاهداف الاستراتيجية فى حياة الفرد وحياة الامة، لان هذه الغاية هى التى يتشكل بحسبها منهج الحياة وأسلوب العيش (والذين إتخذوا دينهم لهواً ولعباً) هم الذين جعلوا محور حياتهم وغايات أفعالهم وأهداف أعمالهم اللهو واللعب أو اللعب واللهو، اذ يجعل البعض عمله الرئيسى اللعب ويأتى إلى اللهو بعد ذلك للترويح وبالعكس يكون اللهو عمل البعض واللعب ثانوى بالنسبة لهم لصحة أبدانهم: الفئة الأولى هم الرياضيون ومن يعملون فى الرياضة وما حولها والفئة الثانية هم الفنانون ومن يعملون فى مجالات الفن المختلفة وما حولها.

لقد اقاموا قنوات متخصصة فى الرياضة وأخرى للدراما وأخرى للأغاني والرقص. وكلها للدنيا وللشيطان وليس فيها شئ لله عز وجل، وما جعلوه لله فى القنوات الرئيسية لا يتعدى ٢٪ من البرامج، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

هذان الهدفان: اللهو واللعب هما دين العلمانية وغاية الانسان فى الحضارة الغربية المادية المعاصرة، دين كل من لا يؤمن بالآخرة، لأن من يكفر بالآخرة لا يجد لنفسه غاية تستحق السعى اليها وأهداف يعمل لتحقيقها سوى المتاع، ومن ثم ينتهى المتاع باعتباره الغاية العليا فى حياته إلى هدفين تطبيقيين هما اللهو واللعب؛ لأن المتاع لا يعدو أن يكون بشهوة البطن وبشهوة الفرج وشهوة الفرج يخدمها اللهو وهو الفن بأنواعه، وشهوة البطن تحتاج للرياضة لصحة الأبدان وتحاشى أضرار الإسراف فى الطعام. فاللهو واللعب هما وسيلتا المتاع الحسى الذى هو الغاية العليا للعلمانى.

ويزعمون ان للفن رسالة، يدعون أنهم يصلحون ويُرَبُّون ويَغرسون قيما ويقومون خلقا وحضارة بهذا الفن، وكذبوا بل افترخوا الكذب والإفك، ويزعمون أنهم يحفظون الأبدان ويعتنون بالصحة، وكذبوا لأن اللعب صار للرياضيين خاصة وإستخدموا المنافسات المحلية والوطنية، وعلى مستوى القارات وعلى مستوى العالم استخداما سياسيا صهيونيا بعيدا تماما عن الرياضة وصحة الابدان.

اما عن الفن وأخطر أشكاله وهو التمثيل، فقد ورد من أحاديث الرسول الله ﷺ ما يشير إلى الرقص والتمثيل الذى يتضمن التأليف والسيناريو.

أما عن التأليف وكتابة السيناريو للأفلام والمسلسلات فقد قال رسول الله ﷺ (يأتى فى آخر الزمان أصحاب اللوح يزبنون الحديث بالكذب تزين الذهب بالجواهر)^(١) ولا يكون هذا إلا بالخيال وأصحاب اللوح هم أصحاب الافلام او ما يطلقون عليه (كلاكت اول مرة وتانى مرة وهكذا) حيث يكتب هذا فى لوح ليضم أول المشهد فى الفيلم ليتمكن بعد ذلك فنى المونتاج من ترتيب المشاهد حسب السيناريو المكتوب. هذا قول أما القول الثانى وهو الأرجح عندى هو أن المقصود باللوح الشاشة الكبيرة (السينما) ثم الشاشة الصغيرة التليفزيون وهذا يشمل كل أنواع التمثيل المسرحى والسينمائى وحتى الإعلانات علاوة على الدراما. وكل هذه الأعمال يراها الناس فى هذا اللوح الكبير (السينما) أو فى اللوح الصغير التليفزيون وتسمية الشاشة باللوح

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن/ عن إتحاف الجماعة للشيخ التوبجرى جـ ٢ ص ٢٠٥.

أصبح وأدق لغويا. أما المسرح فهو ليس سوى ألواح الخشب أرضا وجدراناً، وخشبه أشهر خشبة واسم الألواح يصدق على المسرح كما يصدق على الشاشة.

وليس هذا من كذب الحديث العادى الموجود فى كل زمان، ولكنه كذب خاص يحدث فى آخر الزمان، ويتقاضى عليه أصحابه أجرا ويمدحهم المادحون من النقاد ويوصفون بأنهم مبدعون وفنانون وأدباء، وصدق معاذ بن جبل رضى الله عنه فيما روى عنه من أمارات الساعة فى حديث جاء فيه (....) ويعطى مال الله على الكذب والبهتان^(١).

وليس الكاتب فقط هو الذى يمارس بعمله الكذب بل الممثل أيضا، بل ان كذب الممثل والممثلة أعظم من كذب الروائى، فالروائى يكذب على الورق، والممثل يكذب على الملأ ويستخدم ذاته وأحاسيسه وتعبيرات وجهه لكى يشخص الكذب ويجسده بجسده، فهو لا يكذب بلسانه فقط او بقلمه فقط وإنما يكذب بكل خلية من جسده، وكلما كان الكذب بكيانه كله كلما كان اقدر على التمثيل متقنا له حتى يقولوا عنه الممثل القدير، وصفة القدير لا تجوز الا الله تعالى وحده، وهو نوع من خلق الافك، ويتعاطى عليه المال.

ولعل الحديث الاكثر صراحة عن الممثلين والممثلات هو ما رواه أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ قال (شرار أمتى الذين غدوا فى النعيم الذين يتقبلون فى ألوان الطعام والثياب الثرثارون الشداقون بالكلام)^(٢).

فقوله ﷺ عن شرار الامة أنهم الذين (يتقبلون فى ألوان الطعام والثياب) يؤكد أنهم الممثلون والممثلات لان الثياب والمظهر والاناقة والشياكة، من أهم ما يعنى به الممثل والممثلة، لان رأسمالها هو المظهر والشكل، وهم من أهل المتاع، ومن ثم يعتنون باطيب الطعام، هذا بالنسبة لحياة الممثل الحقيقية، أما عمله فهو يتضمن دائما مشاهد فيها ألوان الطعام حسب القصة والسيناريو كما يتضمن ألوانا من الثياب حسب هذا كله ومن ثم فهم يتقبلون فى ألوان الثياب: اذ يلبس الأزياء الريفية مرة والبدوية مرة والإفرنجية مرة والعسكرية مرة حسب الدور المنوط به.

(١) عن إنحاف الجماعة ج٢ ص ٢٠٥. وقال (رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية/ عن إنحاف الجماعة للتبجى ج ٢ ص ٥٦.

ثم إن قوله ﷺ: (الثرثرون الشداقون بالكلام) يؤكد أنهم أهل التمثيل، لأن عمل الممثل ينحصر في حفظ كلام الدور المنوط به، ويتمثل في كلام مكتوب عليه أن يتحدث به بطريقة مخصوصة تناسب لهجة الشخصية التي يمثلها، وليس باللهجة التي يتحدث بها في حياته العادية الحقيقية، ولكي يخرج الكلام باللهجة المطلوبة حسب الدور، عليه أن يتحكم في عضلات فمه وجوانبه لكي يخرج الكلام حسب اللهجة الصعيدية أو البدوية أو الريفية أو البورسعيدية وهكذا وحيث أن جانب الفم هو في اللغة الشدق ومن ثم فهو يتشدق بالكلام، أن أكثر عملهم الكلام، فهم (الثرثرون الشداقون بالكلام) بدليل أن الإنسان في حياته العادية قد يمكث ساعات دون أن يتكلم مع أحد ولكن هذا لا يكون أبداً في الأفلام، إذ لا يظهر الممثل إلا متكلماً ولو اقتضى الدور إظهاره صامتاً يكون هذا لشوائى معدودة فقط.

فالشداق هو المتحكم في جانبى فمه الموسع لهما أو المضيق لهما حسب مقتضيات اللهجة المطلوبة.

يؤكد هذا التفسير للحديث رواه أخرى لأحمد في الزهد مرسلًا عن بكر بن سواد أن رسول الله ﷺ قال (سيكون نشؤ من أمتى يولدون في النعيم ويغذون به همتهم ألوان الطعام وألوان الثياب يتشدقون بالقول أولئك شرار أمتى) ^(١) وهؤلاء هم الممثلون والممثلات أبناء الممثلين والممثلات فهذا الحديث يتكلم عن أبنائهم الذين يحترفون مهنتهم.

وعن فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما وعليهما السلام أن رسول الله ﷺ قال (إن من شرار أمتى الذين غدوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب يتشادقون في الكلام) ^(٢) قال ابن الأثير (المتشادقون هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط، وقيل: أراد بالمتشادق المستهزئ بالناس يلوى شدة)، وأكثر ما يظهر هذا عند تمثيل أدوار أهل الصعيد فيسخر من لهجتهم أو عندما يمثلون أدوار الفقهاء والعلماء والمأذون ومدرسى اللغة العربية وكل رموز الإسلام سخر الله منهم.

أما بالنسبة للممثلات فالأمر أدهى وأمر لأنها تصبح في الفيلم زوجة لغير زوجها

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦. وقال (رواه أحمد في الزهد، وهو مرسل).

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦. وقال (رواه أحمد في الزهد، وهو مرسل).

كذبا. وربما يحتم عليها الدور كزوجة ان تخلع ثيابها التي أتت بها من بيتها للاستوديو وتلبس ثياب زوجة فى البيت وربما ملابس النوم وكثيرا ما يأمرها المخرج ان تنام بجانب الممثل فى السرير تحت غطاء واحد بحجة اعطاء انطباع للمشاهد بعلاقة الزوجية بينهما وكل هذا حسب توقيعها على المشاهد فى العقد المبرم بينها وبين المنتج.

وحديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن الزلزلة يشير إلى هذا، إذ تتحدث عن الاحداث التي هى مقدمات للزلزال وتحدث قبله مباشرة، منها خلع المرأة ثيابها فى غير بيت زوجها دون الزنا، (فمن انس بن مالك قال: دخلتُ على عائشة رضى الله عنها ورجل معى. فقال الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة؟ فأعرضت عنه بوجهها).

قال: انس: فقلت لها حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة.

فقالت: يا انس، ان حدثتك عنها عشت حزينا ومت حزينا، وبعثت يوم تبعث وذلك الحزن فى قلبك. فقال: يا أمه حديثنا.

فقالت: إن المرأة اذ خلعت ثيابها فى غير بيت زوجها، هتكت ما بينها وبين الله من حجاب، فاذا تطيبت لغير زوجها كان عليها نار وشنار، فإذا إستفح فى الزنا، وشربوا الخمر مع هذا، وضربوا المعازف، غار الله فى سمائه، فقال: تزلزلى بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلا أهدمها الله عليهم. فقال انس: عقوبة لهم ؟!

قالت: بل رحمه وبركة وموعظة للمؤمنين، ونكالا وسخطة وعذابا على الكافرين.

فقال انس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشدُّ به فَرِحاً منى بهذا الحديث بل أعيش فَرِحاً وأموت فَرِحاً وأبعث حين أبعث وذلك الفرح فى قلبى أو قال: فى نفسى^(١) فإذا لاحظنا كلامها عن خلع المرأة ثيابها فى بيت غير بيت زوجها وتطييبها لغير زوجها من غير نسبة الزنا لمن تفعل ذلك، ثم قولها بعد ذلك (فإذا استفح فى

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن، والحاكم فى المستدرک ح ٤ ص ٥١٦ ك الفتن والملاحم.

الزنا) دل هذا على ان هذا الفعل المقدم من بعض النساء، ليس هو للزنا، وانما سيؤدى بعد ذلك إلى انتشار الزنا وشيوعه ومن ثمَّ فهو باعتبار أثره أخطر وهذا هو المعلوم عن الممثلات اللاتى يخلعن ثيابهن فى الاستوديو لسترندى ملابس الدور، وفى كثير من المشاهد وتجلس المرأة أمام المرأة لتطيب كأنها تفعل ذلك لزوجها فى الفيلم. هذه المشاهد التى تكررت كثيرا جدا فى الأفلام، ثم خلع المرأة ثيابها على الشواطئ، وظهورها عارية فى الافلام على الشاطئ كل هذا أدّى إلى شيوع هذه العادات الرذيلة والسفور الفاضح والتدرج بالمجتمع حتى صارت الفاحشة معروفا والعفة منكرا. ولا شك أن الممثلات فى الافلام بصفة خاصة هن اللاتى قمن بتزيين التبرج للنساء وهن اللاتى شجعنهن على التفريط فى عفتهن حتى إستفحا فى الزنا إلاّ من رحمها الله عز وجل.

وقولها رضى الله عنها (فإذا استفحا فى الزنا) بعد العبارة الاولى يدل على أن هذا جاء بعد الاول، ومن ثم يكون الاول هو العلة والثانى هو المعلوم والنتيجة، وعلى هذا تنطبق عبارة السيدة عائشة على الممثلات بصفة خاصة وعلى النساء اللاتى يخلعن ثيابهن خارج بيت الزوجية مثل الشواطئ ونوادى الرياضة وحمامات السباحة وغير ذلك، فلو كان المقصود بخلع المرأة ثيابها حالات زنا فردية لما أدت إلى استحلال الزنا وانتشاره وانتشار المعازف وشرب الخمر، ولان الزنا موجود فى حياة البشر من قديم، وظل قرونا عديدة محرما وممنوعا حتى عند النصارى والبوذيين وغيرهم، ولم يتحول إلى مباح ومعروف بعد أن كان منكرا، الا بعد انتشار التمثيل والافلام وظهور الممثلات اللاتى يسمونهن بطلات شبه عاريات مبتذلات محسنات للسلوك الساقط الامر الذى أدى إلى شيوع الفاحشة.

وليس مصادفة ان رواد التمثيل المسرحى والسينمائى فى مصر وفى بلاد العالم العربى أكثرهم من اليهود. ولم يتب منهم واحد ولاواحدة، أما المسلمون والمسلمات

فقد تاب كثير منهم ومنهن، ونهيب بالذين لم يتوبوا منهم واللائى لم يتبن أن يرجعوا إلى ربهم قبل فوات الآوان فإن القيامة الصغرى على الأبواب.

فهذا الحديث هو على المثلثات، وعلى التمثيل الذى ساعد على انتشار الزنا وسائر الجرائم الأخرى وهذا يؤكده حديث عبد الله بن مسعود الذى أخرجه الحاكم فى المستدرک قال (إذا كثر الكذب كثر الهرج) أى القتل نتيجة الروايات البوليسية والأفلام التى تصور أعمال العصابات والمجرمين باعتبارها أعمال أبطال مثيرين لاجعاب المشاهدين فتنتشر الجريمة ولا تقل كما يزعم الفنانون. ولا شك أن التمثيل وتأليف الروايات الجنائية من الكذب، وهو مما يشيع الجريمة أكثر من أن يقلل من وقوعها بدليل إزدیاد معدل الجرائم فى العالم بعامة وفى مصر أيضاً مع إزدیاد إنتشار السينما وتعميم الأفلام وبخاصة بعد إنتشار التلفزيون وبعد إزدهار صناعتها فى هيو لود وفى سائر العواصم بما فيها البوليسى منها، ونتحدى من ينكر هذه النتيجة بدراسة إحصائية.

وليعلم الذين يعملون فى مجالات إنتاج الأفلام أن الله تعالى سبَحَاسِبِهِمْ على أعمالهم وعلى آثارها قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَأَثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ فليتأملوا فى آثار أفلامهم على المشاهدين رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً.

ولعل سائلاً يسأل: ولكن من أعمال الدراما ما هو مسلسلات إسلامية وأفلام دينية تقدم قيماً طيبة، فما بال الممثل الذى لا يمثل إلا هذه الأعمال ذات الأثر الخلقى أو التعليمى الطيب؟ والإجابة أنه لا بد أن يُثاب القائمون بمثل هذه الأعمال بالخير، فليس عند الله من جزاء للإحسان إلا الإحسان. ولذلك ليس كل ممثل من شرار الخلق الذين هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، بل ممثل من الممثلين أو ممثلة من الممثلات، هو أوهى من أشد الناس عذاباً يوم القيامة فيما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتل نبياً، وإمام

ضلالة وممثل من الممثلين) ^(١)، يعنى صنف منهم أشد الناس عذابا، وغير هذا الصنف أقل عذابا، وفيهم الذى لا يشترك إلا فى أعمال ذات القيم الطيبة أو الصبغات الدينية، وهؤلاء ربما ينجون من العذاب برحمة الله تعالى ومغفرته، لأن قوله ﷺ (وممثل من الممثلين) أشد الناس عذابا يفيد أن ممثلا آخر ليس كذلك، وهذا الصنف الآخر إما أن يكون أقل عذاباً وإما أن يشمل الله عز وجل بمغفرته ورحمته.

ولاشك أن هذا الحديث الشريف من الأدلة على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، لأن مهنة التمثيل التى أصبح من يزاولها إسمه «الممثل» لم تكن معروفة إلا فى أوائل هذا القرن، وأطلقوا على اسم الممثل فى مصر أول الأمر إسم آخر هو «المشخصاتى» ربما لأنه كان يقلد شخصيات معروفة، ولكن على أى حال من المعلوم تاريخيا، أن هذه المهنة دخيلة على العرب ولم تعرف فى تاريخهم كله، وأول من أتوا بها إلى مصر وإلى البلاد العربية الأخرى كانوا من اليهود والنصارى، وحتى عام ١٩٦٥ ميلادية لم يكن فى المملكة السعودية مسرح أو فريق تمثيل من أبنائها وإنما دخل عليهم هذا بعد الارسال التليفزيونى، ومع هذا كله فالحديث يتحدث عن الممثل والممثلين، وهل فى الدنيا كلها مهنة أخرى تحمل هذا الإسم ويحمل ممتنها هذه التسمية إلا الذين يقومون بتشخيص شخصيات الافلام والمسرحيات والمسلسلات؟ إذا كانت الإجابة بلا، وهى كذلك فإن الحديث يتناول هذه المهنة دون غيرها. وهؤلاء الذين تسوقهم الشياطين إلى أشد العذاب يوم القيامة خادعين إياهم بوصفهم إعلاميا بالنجومية وأصحاب أدوار البطولة سواء درّوا أم لما يدروا أن أكثر ما يقدمونه هدم للشر وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وإشاعة للفحشاء، وخدمة لمخططات صهيون، أقول: أنلأ يستحقون أن يكونوا أشد الناس عذابا يوم القيامة؟.

لقد قرن الحديث الشريف بين هذه المهنة وبين إثنين آخرين: الاول الذى قتل نبيا أو الذى قتله نبي وكلاهما من شرار الخلق لأن النبى لا يقتل بيده إلا أشد الناس ظلما وشرأ، وإمام ضلالة، أى مبتدع متزندق متفلسف ليضل الناس بفكره وبدعته وصار

(١) أورده الألبانى فى الصحيحة برقم ٢٨١.

بما يبتدعه وبتفكيره المضل صاحب وزعيم ومنظرٌ لأتباعٍ يقودهم إلى جهنم يوم القيامة فهو أشدهم عذاباً.

ثم (ممثل من الممثلين) وهو يتساوى مع إمام الضلالة لأن الذى ينتج أو يمثل أفلاما يعلم أنها تهدم فى شرع الله تعالى وقيم الإسلام، وتدعو إلى العرى والفحشاء والمنكر سواء أكانت الدعوة صريحة أم ضمنية وخفية مُستترة أم ظاهرة، فهو إمام ضلالة، وخاصة من يسمونهم أبطال الدراما.

وكلمة أخيرة بالنسبة لهذه المهنة: وهى أن من يصلى ويحج ويفعل الخير رياءً. وسمعة حتى يتحدث الناس عنه ويشيرون اليه قائلين: أنه من أهل الخير والصلاح والتقوى فهو فى النار، وإن كان من العلماء الذين وصلوا بعد إجتهد إلى أعلى مراتب العلم والمراكز العلمية، لأنه إجتهد وحصل العلم ليقال أنه عالم فهو معذب على الصراط، وهو جسر على النار يعبر عليه المسلمون إلى الجنة ويسقط المنافقون منه إلى النار ولا يعبر هذا العالم مثل هؤلاء الذين تعلموا منه الإسلام والتزموا بتماليمه إبتغاء مرضاة الله؛ وهو فى جهنم لانه ما تعلم وما علم إلا طلباً للشهرة، بالرغم من أنه قد هدى الله بعلمه غيره.

وانتم أيها الفنانون عامة والممثلون خاصة: هل لكم من هدف أعلى ورأسمال تسعون إلى تحصيله وتحافظون عليه غير الشهرة، إن الشهرة هى طلب السمعة والرياء من الجمهور فأنتم تعبدون الجمهور وهذا شرك، فإذا كان العالم طالب الشهرة والمركز والمجد والمال فى جهنم رغم أنه يرشد الناس غالباً إلى الخير، فما بال الذين جعلوها غايتهم العليا، ثم هم لا يرشدون فى أغلب أعمالهم إلى الخير، بل إلى الشر والمنكر والفحشاء؟!.

نسأل الله تعالى أن يتوب على أهل الخير منهم إنه هو التواب الرحيم.

إن هذا الحديث الشريف يقرر مصير صنف من الممثلين، بيد أن الأحاديث التى سبقته تدل على أن انتشار هذه المهنة وظهورها فى الأمة الاسلامية دليل على قرب نزول عذاب القيامة الصغرى ، نسأل الله تعالى النجاة والسلامة.

(٥١) أفلام الكرتون التى يكلم السباع فيها الانس دليل على أننا فى آخر الزمان

عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشرائه نعله ويخبره فخذها بما أحدث أهله من بعده﴾ (١) ورواه ابن حبان بلفظ آخر: قال رسول الله ﷺ (الا إن من اشراط الساعة كلام السباع للانس، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الانس، ويكلم الرجل نعله وعذبة سوطه*) ويخبره فخذها بما يحدث أهله من بعده).

وفى رواية لاحمد ان النبى ﷺ قال: (آيات تكون قبل الساعة والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله او سوطه او عصاه بما أحدث أهله من بعده).

وفى رواية أبى هريرة (قال : جاء ذئب إلى راعى الغنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال: فصعد الذئب على تل فألقى وإستدفر فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى؟

فقال الرجل : تا الله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاأ إلى النبى ﷺ فأسلم وأخبره فصدقه النبى ﷺ ثم قال، النبى ﷺ (انها اماراة من امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)(٢).

(١) رواه أحمد فى مسنده والترمذى والحاكم فى المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم ووافقة الذهبى.
(*) عَزَبَةُ السَّوْطِ هى كتلة الشعر الموجودة فى نهاية ذيل البقرة وكانوا يجفّفونه ويتخذونه سوطا يضربون ويجلدون به، وهذا تشبيه للميك أو لاقط الصوت الذى هو عبارة عن سلك تمتد نهايته كتلة مستديرة هى الميك الذى يوضع أمام فم المتكلم أو الخطيب وكأنه يكلمه.

(٢) رواه الامام احمد وقال الهيثمى رجاله ثقات. وهو فى مسند أحمد برقم

والذى أقوله والله تعالى أعلم ان كلام السباع للإنس هو ما نشاهده من أفلام الكرتون بدليل ان هذا الخبر جاء ضمن عدد من الأخبار علمنا أنها جميعا من الاختراعات السمعية الحديثة وكلام السباع للإنس فى أفلام الكرتون مجرد تقنية تنتجها اجهزة سمعية دقيقة والآن يستخدمون الكمبيوتر حتى تكون حركات فم السبع متوافقة مع الصوت المنطوق المسموع فيبدو للمشاهد السبع يتكلم على الحقيقة.

وقد جمع رسول الله ﷺ الخبر عن كلام الرجل لعزبة سوطه (الميكرفون ومكبر الصوت) وكلام فخذ له (المحمول أو جهاز التسجيل) وغير ذلك من الاجهزة السمعية التى تستخدم كلها فى صناعة أفلام الكرتون ومن ثم جمعها معا ودل على أنها تحدث فى آخر الزمان وقالها بمناسبة كلام الذئب للرجل وأقسم ﷺ على هذا لغرابته على سمع الصحابة باعتبارها من الامارات فى زمن العجائب التى تسبق الآيات وتدل على قرب وقوعها، والله تعالى أعلم.

ومن الاجهزة البصرية ذات الشأن الخطير فى حياة الإنسان اليوم هى الاجهزة العدسية ومنها الميكروسكوب المكبر أو المجهر، ثم التلسكوب المقرب وهو سبب التقدم فى علم الفلك إذ تمكنوا من رؤية الأجرام البعيدة كأنها قريبة، وفى هذا قال رسول ﷺ (... وأن يرى الهلال قبلا أو الشيء القبل هو الذى بين يدي المتحدث ومعلوم أن الناظر فى التلسكوب إلى القمر) أو الشيء البعيد يخيل إليه أنه لومد يده من خلف المنظار لأمسك بما يرى إذ يراه قريبا منه مع بعده الشاسع فهذه الأمانة تخص التلسكوب.

(٥٢) انتشار الصحف بظهور المطابع ومصانع الورق والتوسع فى نشر الكتب والمجلات وأخبر هذا كله شبكة الانترنت

قال تعالى - (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) وهى الأمانة العاشرة من اثنتى عشرة إمانة أكثرها حدثت فى الدنيا كما سنرى.

ومعنى النشر لغة التشعب والبسط والتوسع والتصميم ومنه الانتشار بمعنى التعميم والذوبوع وجاء فى حديث الفزع يوم الدين (.... وعن تطاير الكتب...) فهى تطاير ليصل كل كتاب ليد صاحبه فالكتب يوم الدين تتطاير وتسلم لأصحابها ولا يعلم ما فى الكتاب إلا صاحبه، أما النشر فيتضمن اعلان ما فى الصحيفة للجميع حتى يعلموا جميعا ما فى الصحيفة الواحدة.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ فهو يطابق لغويا انتشار الصحف فى زماننا

المعاصر وهو ما يطلقون عليه الاعلام المقروء الذى له دور خطير فى توجيه الناس: إما إلى هدى وإما إلى ضلال. ومن الواضح غلبة الضلال فى الصحف على الهدى.

فاذا تذكرنا أنهم كانوا يكتبون قديماً على رقائق الجلد والعظام وشققات من الفخار ثم بعد ذلك على صفحات من الورق المصنوع يدوياً على نطاق ضيق ثم حدث التوسع حديثاً فى طباعة الكتب والجرائد وبعد اختراع المطابع التى تطورت وأصبحت تتم بالكمبيوتر وبأساليب سريعة جداً تستوعب طباعة الملايين من الصفحات فى ساعات قليلة وكثر الكتاب والادباء والقراء دل كل هذا على ان نشر الصحف هو من أشراط الساعة وأماراتها. وأكد هذا قول رسول الله ﷺ، فى حديث طويل جاء فيه (وَفُشِّ الْقَلَمُ...) وفى رواية لأحمد (وظهور القلم...) (١) أى تكثر الكتابة والصفحات المكتوبة والقراء وعن عمر بن تغلب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن من أشراط الساعة أن يكثر التجار ويظهر القلم) (٢) وكل هذا حدث فى عصر واحد إذ فاض المال بعد ان صار ورقاً يطبع وكثرة التجارة وظهور القلم علامة النشر والطباعة ورفع العلم لان اكثر ما ينشر ويكتب ويقرأ ليس من الهدى بل من الضلال اما ذكر نشر الصحف فى آخر الإمارات الواردة فى سورة التكوين فهذا يدل على أحدث صورة معاصرة للصحف باعتبارها نشرًا للمعلومات، وحيث ان الانترنت اوسع قاعدة معلوماتية يمكن عن طريقها الإطلاع على علوم وصحف ومصادر معلوماتية وعلمية كالجرائد والمجلات والجامعات والمكتبات تعد بملايين المصادر من خلال جهاز صغير فى المنزل . وحيث ان هذه الشبكة تعتبر اعظم وأوسع وأحدث نشر للمعلومات فان تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠ / التكوين) يصدق على شبكة الانترنت اكثر من أى مصدر اعلامى آخر وان لم يكن هذا التأويل مانعاً لصدقه على غيره، ولكن نظراً لأن هذه الشبكة أحدث نشر

(١) رواه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود والحاكم وصححه وهو فى مسند احمد برقم .

(٢) رواه ابو داود الطيالسى فى مسنده عن اتحاد الجماعة ج٢ ص ١٠٩ .

للمعلوماتية، وهذا الشرط آخرها وروداً في سياق سورة التكويد، فإن التأويل بشبكة الانترنت أصدق وأكثر مطابقة من أى مصدر آخر للعلم والمعرفة والإعلام والنشر. وذلك تبعاً للملاحظة أن هذه الأمارات مرتبة في السورة حسب وقوعها في الزمن.

ومن ثم يصح القول بأن تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ خبر بامارة من الإمارات وهي نشر الصحف والمجلات بعمامة والنشر عن طريق الانترنت بخاصة. وبعدها أمارة كسط السماء وهو ما يطلقون عليه ثقب الأوزون وهو مايزداد خطره يوماً بعد يوم. وهي ظاهرة بيئية تعاصر في الزمان التوسع في نشر الصحف الذي أخذ أوسع مدى له في شبكة الإنترنت. التي جعلت أهل هذه الحضارة المادية يظنون أنهم قادرون على العلم بكل شيء ومعرفة كل شيء، وهذا يدل على أنهم الجيل الذي تقوم عليهم القيامة الصغرى.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.

الفصل السابع

التقدم فى علوم الحياة والطب والجراحة
والهندسة الوراثية وإستنساخ الكائن الحى
من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٧) حكم الإسلام فى تغيير خلق الله تعالى:

قال تعالى ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَتَّبِعَنَّ آذَانَ الْإِنْعَامِ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ۝١١٩ يَعْزِبُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْزِبُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠ أُولَئِكَ مَأْرَاهِمُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝ (النساء ١١٧-١٢١) عن الضحاك (قال المشركون إن الملائكة بنات الله وإنما نعبدنهم ليقربونا إلى الله زلفى قال: اتخذوهن أربابا وصوروهن صور الجوارى فحلوهن وقلدوهن) وعن ابن عباس (وإن يدعون الا شيطانا مريدا قال: مع كل صنم شيطانة).

وعن مقاتل بن حيان (وإن يدعون من دون الله الا شيطانا) يعنى : إبليس. وعن سفيان (وإن يدعون من دونه الا شيطانا مريدا) قال: ليس من صنم إلا فيه شيطان) وعن قتادة فى قوله (مريدا) قال تمرد على معاصى الله وأما قوله (لا اتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) قال: يقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة).

وعن عكرمة فى قوله تعالى (ولا ضلنهم ولها منينهم ولا مرنهم فليتبكن آذان الانعام)، قال: دين شرعه لهم ابليس كهيئة البحائر والسوائب) وعن قتادة (قال التَّبْيِكُ فى البحيرة والسائبة كانوا يُتَّبِكُونَ آذانهم لطواغيتهم) وتبنيك الآذان، قطعها لتمييزها عن غيرها أو يشقونها فيجعلونها بحيرة.

هذا فى التبتيك الذى كانوا يميزون به الأنعام التى ينذرونها لاصنامهم وطواغيتهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ فقد إختلفوا فيه، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما (فليغيرون خلق الله قال: دين الله) يقصد الفطرة قال الضحاك (فليغيرون خلق الله) قال: دين الله وهو قوله: (فطرة الله التى فطر الناس عليها).

وفسر آخرون التغيير بالإخصاء الذى يحدثونه فى ذكور الانعام، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كرهه ؟ وقال فيه نزلت (ولأمروهم فليغيرون خلق الله) وربط المفسرون بين الآية وبين تحريم النبى ﷺ تغيير خلق الله فيما رواه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه (قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله).

وكذلك مارواه البخارى ومسلم عن لعن الواصلة والمستوصلة فعن أسماء قالت: أنت النبى ﷺ امرأة فقالت: إن لى ابنة عروسا وأنه أصابتها حصبة فتمزق شعرها، أفأصله؟ فقال رسول الله ﷺ: لعن الله الواصلة والمستوصلة).

لكن تغيير خلق الله أخذ فى عصرنا هذا أبعاداً أعمق وأوسع وأخطر، حتى أن كل الأعمال التى دلت النصوص السابقة على أنها موجبة للعنة الله تعالى لأنها تدخل فى طاعة الشيطان لعنة الله بتغيير خلق الله تعالى، إنما هى لعنة لا توجب الخلود فى النار بالضرورة، أما فى عصرنا، فإن التغيير فى خلق الله تعالى الذى يتم بتأثير الإكتشافات العلمية والمخترعات الحديثة فى مجالات الطب وعلوم الحياة ليس موجبا للعنة الله تعالى فحسب، وإنما هى من موجبات اللعنة الأبدية التى لا تكون إلا لمن يكفر كفرا بواحا مخلداً صاحبه فى النار.

فإستخدام الباروكة بلبسها الأصلع ليخفى صلته وتلبسها المرأة تتجمل بشعر أشقر مرة وأسود مرة يتضمن اعتراضا على قدر الله تعالى، وهو كفر بالقدر، الامر الذى لعن الله من أجله الواصلة والمستوصلة والواشمات والمتنمصات والمتفلجات، فللعنة من يلبس الباروكة لا توجب الخلود فى النار، أى لا تحكم عليه بالكفر، وتأخذ

وإذا كان الحكم بمعنى السلطة فمعناه الوصول إلى كراس البرلمانات والمجالس النيابية وآخر مثل لهذا هو شراء أحد السياسيين الاتراك ويدعى يلماز سيع مقاعد باستقاله أصحابها من الأحزاب المنافسة لحزبه لكي تصبح حكومة يلماز هذا مؤيدة من المجلس بأكثر من نصف الأصوات بصوت واحد حسب الدستور فتسقط حكومة حزب الرفاه وهي التي كانت تريد ان تطبق حكم الله تعالى، وكأن هذا التعبير في الحديث خاص بهذه الحادثة وما يماثلها وهو كثير.. مع أن تجارة يلماز هذا هي الدعارة والمخدرات والقمار والملاهي الليلية، والنتيجة ان هذه الاحداث تدل على أنه لم يبق للساعة كثير لبث كما نص الحديث. وهذا تعبير يدل على القرب الشديد للساعة والدخول في عصر الآيات. فهذه الأمارات كلها حدثت متعاصرة مع علو البيان.

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال (لاتقوم الساعة حتى يُجعل كتاب الله عارا ويكون الاسلام غريبا.. إلى أن قال... وحتى تُبنى الغرف فتتطاول؟) (١) أى تبنى مجموعة من الغرف، ثم يبنى فوقها مجموعة أخرى وهكذا حتى تصبح البناية مرتفعة او تصبح جبلا وهو ما نُسميه هذه الأيام بالادوار التي بكل واحد منها مجموعة من الشقق وصدق رسول الله ﷺ الذي بين فاحسن البيان وبلغ بأبلغ لسان.

ولولا المعدات الثقيلة والأجهزة الكهربائية الحديثة لما استطاع الإنسان أن يبنى الجبال الشاهقة التي يسميها عمارات متعددة الطوابق، إذ لولا المصاعد الكهربائية لما ارتفع البنينان، وكذلك لولا شبكات المياه والصرف الصحي. والتطاول في البنين لايعنى ارتفاعه فقط بل يعنى كذلك التنافس في زخرفته وتجميله من الخارج، وكذلك من داخل الاكثان أى الشقق بما يعرف اليوم بالديكور، وهي أمور سبق أن وصلت إليها البشرية من قبل حتى غزو الفضاء وكل مظاهر الحضارة الكهرومغناطيسية كما ذكرنا هذا في الجزء الأول عن عاد الأولى باعتبار أمريكا هي عاد الثانية.

(١) رواه ابن ابي الدنيا وأبو نصر السجزي في الآبانة واورده المنقى الهندى بكنز العمال وقال لا بأس بسنده عن انحف الجماعة ص ٢٨ للتبجى.

فمن التقدم التقنى العمرانى والعناية بالديكور قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٣-٣٥/ الزخرف) فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِصَّةٍ﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿وزخرفا﴾ اليس هذا هو ما يعرف الآن «بالديكور» وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا﴾ اليست المعارج فى اللغة هى ما يُعْرَجُ بها أى يصعد بها إلى أعلى، ويظهرون أى يعتلون إلى الظهر أى سقف المبنى أو أعلاه، اليست هذه اذن المصاعد الكهربائية وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ولبيوتهم أبوابا﴾ وما الجديد أن يكون للبيوت التى بها معارج يظهرون عليها أبواب؟ المقصود إذن أن نكون لها أبواب مخصوصة هى أبواب كهربائية أو أبواب المصاعد أو أبواب مزخرفة غير عادية.

وَاليس جوهر فن الديكور هو «حسن المنظر»؟ فإذا كان بداخل الشقة أو الفيلا أو المكتب، يكون ترتيب الأثاث وتناسق ألوانه بحيث يرتاح النظر إليه، إذ يكون كل شئ متناغم مع سائر الأشياء الأخرى فى المكان، وبعض الناس يفتنهم ذلك حتى أنه ربما يلجأ إلى الكسب من الحرام لكى يعيش فى مثل هذه الأجواء، وتلك هى المساكن التى يرضاها الناس وتقعدهم عن الجهاد(.. ومساكن ترضونها...) والكفار يفتخرون دائما على المؤمنين ويعيروهم بأنهم أقل فى مستوى المعيشة من حيث المسكن اولا ثم اللبس ثم المأكل ومن حيث عمارة المدن والتقدم المدنى ويقولون لهم لو كان دينكم الاسلام هو الحق لما كنتم أقل منا لحاجا فى الحياة ومن ثم رد الله تعالى عليهم فقال تعالى ﴿وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٢) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِءْيَا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ (٧٣-٧٥ مريم) فقولهم: (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) هو ذكر لتكبر ولتعالى الكفار على المسلمين بما عندهم من تقدم حضارى ومدنى ليس عند المسلمين، وقولهم لو كان الاسلام هو الحق والعلمانية هى الباطل ماكان هذا حالكم ولما كان هذا حالنا.

والرد عليهم: أن الله تعالى أهلك الذين من من قبلكم الذين كانوا أكثر منكم حضارة وتقدمًا وغنى ورفاهية وأثناً وديكوراً وهذا معنى كلمة (رَبِّيًا) لأن جوهر فن الديكور هو جمال الآثا وتناسق ألوانه وأوضاعه مع الجدران حتى يروق للعين الناظرة. أى جمال المنظر فهو فن تحسين المنظور أى المرئى وتجميله، ومن ثم قال تعالى ردا عليهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورعبا / ٧٤ / مريم)

(٥٤) تخطيط المدن ونسف الجبال وعمل الانفاق من أمارات الساعة:

روى الطبرانى فى الكبير بسنده مرفوعا (قال رسول الله ﷺ: ثلاث إذا رأيتهن فعند ذلك تقوم الساعة: خراب العامر وعمار الخراب.. الى آخر الحديث) وقال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تُتخذ المساجد طرقا فلا يُسجد لله فيها) (١) وهذا قد تحقق باعادة تخطيط المدن وهدم الأحياء القديمة لشق الطرق الواسعة فيها وبناء أحياء جديدة وبطبيعة الحال هدم المساجد التى فيها ليحل محلها الطرق وتعمير الخراب، وقد رأيت هذا فى مدينة الرياض وغيرها من مدن السعودية إذ هدمت جميع الأحياء المبنية بالطين ودفعوا للناس تمويضات وحلّت محلها الطرق الحديثة الواسعة. وإعادوا التخطيط فخرّبوا العامر وعمرّوا الخراب، وهذا يحدث فى كل مكان فى الدنيا.

وفى حالة إعتراض الجبل للطريق ينسف «بالديناميت» ويُنقل رُفاته بالمعدات الثقيلة (البلدوزر والشاحنات الثقيلة الضخمة) إلى خارج المدينة ليصبح أكواما من الصخور وهذا مانبأ به الله تعالى فى القرآن الكريم بقول تعالى (وإذا الجبال نُسِفَتْ) وقوله تعالى (وإذا الجبال سُرَّت) وهذا فى الدنيا وهو ما حدث فى كل المدن التى تتخللها الجبال فى جميع أنحاء العالم وبصفة خاصة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وجاء فى الحديث الذى تذاكر فيه سيدنا المسيح مع سيدنا موسى ومع سيدنا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود.

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام أخبار الساعة قول المسيح عليه السلام لهما (ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم) أى مد البساط، وهذا ما يحدث بعد نسف الجبل إذ يحل محله الطريق المرصوف الممتد مد الأديم.. والأديم هو الجلد، والمعنى ان تبسط الأرض كبسط الجلد عند دبغه.

وينطبق هذا الوصف أيضا على عمل الأنفاق فى بطون الجبال لمد الطريق فيها أيضا مد الأديم لأنه يتم بنسف باطن الجبل، ولكن مع هذا ورد ما يدل صراحة على ما نطلق عليه الانفاق باسم «الانقَاب» فى مكة والمدينة حيث النقب هو الكلمة الأكثر دقة وأصح من النفق لأن الإنسان هو الذى نقب الجبل، فتسميته بالنقب أولى. وتشتهر مكة المكرمة بالانقَاب الكثيرة الآن التى تربط أحياءها بعضها ببعض عبر الجبال.

روى نعيم ابن حماد فى الفتن بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال (محرم على الدجال ان يدخل نقاب المدينة)^(١) وروى نعيم أيضا بسنده عن أبى بكره عن النبى (ليس من بلدة إلا يبلغها رعب الدجال إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح)^(٢).

وروى نعيم كذلك بسند مرفوع قال (يأتى سباخ المدينة ومحرم عليه أن يدخل نقابها فيخرج إليه كل منافق ومنافقه ثم يولى الشام)^(٣) وروى نعيم أيضا بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الدجال لا يبقى من الأرض شئ إلا وطئه، وغلب عليه الامكة والمدينة فإنه لا يأتياها من نقب من أنقابها، إلا لقيه ملك مصلتا بسيفه حتى ينزل الظريب الأحمر...) ^(٤) إلى آخر الحديث.

هذه الأحاديث جميعا تثبت أنه عندما يأتى الدجال ستكون مداخل مكة والمدينة أنقَابا وهى لم تكن كذلك إلا فى العشرين سنة الأخيرة بعد نسف الجبال ومد الطرق مكانها مد الأديم وكذلك نسف باطن الجبال فى مكة وعمل ما نطلق عليه الانفاق التى ليست سوى النقاب التى نقبها الإنسان بنسفه بالديناميت ثم نقلها بالمعدات الثقيلة خارج المدينة فتحقق الشرطان (إذا الجبال نسفت) و(إذا الجبال سِرت).

(١) نعيم بن حماد / الفتن / حديث رقم ١٥٨٣. (٢) نعيم بن حماد / الفتن / حديث رقم ١٥٨٤.

(٣) نعيم بن حماد / الفتن / حديث رقم ١٥٨٥. (٤) نعيم بن حماد / الفتن / حديث رقم ١٥٧٢.

(٥٥) شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي في مكة وارتفاع المباني على الجبال من إمارات الساعة

ولولا تقنيات البناء الحديثة وتقنيات المياه والصرف الصحي لما أمكن أن ترتفع المباني فوق جبال مكة.

أما عن شبكات المياه وشبكات الصرف الصحي الحديثة التي لولاها لما تمكن الإنسان من تخطيط المدن الكبيرة والارتفاع بالبنائات الى الطوابق المتعددة، هذه الشبكات جاء ذكرها باعتبار أنها من إمارات الساعة في المدن بعامة وفي مكة بخاصة، فيما أخرج ابن ابي شيبة في مُصنّفه. عن يعلى بن ابي عطاء عن أبيه قال (كنتُ أخذًا بلجام دابة عبدالله بن عمرو فقال: إذا رأيت مكة قد بُعِجَتْ كظائم، ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك) (١).

والبعج لغةً هو الشق والفتح، قال الخليل: بَعَجَ بَطْنُهُ بالسكين أى شجّه وشقه وخضخضه (٢). وكظم: أصل واحد يدل على الإمساك والجمع للشئ والكظم تخرج النفس يقال أخذ بكظمه كأنه منع نفسه أن يخرج. والكظائم خروق تحفر يجرى الماء فيها من بئر إلى بئر، فهي اذن قنوات مغطاة باطنية في الأرض وتصل من مكان إلى مكان في باطن الأرض وهذا الوصف ينطبق على مانسميه الآن شبكات المياه النقية وشبكات الصرف الصحي إذ هي مواسير تنتقل فيها المياه من موضع الى موضع وهي مكظومة أى مدفونة فتمنع المياه من الخروج من هذه المجارى والمواسير، إلّا عند الطلب.

ومن ثم فإن معنى هذه العبارة الواردة في الحديث عن مكة في آخر الزمان (إذا رأيت مكة قد بُعِجَتْ كظائم) أى شُقَّتْ بطونها وشُجَّتْ وخُضْخِضَتْ أى نزع مافى هذه الشقوق من أتربة، وفرغت منها لتحل محلها مواسير المياه المضغوطة داخلها

(١) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنّفه. عن اتحاد الجماعة للشيخ التويعرى ج٢ ص ١٧٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور.

فتكون كظائم كما يكتنم الحى نفسه داخل رئيته لأن المكظوم هو المضغوط وكذلك ينطبق هذا الوصف على الانفاق فى باطن جبال مكة، إذ تم شق باطن هذه الجبال وفتحها وخضخضتها بإخراج ماتم نفسه فى باطنها من صخور ثم وضعت فيها «التوربينات» وهى المراوح الضخمة لتجديد الهواء فيها فأصبحت بأصواتها أشبه ماتكون بالنفس المكظوم، أى صارت كظائم لانفاسها بالمعنى الأول. ولامانع من القول أن هذا الوصف يصدق على الاثنين أى على الشبكات وعلى الانفاق. ويؤكد هذا قوله عن امارة مصاحبة لهذا وهى علو البناء رؤوس جبال مكة وليس سفوحها فقط. وهذا كله قد حدث فى زمن واحد لإرتباطهما تقنيا، إذ لو لاشبكات المياه والصرف الصحى لما أمكن إرتفاع المباني فوق رؤوس الجبال.

أما قوله : (فإعلم ان الامر قد أظلك) فهى دليل على بدء عصر الآيات وان الدنيا آذنت بانتهاء. فهذا كله من إمارات الساعة القريبية والمباشرة لها لان معنى أظلك: أى صار فوق رأسك.

ولم يكن ليتم البناء على رؤوس الجبال الابهذه التقنيات الحديثة والمعاصرة فى العمران حتى قامت القصور الملكية عمارات عالية متعددة الأدوار فوق رأس جبل أبى قبيس المطل على الحرم من ناحية الصفا، وقد نبأ الوحى بهذا الحدث باعتباره من أمارات الساعة القريبية فيما رواه ابو الوليد الازرقى فى أخبار مكة عن يوسف بن ماهك قال كنتُ جالسا مع عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما من ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت مشرف على أبى قبيس فقال: أبيتُ ذاك؟ قلت: نعم، فقال: إذا رأيت بيوتها قد علت أخشبيها وفجرت بطونها أنهارا فقد أوفى الأمر^(١) والآن علت بيوتها الأخشبين وهما الجبلان العظيمان اللذان يحيطان بمكة، وتشرب مكة الآن من مياه التحلية المنقولة عبر مواسير طولها أكثر من خمسين ميلا من محطة تحلية على شاطئ البحر الأحمر وهى أنهار تجرى فى بطون مكة، وهذه الأنهار تدفع بفعل الضغط بالمضخات الكهربائية لترتفع إلى قمم الجبال حيث البيوت

(١) عن إنحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٧٢.

والعمارات. وهذا تأويل قوله: ﴿وفجرت بطونها أنهاراً﴾ أي ماءً عذباً يجري في بطونها داخل المواسير بفتح الصناير. وقوله رضى الله عنه: (فقد أزعج الأمر) أي قرب وبدأ أمر الساعة أي أماراتها القريبة.

وروى الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: (سيخرج أهل مكة منها ثم لا يعمرونها (أو لا تعمر إلا قليلاً) ثم تعمر وتنتلى وتبنى ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً) (١).

وقد حدث هذا في هذا العصر لأن المقصود بأهل مكة في الحديث هم قریش وقد خرجوا منها وانتقلوا إلى الأحياء المنشأة حديثاً حول مكة القديمة، أما الذين يعيشون في مكة القديمة وفوق جبالها وبين شعابها، فهم الوافدون للحج والعمرة إذ أصبحت المنازل والبساتين والعمارات حول الحرم كلها فنادق للحجاج والمعتمرين، ويسكنها العمال وغير القرشيين بل غير العرب وغير أهل الجزيرة أي الذين وفدوا وهاجروا من الهند والسند وجاوة وإفريقيا وغيرهم ممن يعملون في خدمة الحجاج وفي الأشغال اليدوية وأكثرهم من الخنزير ولا يعيش من قریش بين شعاب مكة إلا القليل النادر. بل إن توسعة الحرم الشريف شغلت أكثر أرجاء مكة في العهد النبوي فلم يبق منها مسكوناً مأهولاً إلا قليل. ولا يسكن هذا القليل أهل مكة أي قریش، وإنما أكثره فنادق الحجاج والمعتمرين والعاملين فيها وفي الحرم. أما قریش فتعيش الآن في فلل في أحياء حديثة مخططة خارج مساحة مكة القديمة، وفي مدينة جدة أيضاً.

(٥٦) رصف الطرق بالزفت الأسود أمانة على قرب وقوع العذاب بأهل الأرض بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى

ومع هذه الأمانات أمانة تخص الطرق، وهي مع سائر الامارات من مقدمات وارهافات الزلزال أو العذاب الذي سينزل بأهل الأرض، هذه الإمارة هي رصف

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو يعلى قال الشيخ التبرجى فيه (قال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبنيته رجاله رجال الصحيح) ج ٢ ص ١٧١.

الطرق بالزفت الأسود المستخرج من البترول، يدل على هذا ما أورده المتقى الهندى فى كنز العمال (عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا ظهر السواد فى الأرض انزل الله بأهل الأرض نائبة). قلت يارسول الله: وفيهم أهل طاعة الله؟! قال: نعم، ثم يصيرون إلى رحمه الله) (١).

ماذا يكون السواد الذى يظهر فى الأرض إلا ما يسمى بالزفت الذى يرصفون به الطرق. حتى أنك لا ترى فى مدينة عظيمة المساحة مثل القاهرة إلا أرضا سوداء. وكذلك كل مدن الدنيا وكثير من قراها ومن ثم أصبح الظاهر فى أعين أكثر البشر هو السواد.

وماذا تكون النائبة التى تنزل بأهل الأرض كل أهل الأرض أى البشر بما فيهم أهل طاعة الله تعالى إلا زلزال الأرض العظيم.؟! وعذاب يوم القيامة؟! اللهم قنا عذابك يوم يتزل بعبادك. آمين.

(١) كنز العمال للمتقى الهندى حديث ٣١٤٥ ح ١١ ص ٢٥١.

الفصل السادس

التقدم فى التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف الطرق وشبكات المياه من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٣) التصريح فى السنة بالتقدم العمرانى المعاصر

لقد جاءت الإشارة فى كتاب الله تعالى عن تخطيط المدن وتجميلها وزخرفتها وتزيينها باعتبار ذلك كله امانة على قرب مجيء العذاب ووقوع الزلزال والهدم، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس / ٢٤) وجاء فى حديث الإيمان والإسلام والإحسان ذكر امانة من امارات الساعة وهى (وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان)^(١) وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لأنقوم الساعة حتى يفيض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن وحتى يتطاول الناس فى البنيان)^(٢).

وروى الطبرانى فى الكبير عن ام المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت قال نبي الله ﷺ ذات يوم (مأنتم إذا مرج الدين وسُفِكَ الدماء وظهت الزينة وشرف البنيان؟)^(٣).

وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) صحيح مسلم ك/ الإيمان، ب/ بيان الإيمان والإسلام والاحسان (١/ ١٥٨) / النووى.

(٢) رواه البخارى فى الصحيح ك/ الفتن.

(٣) رواه الطبرانى قال الهيثمى: ورجاله رجال الصحيح وقد رواه أحمد قال الشيخ التوبجرى فى تحاف الجماعة ورواه ثقات حد ٢ ص ١٦٢.

تُسَلِّمُونَ﴾ (النحل / ٨١) وقد اتم الله تعالى نعمته على الناس لعلهم يسلمون بأن جعل لهم في هذا العصر من المباني الشاهقة الارتفاع كالجبال أكنناً أى شققاً لأن الشقة كن والشقق اكنان.

يدل على شيوع الجبال أسلوباً للسكان في المدن تلك التي يسمونها عمارات أحياناً أو بنايات أو ناطحات سحاب مارواه ابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه أنهم سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟!

فقال: لقد سألتونى عن امر ما يعلمه جبريل ولا ميكائيل، ولكن إن شئتم أنبأتكم بأشياء إذا كانت لم يكن للساعة كثير ليث: إذا كانت اللسان لينة والقلوب جنادل، وظهر البناء على وجه الأرض واختلف الأخوان، فصار هواهما شتى وبيع حكم الله بيعاً^(١) والشاهد فى هذا الحديث ظهور البناء على وجه الأرض، ومعاصرة الإمارات الأخرى فيه لهذه الامارة.

وروى ابن أبى شيبة أيضاً عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: إن من إقتراب الساعة: أن يظهر البناء على وجه الأرض وأن تقطع الأرحام وأن يؤذى الجار جاره^(٢).

وظهور البناء على وجه الأرض يعنى كثرته وارتفاعه معاً، وهذه الامارة العمرانية يصاحبها امارات سلوكية خلقية وسياسية واجتماعية هى لبن اللسان مع موت القلوب وقسوتها وهى مايعبرون عنه فى العصر الحديث بأخلاق (الجنل مان) المتمثلة فى عبارات رقيقة تقال فى كل مناسبة مع أن الذى يقولها مجرم وسفاك للدماء معتد أثيم، والأخوان من بيت واحد، لكل منهما طريق مختلف بل ومعاكس ومضاد للآخر كان من أهالى مركز دكرنس محافظة الدقهلية رجل له إبنان معتقلان فى عهد جمال عبد الناصر: أحدهما لأنه من الأخوان المسلمين والآخر لأنه شيعى.

(وبيع حكم الله بيعاً) إن كان الحكم بمعنى الفتوى فمعناه ضلال علماء هذا الزمان إذ يفتنون بما يروق للحكام مقابل المنصب، والمال.

(١)، (٢) رواهما ابن أبى شيبة. عن إنحاف الجماعة / جـ ٢ / ص ٢٦.

جراحة التجميل نفس الحكم وأكثر، فهذه التي تغير حجم أنفها بالتصغير أو التكبير تعترض إعتراضاً صريحاً على أمر الله وقدره ومشيتته، وهو يكاد يكون كفراً بواحاً، وهو طاعة صريحة للشيطان لتغيير خلق الله تبارك وتعالى، لأنه تغيير في أعضاء رئيسية في الوجه لتغيير الصورة التي خلقه الله تعالى عليها وقد قال تعالى للإنسان: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الإنفطار / ٨) وقال تعالى أيضاً ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران / ٦) فكيف يجزئ مسلم على تغيير خلقته وصورته التي شاء الله تعالى أن يكون عليها معترضاً عليها معيها لها محاولاً اصلاحها وتعديلها ثم يزعم بعد هذا أنه أسلم وجهه لله تعالى؟ إنه يكون بذلك على حافة الكفر والعياذ بالله.

كذلك يمكن اعتبار نقل الأعضاء الآدمية من شخص إلى آخر نوعاً من تغيير خلق الله تعالى. لأنه إذا كان نقل الشعر من امرأة إلى أخرى تغييراً في خلق الله تعالى إستحقت فاعلته اللعنة، والشعر عضو خارجي، فإن حكم اللعن ينسحب أيضاً على من يستعير من غيره عضواً حيواً داخلياً، إذ هو أيضاً تعبير واضح صريح عن رفض قدر الله تعالى وعدم الصبر، والصبر كما هو معلوم نصف الإيمان.

فإذا كان التبرع من حي إلى حي باختيار المتبرع، فإن الضرر الذي يقع على المتبرع بعد ذلك يدخله في مرتكب الأعمال الانتحارية أو إلقاء النفس في التهلكة وكلاهما منهي عنه، فهو رفض لقدر الله تعالى من الاثنين، وهو حرام من هذا الوجه.

أما نقل الأعضاء من الأموات إلى الأحياء فهو لا يصلح من الناحية الطبية، إذ لا بد من نقلها من جسد حيٍّ به قلب ينبض ويضخ الدم في الأعضاء، ومن ثم ابتدعوا بدعة موت الدماغ، مع بقاء الجسد حياً باستمرار نبض القلب، وينص القرآن الكريم على أن حقيقة الإنسانية وجوهرها في القلب، والفؤاد في القلب واللب في الفؤاد والفقه بالقلب والتعقل بالقلب فمن كان قلبه ينبض فهو حي ولا يجوز قتله ولا يجوز نقل أي عضو منه حتى لو كان دماغه ميتاً.

وقد أدى هذا إلى تكوين تجارة محرمة تُديرها عصابات إجرامية تعمل على تنويم دماغ بعض المرضى مع بقاء قلوبهم حية نابضة لتستخدم هذه الأجساد قطعاً للغيار تباع تجارة رابحة كتجارة المخدرات.

وقد جاء ذكر هذا باعتباره أحد الأعمال الإجرامية التي تفشت في أمريكا قبل هدمها بالزلازل عندما وصفها يوحنا اللاهوتي بقوله (ويكى تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضاعتهم لا يشتريها أحد فيما بعد، بضائع من الذهب والفضة)، ثم يمضى في ذكر البضائع حتى يقول (وأجساداً ونفوس الناس)^(١) إشارة إلى وجود عصابات في أمريكية تتاجر في الأعضاء البشرية.

ولأنه نوع من تغير خلق الله تعالى الذى يخرق سنن التوازن والتناسق بين أعضاء الكائن الحى فإن الجسم يرفضه وما المحاولات المستميتة من الأطباء لإبقاء العضو داخل الجسم إلا تأجيل موت المريض ثم تعود الحالة المرضية من جديد.

(٥٨) الهندسة الوراثية والتدخل لتغيير خصائص الخلية أخطر تغيير لخلق الله تعالى

وذلك لأن التغير يحدث فى تكوينات الخلية فهو ليس تغييراً فى عضو ظاهرى أو عضو رئيسى، وإنما هو تغيير فى الوحدة البنائية الأساسية للعضو، ومن ثم للكائن الحى. فكأنه هدم للبناء ثم إعادة البناء بلبينات مغايرة للبنات. وهذا عبث بفطرة الخلق، فيغيرونها بفساد وليس بإصلاح كما يزعمون، لأن الله تعالى قد (أحسن كل شئ خلقه) وأحكمه، فكل خلية فى الكائن الحى متوازنة مع غيرها وكل عضو فيه متوازن ومتوافق مع سائر الأعضاء، وكل عنصر من عناصر تكوينه متوافق أيضاً مع باقى العناصر ومتكامل، فالتوازن قائم فى الذات الواحدة، والتوازن أيضاً قائم بين أفراد النوع الواحد، ثم هو أيضاً قائم بين جميع الأنواع الحية ثم إن التوازن والتوافق والتناسق علاقات قائمة بين كل ما هو حى وبين العناصر الأخرى غير الحية فى الأرض من الجمادات، والتوازن قائم بين الثوابت من العناصر والأشياء من ناحية

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٨ / ١ - ٢٤. وراجع الجزء الأول فصل دمار أمريكا بالحسف الغربى.

وبين المتغيرات كالرياح والأمطار ودرجات الحرارة والفصول الأربعة والليل والنهار والبحار والأنهار والصحارى والجبال والودية والعمار والقفار والارض والغلاف الجوى والسماء والكواكب والشمس والقمر والارض والنجوم والمجرات، فالتوازن والتناسق والتوافق وايضا التكامل هى جميعا من السنن الربانية العامة الحاكمة للمخلوقات الأرضية والسماوية بأمر الله عز وجل، فإذا كانت السنن الكونية جميعها متناسقة فيما بينها، فإن السنن الحياتية متوافقة معها جميعا بالضرورة، لأنه سنة داخل مجموعة متكاملة من السنن الكونية، فمن تدخل فيها أو فى واحدة منها بأدنى تغيير أدى هذا إلى خلل فى منظومة السنن، ولا يمكن أن يؤدى هذا إلا إلى فساد، وربما لا يظهر هذا الفساد مباشرة وبسرعة، ولكنه لابد أن يظهر بعد حين، ويكون تأثيره على كثير من الكائنات وليس على الكائن الذى أحدثوا فيه التغيير وحده، لأن الأحياء نبات وحيوان وإنسان، والبحرية منها والبرية والبرمائية، كلها منظومة واحدة متتابعة كتتابع حبات العقد فى سلكه، إذا هلكت أولها تتابع الهلاك على بقيتها.

أورد صاحب كنز العمال (عن جابر بن عبد الله قال: قلَّ الجراد فى سنة عمر التى ولى فيها فسأل عنه، فلم يُخبر بشئٍ فإِغتم لذلك، فأرسل راكبا إلى اليمن وراكبا إلى الشام وراكبا إلى العراق يسأل: هل رُؤى شئٌ من الجراد أم لا، فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كَبُرَ ثَلَاثًا ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر، فأول شئٍ يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا انقطع سلكه) (١).

وقد ثبت انقراض بعض الأنواع مما حدا بالمهتمين بالبيئة بالعمل على حماية انقراض بعض الأنواع الأخرى بما ينشئون من محميات طبيعية. لقد ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى البشر، بسبب الطمع وطلب الغنى السريع والربح بأى طريقة وبأى سبيل.

(١) رواه نعيم فى الفن، وابوالشيخ فى العظمه؟ فى الكنز ج ١١ رقم ٣١٤٨٤.

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ نَجِدُ أَنَّ التَّغْيِيرَ الَّذِي أَحْدَثُوهُ فِي بَعْضِ ثَمَارِ الْفَاكِهِةِ بِالْهَرْمُونَاتِ الَّتِي تُضَخَّمُهَا أَدَّى إِلَى إِصَابَةِ مَنْ يَأْكُلُهَا بِأَمْرَاضٍ خَبِيثَةٍ. كَمَا ثَبَتَ أَنَّ الْأَسْمَدَةَ الصَّنَاعِيَّةَ الَّتِي تَوْضَعُ فِي التُّرْبَةِ تَوْدِي إِلَى زِيَادَةِ عُنَاصِرٍ أَكْثَرَ مِنَ الْمَطْلُوبَةِ فَتُفْسِدُهَا، كَمَا أَدَّتْ مُحَاوَلَةَ تَضَخِيمِ أَحْجَامِ وَأَوْزَانِ الدَّجَاجِ بِالْهَرْمُونَاتِ إِلَى أَمْرَاضِ الْفُشْلِ الْكُلُوبِيِّ وَالْكَبْدِيِّ. وَتَسَبَّبَتْ عَقَاقِيرُ مَنَعِ الْحَمَلِ إِلَى أَمْرَاضٍ خَبِيثَةٍ لِلْمَرْأَةِ وَتَشَوُّهَاتٍ فِي الْأَجْنَةِ وَكَثْرَةِ التَّوَانِمِ، وَأَدَّى اسْتِخْدَامُ أَنْوَاعٍ مَعْيِنَةٍ مِنَ الْغَازَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ إِلَى ثِقَابِ الْأَوْزُونِ وَزِيَادَةِ حَرَارَةِ الْأَرْضِ.

وَأَدَّى تَلَوُّثُ الْأَنْهَارِ وَالْمِيَاهِ بِعَوَادِمِ وَمَخْلَفَاتِ الْمَصْنَعِ وَعَوَادِمِ السَّيَّارَاتِ إِلَى أَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ أَصَابَتْ الْبَشَرَ، وَأَدَّى اسْتِخْدَامُ الْمَبِيدَاتِ الْحَشَرِيَّةِ إِلَى أَضْرَارٍ بِالْغَةِ عَلَى صِحَّةِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ.

وَأَدَّى تَلَوُّثُ الْبَحَارِ بِمَخْلَفَاتِ السَّفَنِ وَغَرَقِ حَامِلَاتِ النِّفْطِ إِلَى مَوْتِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْبَحْرِيَّةِ. وَإِنْ قُرِضَتْ أَنْوَاعٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَحْيَاءِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِيَّةِ وَهَذَا مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ، لِأَنَّ الْأَحْيَاءَ سَلْسَلَةً مُتَّصِلَةً إِذَا انْقَطَعَتْ بَعْضُ حَلَقَاتِهَا أَدَّى هَذَا إِلَى هَلَاكِهَا جَمِيعًا، كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ .

وَأَخْطَرُ مَا يَتِمُّ مِنْ تَغْيِيرٍ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَهْدُ بِالْفَنَاءِ هُوَ مَا يَسْمُونَهُ بِالْهَنْدَسَةِ الْوَرَاثِيَّةِ. وَهَذَا مَا يَتَوَافَقُ مَعَ تَوْصُلِهِ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَشْرِينَ سَنَةً الْمُنْصَرَمَةَ فِي مَجَالِ عِلْمِ الْأَجْنَةِ وَعِلَاجِ الْعَقْمِ حَتَّى ظَهَرَ مَا يُعْرَفُ بِمَشَاتِلِ الْأَجْنَةِ فِي الْأَرْحَامِ الْمُسْتَأْجَرَةِ وَوَكَالَاتِ تَاجِيرِ الْأَرْحَامِ فِي أَمْرِيكََا وَأَوْرِبَا، وَذَلِكَ حَسَبِ مَا أَعْلَنْتُ عَنْهُ جَرِيدَةً «الْمُسْلِمُونَ» عَنْ هَذَا فِي أَحَدِ أَعْدَادِهَا.

وَقَدْ بَدَأَتْ هَذِهِ الْأَبْحَاثُ مِنْذَ عَامِ ١٩٧٨ مَ عِنْدَمَا أَعْلَنُوا عَنْ «طِفْلِ الْأَنْبَابِ» إِذْ تَمَكَّنُوا مِنْ تَلْقِيحِ بَوَيْضَةِ أَنْثَى بِحَيَوَانٍ مَنُوعٍ صَنَاعِيًّا، ثُمَّ تَمَكَّنُوا مِنْ نَقْلِ الْخَلْيَةِ الْمَلْفَحَةِ إِلَى رَحِمِ الْأُنْثَى وَزَرْعِهَا فِيهِ لِیَأْخُذَ بَعْدَ ذَلِكَ مَرَا حِلَّ النَّمُوِّ وَالْوِلَادَةِ حَسَبِ السَّنَةِ الْاِعْتِيَادِيَّةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْبَوَيْضَةَ الْمَلْفَحَةَ لَا تَمُكِّنُ فِي الْأَنْبُوبِ أَكْثَرَ مِنْ بَضْعِ سَاعَاتٍ إِلَّا أَنَّ أَجْهَزَةَ الْأَعْلَامِ الْاِلْحَادِيَّةِ ضَخَمَتْ مِنْ هَذَا الْاِكْتِشَافِ وَأَطْلَقُوا عَلَى

المولود بهذه الطريقة «طفل الأنابيب» تضليلاً للناس بالايهام أن العلماء توصلوا إلى تصنيع الأطفال والبشر بالرغم من أن هذه العملية لاتتعدى أن تكون علاجاً لحالة من حالات عقم المرأة وهي حالة انسداد قناة فالوب.

ومع أن هذه الابحاث بدأت عام ١٩٧٨م إلا أنها إستمرت حتى توصلوا بعد هذا إلى زراعة البويضة الملقحة من الزوج فى رحم مستأجر ليس هو رحم صاحبة البويضة.

لكن فى سنة ١٩٧٨، أيضاً وقبلها بقليل زادت ثروة دول الخليج أضعافا مضاعفة وبخاصة أهل السعودية الذين كانت الغالبية منهم يعيشون فى الخيام فى البادية لممارسة الرعى والذين كانوا يعيشون فى المدن كانوا يسكنون أكشاكاً يسمونها (صندوق) من الخشب والصفىح، ولم تكن مدن السعودية مدناً ولاحتى قرى بمفهوم المدينة أو القرية كمجمعات سكنية مخططة تتمتع بالكهرباء وشبكات المياه أو الصرف الصحى والطرق وغير ذلك، وإنما كانت المدينة مجموعة من المباني المبعثرة هنا وهناك وكذلك القرية وكان أكثرها من الطين.

وكان البدو فى شبه الجزيرة حفاة عراة، لا يتمتعون بأى حقوق أو مزايا حضارية كالتعليم والعلاج ومياه الشرب النقية وغير ذلك.

فلما ارتفع سعر البترول بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ من خمسة دولارات للبرميل إلى اربعين دولاراً وزاد ضخ البترول وتضاعف عليه الطلب تضاعف دخل دول الخليج البترولية عشرات المرات. وبدأ التخطيط لنهضة حضارية شاملة وبخاصة فى السعودية وبدأت القفزة الحضارية فى جميع المجالات بلا استثناء، ومن ثم رأيت بعينى هؤلاء البدو وسكان الأكشاك ينتقلون للعيش فى «فلل» من دورين مهيأة بجميع وسائل الحياة المدنية الحديثة من مياه شرب وصرف صحى وكهرباء ومكيفات وأجهزة الكترونية وأثاث جيد فخم.

بل تفشت بين السعوديين وغيرهم من أهالى دول الخليج التنافس على بناء القصور، لأن الناس على دين ملوكهم، وقد غالى الملوك والأمراء والشيوخ فى بناء القصور وبدأت العمارات الشاهقة ترتفع فى أحياء الرياض الجديدة وجدة و«أبوظبى» و«دبى» و«مسقط» و«قطر» وسائر هذه البلاد.

لقد بدأت فعلا هذه النهضة العمرانية حوالى عام ١٩٧٨ وبدأت تتنامى ولا زالت حتى الآن أى فى نفس سنة الاعلان عن ما أَسْمُوهُ «بطفل الأنابيب» التى انتهت بعد سنوات إلى ظاهرة شتل الأجنة فى الأرحام المستأجرة.

مالعلاقة بين هذا وذاك؟ بينهما ارتباط زمنى كما رأينا، فالحدثان متعاصران بل متزامنان.

هذان الحدثان جمعهما رسول الله ﷺ باعتبارهما امارتين بارزتين على الساعة فى حديث الاسلام والايمان والاحسان المشهور، إذ سأل جبريل عليه السلام المصطفى ﷺ عن موعد الساعة فقال (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)

فقال: فما أمارتها؟

قال: ان تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان^(١).

فما معنى أن تلد الأمة ربتها- وفى رواية - ربتها، للإجابة على هذا السؤال نقول: كل ما قاله السابقون فى شرح هذه الإمارة غير صحيح، لماذا؟

أولا: لأن هذه الإمارة متعاصرة مع تطاول فقراء ورعاة الجزيرة فى البنيان، وليس افقر من الراعى الحافى العارى يسير خلف الغنم لقاء لقيمات يقمن اوده، وقد ظلوا كذلك حتى عام ١٩٧٨ وبدأوا فى البناء من بعد عام ١٩٧٦/١٩٧٧، نفس زمن ما أطلقوا عليه أطفال الأنابيب.

ثانياً: لأن الإمارة تعتبر علامة على قرب الساعة الشديد كما بينا من قبل، وهذا واضح من سياق الحديث، إذ سأل جبريل عليه السلام عن موعد الساعة ومن ثم يكون معنى الامارات الاحداث التى تسبقها مباشرة، ولا يبقى بعد حدوثها كثير لبث وكل ما فُسِّرُوا به هذه الإمارة: مثل قولهم عقوق البنت لأمها أو إسترقاق البنت والابن لامهما، هو من الامور المعتادة منذ القدم حتى قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام قلل من حدوثه بحثه على بر الوالدين.

(١) صحيح مسلم/ ح ٥٩.

فالحديث لم يكن قد حدث قبل الإسلام ولا بعده لأنه من أحداث آخر الزمان ويزامن حدوثه تطاول فقراء الجزيرة في البنيان، وهو ما لم يحدث منذ بعث النبي ﷺ إلا في السبعينات من هذا القرن أى بعد عام ١٩٧٤م ومن ثم فالتفسير الصحيح القطعى لهذه الإمارة هو ظاهرة إستئجار الأرحام، وهى ظاهرة لأنها أصبحت أمرا قائما معترفا به قانونا فى المجتمعات الغربية حيث تقوم الأسرة الثرية بالاتفاق القانونى المكتوب، من خلال وكالات مخصوصة، مع امرأة شابة لحمل بويضة الزوجة الملقحة من زوجها عن طريق زرعها فى رحمها نظير أجر معلوم، بعد أن توقع هذه المرأة الشابة على بنود فى العقد تنص على أنه ليس لصاحبة الرحم المستأجر الحق فى المولود وعلى إقرارها بأنه ابن للأسرة التى دفعت لها الأجر لزرع البويضة فى رحمها، وليس ابنا لها ولا تُقدم على إستئجار رحم غيرها المرأة العاقر فقط، بل تفعل ذلك المرأة الولود الثرية هربا من آلام ومتاعب الحمل والولادة تفضيلا للراحة مع ارضاء دافع الأمومة عندها دون أن تحمل وتلد مادام الأمر لا يكلف إلا بعض المال الذى تملك منه الكثير.

ومن ثم صارت هذه العملية ظاهرة من الظواهر الطبية التقنية البشرية المعاصرة ولامانع أن تتفق الأسرة مع الأجيعة لارضاع الطفل أو الطفلة بعد الولادة نظير أجر مقابل الارضاع أيضا، ونظير تربيته أيضا، لكن مع هذا كله ليس للمرأة الشابة التى أجرت رحمها أن تدعى امومتها للطفل أو الطفلة، لايحكم الحمل ولا يحكم الولادة ولا يحكم الإرضاع ولا يحكم التربية لأنها فى جميع الأحوال أجيعة.

ولما كان الأجير اليوم هو البديل للعبد قديما، والأجيعة بديلة للأمة. فإن هذه المرأة الشابة التى رضيت أن تؤجر رحمها نظير مبلغ من المال تكون أمة عند اللذين دفعا لها الأجر أى الوالدين، ولما كان الوالدان صاحبا البويضة الملقحة قد أستأجرا هذه المرأة للجنين، فإنها تكون أمة له، وهو فى رحمها وتكون أمة له وهى تلده، وليست فى نفس الوقت أجيعة أو أمة عندهما، إذ ليس لهما الحق فى أن يكلفاها بأى عمل آخر. وهذا مانص عليه الحديث الشريف بدقه ببيانة معجزة.

ألم يقل الصادق المصدوق عليه السلام (أن تلد الأمة ربتها)؟ أى أنها وهى تلدها هى أمُّها والمولودة ربتها لأن والدتها دفعا الأجر وإستأجرها لها، وفى رواية (أن تلد الأمة ربتها) لأنه أحيانا يكون أنثى وأحيانا يكون ذكرا، كالعادة.

أما التفسير بالعقوق للأم فيدل على استرقاق البنت لأمرها بعد أن تصبح البنت شابة والام عجوزا. أما صياغة النبأ فى الحديث فتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الولادة تكون أمة للمولودة ساعة الولادة، وهذا يطابق بالقطع ظاهرة شتل الأجنة وإستئجار الأرحام وانتشار وكالاتها فى الحياة الغربية، وحتى وهى ترضعها وتربها لا تستطيع أن تزعم أنها أمها، ولا يحق لها ذلك لأنها فى جميع الأحوال أجيعة عندها وإن كانت قد ولدتها.

والمعجب أنه ليس فى تشريعات وقوانين الحياة الغربية العلمانية ما يمنع بعد ذلك أن يتزوج المولود من هذه التى ولدته، لأنها ليست أمه قانونا بالرغم من حملها له وولادتها إياه. وهذا يظهر لنا عظمة التشريع الإسلامى وكماله وصلاحيته لكل زمان ومكان إذ حرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، وإذ جعل الرضعة أمًّا ثانية، ولا شك أن المولود الذى تكون جسده من دم امرأة فى رحمها هو ابنها بما هو أعظم وأقوى من الرضاعة، فهى أمه بالحمل وإن لم تكن له أما بالعصب.

وهذه الإمارة التى لم تحدث إلا بعد رحلة طويلة من التقدم العلمى والتقنى فى مجال علمى الأحياء والأجنة هى من الأحداث التى تحدث قبل الساعة مباشرة بنص الحديث الذى رواه أحمد عن عامر رضى الله عنه وفيه (فقال: أن شئت حدثتك بعلامتين تكونان قبلها، فقال حدثنى).

فقال: إذا رأيت الأمة تلد ربها ويطول أهل البنيان بالبنيان، وعاد العالة الحفاة رؤوس الناس قال: ومن أولئك يارسول الله قال: العُريب. والعريب تصغير العرب الحفاة العراة أقل العرب شأنا صاروا رؤوس الناس أي ارتفع شأنهم بأموال بترول الخليج.

ففى قوله عليه السلام (بعلامتين تكونان قبلها) دليل قطعى الدلالة على أننا الآن أى أواخر القرن العشرين الميلادى قبل القيامة الصفري مباشرة.

(٥٩) من إمارات الساعة فى العلوم الطبيه وعلوم الحياة ما أطلقوا عليه إستنساخ الكائن الحى الذى حدث أوائل عام ١٩٩٧ م

أما الأمارة التى تتصل بالأمارة السابقة الخاصة بشتل الأجنة وتأجير الأرحام، إذ تعتبر امتداداً لها، فهى تزويج النفس الحية التى جاء ذكرها فى قوله تبارك وتعالى فيما ذكره من أمارات للساعة (وإذا النفوس زوجت) وهذه الأمارة هى ما عرف فى الإعلام فى أوائل عام ١٩٩٧ باستنساخ الكائن الحى متمثلاً فى أول نجاح لهم فى هذا المجال فيما أطلقوا عليه (النعجة دوللى) وهو من نتائج أبحاث وتجارب الهندسة الوراثية مع الاستفادة من نتائج شتل الأجنة.

وبيان هذا أن الكائن الحى: سواء النبات أم الحيوان أم الإنسان يخلقه الله تعالى بسنة واحدة وهى: تخليقهم من ذكر وأنثى أجنة فى الأرحام أطواراً حتى إكمال النمو ثم الولادة.

والخلق من ذكر وأنثى يستتبع أن يكون الجنين وارثاً لنصف خصائصه الحيوية من أمه وللنصف الثانى من أبيه، وهذا يستتبع حتماً أن يأتى المولود مختلفاً عن الأم، وكذلك مختلفاً عن الأب، أى لأنه يستحيل - حسب هذه السنة الحياتية التى هى وراثة المولود جميع خصائصه الحيوية من الأب ومن الأم معاً، ولس من واحد منهما فقط، أقول: إنه يستحيل أن يأتى المولود صورة طبق الأصل من الأب، كما يستحيل أيضاً أن يأتى صورة طبق الأصل من الأم. لأنه يأخذ نصف الخصائص من الأب والنصف من الأم.

ومن ثم يمكن القول بأن سنة الله تعالى فى الخلق هى الفردانية وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات الثديية التى تتجلى فيها قوانين الوراثة بوضوح، فلا يأتى مولود مثل أحد والديه وإنما لابد أن يكون فيه منهما معاً. وبالتالي يستحيل أن يأتى مولود من بنى آدم مثل الآخر، أو صورة طبق الأصل منه، لا من الأب ولا من الأم ولا من شقيقه، ولو كان توأمه.

وهذه الفردانية تتجلى فى البشر أكثر من غيرهم من الأنواع الأخرى، أى يمكن ملاحظتها بسهولة فيهم، فلا يوجد فرد من أفراد البشر يشترك مع غيره فى خاصية من

خصائصه الحيوية: لافى بصمات الأصابع، ولافى شكل القدم، ولا العينين ولاحتى فى ذبذبات الصوت، فالفرادانيه هى السنة الشاملة لكل الكائنات الحية ويكمن سر هذا فى أن المخلوق الفرد الحى يأتى من ذكر وأنثى أى يرث خصائصه من إثنين وليس من أصل واحد. لأنه لو ورث خصائصه من أصل واحد لجاءت جميع هذه الخصائص صورة طبق الأصل من الموروث منه، ومن ثم يكون المولود نسخة طبق الأصل من والدته شأنه فى هذا شأن الكائن الحى البسيط الذى هو الاميبا المكون من خلية واحدة ليس فيها ذكر وأنثى، وإنما تتكاثر بالانقسام، وعندما تنقسم تكون الخليتان الجديدتان المنبثقتان عن خلية واحدة كل منهما صورة طبق الأصل من الخلية الأصل، وذلك لأن كل واحدة منهما جاءت من أصل واحد.

فلو أمكن بإذن الله تعالى ومشيتته وقدره، وبسلطان العلم الذى يُمكن الله تعالى به الإنسان من تغيير خلق الله تعالى إبتلاءً له، أن يعمل على إنتاج كائن من أنثى فقط وليس من الاثنين أى بخلاف السُّنة، فإن هذا الكائن الناتج من أصل واحد، لابد من أن يكون صورة طبق الأصل من أمه، أو من أصله الذى نتج عنه. وهذا ماحدث فى إنتاج النعجة دوللى، إذ أخذوا الخلية الأنثوية أى البويضة من أمها، ثم أخذوا خلية أخرى من ضرع هذه الأم وفرغوا هذه الأخيرة من عوالمها الوراثية وأبقوا عليها حيث إستعملوها باعتبارها وعاءاً للبويضة، ثم بوسائل علمية توصلوا إليها عن طريق التجارب زرعوا هذه الخلية فى رحم النعجة الأم فنما الجنين حتى أكتمل وولدت الأم الشاة دوللى، فإذا بها صورة طبق الأصل فى كل الخصائص الحيوية من أمها. حتى أنهم لاحظوا بعد بضعة أشهر أن النعجة المولودة سارعت فى المشيب حتى ظهرت عليها أعراض عمر أمها.

ومن ثم اطلقوا على هذه العملية اسم الاستنساخ، وهو لفظ دقيق مطابق لما أُطلق عليه. لأن الإستنساخ لغةً هو كتابة صحيفة مرة ثانية كما هى أو هو تصوير هذه الصحيفة لتكون نسخة طبق الأصل منها، والآن: نطرح سؤالاً هاماً! ماهى النفس الحية؟

الإجابة: هي الجوهر الحامل لجميع الخصائص الحيوية للكائن الحي، وهذه الخصائص هي التي تصاحب الكائن منذ بدء تـكوـنه حتى إنتهاء حياته.

وعلى هذا فكل نفس حية لابد أن تكون فردانية، ليس لها مايطابقها في جميع خصائصها الجسدية والعقلية والعاطفية والنفسية والخلقية لافى المكان ولا فى الزمان أى منذ بدء الخلق وحتى نهايته.، مادام كل حى يأتى من ذكر وأنثى.

أما هذه التى نتجت عن التفسير فى خلق الله تعالى، فقد جاءت مخالفة لسنة الفردانية فى الأحياء، إذ جاءت طبق الأصل لامها، نفس مستنسخة من نفس، فصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت الأم نفساً فردانية كسائر الأحياء.

ولما لم يكن من المتصور أن تكون نفس الكائن الحى زوجا حسب سنة الفردانية فى الأحياء العليا، فإن حدوث هذا التغير فى الخلق وإن كان قد تم بإذن الله وقدره ومشئته الكونية، إلا أنه يعتبر خرقا للفردانية باعتباره تغييراً فى خلق الله تعالى، ومن ثم فهو إستجابة لأمر الشيطان، وبهذا تم تزويج نفس النعجة بانتاج نفس أخرى مطابقة لها وهذه إمارة من الامارات التى أنبأها الله تعالى فى كتابه بقوله (وإذا النفوس زوجت). إن النعجة دوللى كانت نفسا فردانية ولما أنتجوا نفسا مثلها طبق الأصل صارت زوجا وتتوالى التجارب فهى نفوس ستصبح أزواجا بعد أن كانت أفرادا.

وكل ماجاء بعد «إذا» فى سورة التكوين من الامارات هو مما يحدث فى الدنيا قبل قيام الساعة كما ذكر المفسرون، بل هى دليل على القرب الشديد للقيامة.

وتزويج النفوس هو إستجابة البشر لإبليس بتغيير خلق الله، إذ تمكنوا بقدر الله ويأذنه من إستنساخ النعجة من أمها وصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت فردانية وهى إمارة من إمارات زمن العجائب فى مجال العلوم الطبية. وبعض الشياطين من العلماء يصرحون أنهم سيحاولون ذلك فى الجنس البشرى، وهذا من أظهر الأعمال الموجبة لنزول العذاب لتدمير معاملهم قبل أن يعبثوا بذرية آدم خليفته فى الأرض.

(٦٠) التقدم فى مجال الجراحة بعامة والولادة بالقيصرية بخاصة من امارات الساعة

ومن امارات الساعة الطبية التقدم فى مجال الجراحة، فقد أخرج ابن أبى شيبه

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: لتؤخذن المرأة فليبقرن بطنها ثم ليؤخذن مافى الرحم فليتبذرن مسخافة الولد)^(١) قال ابن منظور فى اللسان (وأصل البقر: الشق والفتح والتوسعة) فالمعنى اللازم من صياغة الحديث على هذا الوجه هو العملية الجراحية المعروفة بالقيصرية حيث يتم فتح بطن المرأة واستخراج الجنين من رحمها مع المحافظة على حياتها، وإلا لو كان مقصد أبى هريرة بقر بطنها لقتلها وقتل جنينها لما كان ثمة ضرورة لبقر بطنها واستخراج الجنين مخافة الولد، ولقال «لَتَقْتَلَنَّ المرأة مخافة الولد»، وحيث أن مجئ الفعل بصيغة المضارع مع لام ونون التأكيد يفيد تكرار الفعل والاعتياد عليه، وآخر الحديث يدل على أن مافعل بها ليس لقتلها ولكن للتخلص من الجنين فقط، فإن تأويل الحديث القاطع لا يكون إلا بالعمليات الجراحية التى يتم فيها شق بطن المرأة وإستخراج الجنين مع بقاء المرأة حية بعد ذلك بسبب التقدم فى مجال الجراحة ولم يكن هذا مُتَصَوِّراً فى عهد الصحابة إذ كان يموت حتما الذى تبقر بطنه، وتموت حتما التى يُبْقَرُ بطنها.

وعلى هذا فالحديث يدل على التقدم الجراحى الطبى بإعتباره إمارة من أمارات الساعة. وهو يحمل أيضا امارة خلقية لأن المرأة التى تريد أن تتخلص من جنينها غالبا ما يكون حملها سفاحا وصياغة الحديث الشريف تفيد شيوع هذا الفعل، ودلالته شيوع الفاحشة وشيوع الإستهانة بالقتل.

لقد ظن الأشرار أنهم قادرون على صناعة الحياة، ونجروا على تغيير خلق الله إستجابة للجبب والطاغوت، وإن لم يقلعوا ويرجعوا للخالق جل وعلا، فسيأتيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.

الفصل الثامن

آبار البترول وحقول الغاز الطبيعي

واستخداماتهما من أمارات

الساعة فى الكتاب والسنة

(٦١) التفسير اللغوى المحض للبحر المسجور يصدق على آبار البترول وحقول الغاز الطبيعي أكثر من أى شئ آخر

كل ما ذكرناه فى المخترعات الحديثة يعمل بمشتقات البترول، حتى الكهرباء: التى هى الطاقة الرئيسية لكثير من الأجهزة مصدرها البترول. ومن غير البترول ومشتقاته ماكانت هذه الحضارة، ولاشك أن البشرية ستتسكس حضاريا إذا نضب النفط فى بحاره الباطنية وجفت آباره، إن لم يجدوا البديل الذى يحل محله فى القوة وفى قلة التكلفة. فهل ورد عنه ذكر فى القرآن الكريم والسنة باعتبار أهميته القصوى لحياة الإنسان المعاصر؟

لقد سبق ذكر آثار البترول ومشتقاته فى أكثر من موضع:

أولا: الإشارة إلى النفط فى قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩-١٠/ فصلت) وفى هذا إشارة إلى أن الله تعالى قدر أقوات الأحياء جميعا الذين سيعيشون على ظهر الأرض أجيالا بعد أجيال منذ بدء الحياة إلى قيام الساعة. وقد ثبت لنا أن الله تعالى وتبارك يرزق الناس والأحياء طعامهم بتوسع الإنسان فى الزراعة بالآلات التى لولاهما لما زرع الإنسان هذه المساحات الشاسعة من القمح والحبوب وغيرها من الأغذية للإنسان وللأنعام.

ولما كان البترول هو الطاقة الرئيسية بل ويكاد يكون الطاقة الوحيدة لتشغيل هذه الآلات الزراعية والصناعية ووسائل المواصلات والنقل عبر القارات والمحيطات، فإن البترول يدخل فى قوله تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾.

لقد خلق الله تبارك وتعالى الأرض فى يومين وقدر فيها اقواتها ايضا فى هذين اليومين وفى يومين آخرين، أى أن تقدير اقوات الخلق بدأ منذ اللحظة الأولى لخلق الأرض، ومن ثم استغرق تقدير اقوات الاحياء فى الأرض أربعة أيام، لان من تقدير الاقوات تهيئة الأرض بكيفية محددة تضاريسا وطقسا وسننا حاكمة لهذا وذاك، ومن ثم بدأت التهيئة منذ بدء الخلق. ومن تقدير الاقوات توفير النفط فى باطن الأرض ثم تمكين الانسان من استخراجهِ وتكريره وإستخدامه عندما يكون عدد البشرية فى حاجة إليه.

ويفسر العلماء وجود بحار البترول فى باطن الأرض بأنه عصارات زيتية لاشجار عملاقة سادت الأرض ملايين السنين عاشت بها وعليها كائنات عملاقة مثل الدنياصورات ثم حدثت أحداث جيولوجية جعلت كل هذه النباتات والحيوانات العملاقة فى باطن الأرض وبفعل الضغط والزمن تحللت وأصبحت هذا السائل الزيتى. وهذا من تقدير الله تعالى لاقوات الاحياء فى الأرض وتؤكدُهُ نصوص أخرى تأتى لاحقا.

ثانيا: قوله تبارك وتعالى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)﴾ (١-٥/ الاعلى) (أخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم عن إبراهيم فى قوله (والذى اخرج المرعى) قال: النبات. وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس فى قوله : فجعله غثاء أحوى، قال غثاء السيل، وأحوى قال: أسود)(١).

وهذا ماينطبق تماما على صفات البترول وخصائصه، لانه إذا اختلط بالماء صار فوقه وعلى سطحه وهو الغثاء، ويرجح هذا أنه غثاء أسود لأن غثاء السيول العادية لا يكون أسوداً لأنه قش ؟ وتبن وفقايع بينما البترول هو الذى إذا إنساب على المياه يطفو فيكون غثاء ولكن أسود.

كما أن أصله - كما نصت الآيات- النبات، حسب ماقرر العلماء فهو سبجانه

(١) السيوطى / الدر المنثور ج١ ص ٣٧٨.

(الذى قدّر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غشاء أحوى) أى قدر أقوات الناس وأخرج الأشجار العملاقة ثم جعلها زيتاً أسوداً يطفو فيكون غشاء أسوداً على سطح الماء. وحيث أهم طرق إستخراج البترول وأكثرها استخداماً هى ضخ البئر بماء البحر حتى يطفو البترول داخل البئر على سطح الماء لأن كثافته أقل ثم بعد ذلك يتم سحبه بالمضخة، والفائدة من هذه الطريقة التخلص من الأتربة المختلطة بالبترول والتي أحياناً يشكل معها قوام شبيه بالطين. والخلاصة أنه لا بد من أن يصبح البترول فى باطن أرض عائماً فوق المياه حتى يتم سحبه بدون طين لأن مياه البحر تذيب هذا الطين. ومن ثم يكون غشاءً أحوى أى أسوداً.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

عن السدّى قال: فُتِحَتْ وَسُجِّرَتْ وهذا لا يتطابق إلا مع كون هذه البحار فى باطن الأرض تستخرج ثم تُسَجَّر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما (وإذا البحار سُجِّرَتْ) قال تُسَجَّر حتى تصير نارا، وهذا هو الذى يتم بأكثر وأهم مشتقات بحار البترول، فى باطن الأرض إذ تسجر فى وسائل المواصلات والمولدات الكهربائية وخلافه. وعن شمر بن عطية قال: (تُسَجَّرُ كما يُسَجَّرُ التنور)^(٢) ومن استخدامات المازوت إشعال افران الخبز وغيرها والتنور هو الفرن، هذه التأويلات يتطابق تماماً على آبار البترول فى باطن الأرض، ومثل هذه الآية قوله تعالى مقسماً بهذا البحر فى باطن الأرض بقوله تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦/ الطور) كما سترى التفسير اللغوى المحض.

رابعاً: قوله تعالى ﴿وَالطُّورِ﴾ (١) وَكِتَابٍ مُّسْتُورٍ (٢) فِي رَقٍ مُّنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) (الطور / ١-٦) (٢).

أما أقوال المفسرين فى قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ فقد أخرج ابن جرير وابن

(١) سنعود لتفسير الامارات الواردة فى القَسَمِ الإلهى بالطور ومابعده ونكتفى هنا بالقسم بالبحر المسجور لصلته بموضوع الفصل ودلالته على البترول والغاز الطبيعى.

(٢) السيوطى/ الدر المنثور / ٦ ص ٣٥٥.

أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال: المحبوس. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾. قال: المرسل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال: الموقد، وأخرج أبو الشيخ عن كعب فى قوله: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال: البحر يُسَجَّرُ فيصير جهنم. وأخرج ابن جرير عن قتادة فى قوله: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال: المملوء وإيضاً عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال: الفارغ، خرجت أمة تستسقى فرأت الحوض فارغا فقالت: الحوض مسجور.

فما هو البحر الذى تجتمع فيه الصفات والأحوال الآتية: محبوس ومرسل، مملوء وفارغ، ويوقد فيصير جهنم أو مثل جهنم؟ ويسجر مثل التنور، وهو محبوس حتى يُفتح ثم يُسير حتى يصير فارغا.

أليس هو بحر البترول؟ وأليس هو بصفة أخص حقل الغاز؟ لأن المحبوس هو المضغوط، والمرسل هو الذى يجرى فى أنابيب من حقله إلى موضع تكريره وتوزيعه وإستعماله وهو مملوء يوم اكتشافه وهو فارغ بعد استخراج كل ما فيه. وهو فوق هذا وذاك مصيره الاشتعال. وهل من مصدر لهذه التأويلات التى تحققت فى عصرنا إلا الوحي؟!

وأول القسم فى السورة بالطور وكتاب مسطور وأخره بالبحر المسجور والمقسم عليه هو (أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع).

فالمقسم به مقدمات الزلزال والعذاب، والمقسم عليه هو الزلزال العظيم والخسوف الرهيب وأحداث القيامة.

ومن ثم قَعَصَّرَ البترول والغاز الطبيعى هو عصر الزلزال ونزول العذاب قبل الساعة أى عصر القيامة الصغرى.

ويؤكد هذا قوله تعالى (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) «وإذا» الشرطية تدل على أن تسجير البحار حدث من إمارات الساعة وقد حدث فى نهاية الحرب العالمية الثالثة. ضد

العراق التي يسمونها حرب تحرير الكويت إشتعال أكثر من ثمانمائة بئر بترول كويتية ظلت شهورا عديدة لأول مرة في تاريخ البشرية وصعدت سحباً كثيفة سوداء من هذا الحريق غطت سماء الكويت وحجبت ضوء الشمس فأضاءوا المصابيح نهارا وأمطرت السحب مطرا أسوداً.

وهو بحر مسجور أى مشتعل فى مواضع إستخدام مشتقاته إذ يرسل من مَحْبَسِه الذى ظل فيه ملايين السنين إلى معامل تكريره ثم إلى المواقد والمواتير والمولدات والسيارات والطائرات والسفن وغير ذلك من المواضع التى يستخدم فيها مشتقات البترول وايضا الغاز الطبيعى.

خامسا: فى حديث البخارى عن أول أشرط الساعة قال ﷺ (أول أشرط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)^(١). وقد فسرها العلماء بأنها فتنة حرب والنار نار حرب، وقد صدق هذا الوصف على أحداث العراق والكويت والحرب العالمية الثالثة. ولكن ورد من العلامات التى تدل على قرب مجئ المهدي (نار عظيمة من المشرق تطلع ليالى)^(٢). وورد فى سفر دانيال قوله عن قديم الأيام أى المهدي المنتظر (نهر نار خرج وجرى قدامة)^(٣) إشارة إلى جريان البترول بالضغط فى أنابيب وارساله من الابار الى المعامل ثم إلى الاستخدام. وهل يتصوروا أحد نهراً من النار ألا أن يكون سائلا شديدا الاشتعال؟. وهل من سائل شديد الاشتعال إلا من البترول؟!

سادسا: ورد ذكر صريح ايضا للبترول واستخراجه من بلاد العرب واستخدامه فيما رواه الإمام أحمد عن زيد بن أسلم عن رجل من بنى سليم عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ستكون معادن يُحضرُها شرار الناس)^(٤) وشرار الناس هم الروم كما دلت على هذا الوصف لهم آثار كثيرة، وهم الذين ستقوم عليهم الساعة،

(١) صحيح البخارى / ك الفنز / ب ٢٤، وكذا أخرجه أحمد والنسائي.

(٢) عقد الدرر فى أخبار المهدي المنتظر / للمقدسى / ح رقم ١٧٠.

(٣) سفر دانيال / إصحاح ٧ / عدد ١٠.

(٤) رواه أحمد فى مسنده / عن تحاف الجماعة للتويعرى جـ ٢ ص ١٨٣.

وهم الذين بَحَضَّرُون البترول: اكتشافا وإستخراجا وتكريرا ونقلًا، اذ أنهم أصحاب هذه التقنيات واكثر المنتفعين به.

١ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أُنِيَ النَّسَبُ ﷺ بقطعة من ذهب كانت أول صدقة جاءت من معدن لنا فقال إنها ستكون معادن وسيكون فيها شرار الخلق^(١) فقال معادن ولم يقل ذهب، ولم يقل معدن بالافراد، وذكر فيها شرار الخلق، ولم يرد على الجزيرة العربية مشركون الا الانجليز ثم الأمريكان فى نهاية الحملة الصليبية الاستعمارية الأخيرة التى تم اكتشاف البترول فى آخرها.

٢ - وعن ابى غطفان قال سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول (تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه شرار الناس يقال له: فرعون، فبينما هم يعملون فيه إذ حسر عن الذهب، فأعجبهم معتمله إذ خسف به وبهم)^(٢) والخسف - والله أعلم - غالباً فى الزلزال، وربما يكون هو خسف جزيرة العرب، وقوله: (فبينما هم يعملون فيه) أى خلال سنوات كثيرة، وقوله (فأعجبهم مُعْتَمَلُهُ) أى أنهم أعجبوا بما أخرجته المعامل وأثره على حياتهم فأحبوه واعتمدوا عليه فى حياتهم وترفعوا بسببه وقوله (إذ خسف به وبهم) يؤيده ورود آثار عن خسف بجزيرة العرب، وآثار أخرى عن خسف بشرق الجزيرة وهو مكان الآبار فى الخليج.

والحديث يشير إلى استمرار البترول حتى يتم الكشف عن الذهب، ربما - والله أعلم - هو جبل الذهب الذى سينحسر عنه الفرات.

٤ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (يظهر معادن فى أرض بنى سليم يقال له: فرعون وفرعان «وذلك بلسان أبى جهم قريب من

(١) رواه الطبرانى فى الصغرى والوسط. قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح. انظر تحاف الجماعة ج ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى وأبدى فى صحته. ورواه نعيم فى الفتن أيضاً انظر تحاف الجماعة ج ١٢ ص ١٨٤.

السوء» يخرج إليه شرار الخلق* أو (يحشر إليه شرار الناس) (١).

ومما يؤكد أن المقصود بالمعادن النفط وليس غيره أنه حدد موعداً لخروجه وهو آخر الزمان، وأنه من امارات الساعة، (فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن لا يسكنها إلا أرذل الناس) (٢).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً أنه قال (لتظهرن معادن فى آخر الزمان يخرج إليها شرار الخلق) (٣) فهذه الرواية فيها تأكيد وفيها إشارة إلى زمن ظهور هذه المعادن وهو آخر الزمان، وإن الذين يخرجون للعمل فيها هم شرار الخلق، وفى حديث الطبرانى جاء ذكر الذين يعملون فيها بتعبير (لا يسكنها إلا أرذل الناس) يشير إلى اقامة المدن والمساكن الخاصة حول مناطق الآبار والمعامل لسكنى العاملين فيها مثل مدينة (الخنيجي) وغيرها وهذا يدل على إستمرار العمل فى هذه المعادن اكتشافا واستخراجا وتكريرا زمنا طويلا. وهذا لا ينطبق الا على معدن البترول. كما أن قوله معادن بصيغة الجمع يدل على هذا لأن النفط ليس عنصراً واحداً فقط، وإنما هو عناصر متعددة وكلها مستخرجة من باطن الأرض فهو معادن.

حقاً: إننا فى آخر الزمان، وهو عصر علو الأشرار الذى تعمقوا فيه فى البحار واستخرجوا من باطن الأرض كنوزها: البترول الذى زينوها وزخرفوها به، ونفذوا به من أقطار السماوات والأرض فتوهموا خادعين لأنفسهم أنهم قادرون عليها .

توبوا وارجعوا إلى خالقكم أيها الناس، وإلا فسيأتيكم بأس الله ليلاً أو نهاراً فيجعلها حصيداً كان لم تغنَ من قبل.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك. آمين.

(١) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي رجاله ثقات / عن تحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط / عن تحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٢.

(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه / عن تحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٣.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ-ى
الباب الأول	
الاستخلاف الابتلاى وصلته بالحياة الدنيا	٤
الفصل الأول: (١) استخلاف الإنسان فى الأرض	٥
الفصل الثانى: (٢) علم الأسماء هو الأساس فى توسيع الاستطاعة	١٣
الفصل الثالث: (٣) الاستطاعة الإنسانية من أهم وأخطر الإمارات	
بين يدي القيامة الصغرى	١٧
الفصل الرابع: استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة بالعمل	
والتقنية فى الإفساد للعلو فى الأرض	٢١
(٤) علو خلفاء الجبت والطاغوت بالإفساد مستغلين الاستطاعة	
المدعمة بالعلم والتقنية من الإمارات المباشرة للقيامة الصغرى	٢١
الفصل الخامس: (٥) سنة الله فى استئصال الأمم الكافرة تصدق	
على نزول بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين فى أحداث	
القيامة الصغرى	٢٣
الفصل السادس: إخبار النبى ﷺ بكل ما سيحدث بعده إلى قيام	
الساعة بما فى ذلك التقنيات الصناعية المعاصرة	٢٧
(٦) الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة	٢٨
(٧) طوى الله تعالى الزمن لرسوله ﷺ حتى رأى المستقبل إلى يوم	
القيامة وبلغه للأمة	٢٨
(٨) أهم وأخطر موضوعات علم أشراف الساعة	٣١
(٩) هل أخبر رسول الله ﷺ عن التقدم العلمى والتقنى والمخترعات	
المعاصرة؟	٣٤
الفصل السابع: أمارات الساعة فى الكتاب والسنة	٣٧

	(١٠) هل تضمن القرآن الكريم ذكر الأمارات الساعة وآياتها بما في ذلك التقدم العلمي والتقنى والمخترعات المعاصرة؟	٣٧
	الباب الثاني	
	رؤية القيامة رُى العين	٤٢
	الفصل الأول: عصر مسرات يوم القيامة المتفاقمات	٤٤
	(١١) عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها	٤٦
	(١٢) مسرات يوم القيامة في ثلاث سور قرآنية	٥٤
	الفصل الثاني: المسرات المتفاقمات الاثنتا عشرة في سورة التكويد	٥٧
	(١٣) مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاقمة في سورة التكويد	٥٨
	(١٤) فما هو تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ بِمَحْضِ المدلول اللغوي	٦٢
	(١٥) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾	٦٣
	(١٦) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ﴾	٦٥
	(١٧) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	٦٧
	(١٨) ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٦٨
	(١٩) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	٧٠
	(٢٠) ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	٧٣
	(٢١) ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ: بِأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟﴾	٧٧
	(٢٢) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾	٨٧
	(٢٣) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	٩٦
	(٢٤) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾	٩٩
	(٢٥) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾	١٠٠
	(٢٦) جواب الشروط الاثني عشر في سورة التكويد	١٠٢
	(٢٧) أسماء المسرات المتفاقمات الاثنتى عشرة هى أسماء لعلامات حضارية	١٠٤

الفصل الثالث: الأقمار الصناعية ذروة سنام المسرات المتفاقمات

- ١٠٧ فى القرآن الكريم
- (٢٨) اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخنَّس الجوار
- ١٠٨ الخنَّس
- ١١٥ الأقمار الصناعية واستخداماتها
- ١١٨ انطباق الخنوس والكنوس معاً على الأقمار الصناعية
- ١٢٢ أقمار صناعية للاتصالات والبث خنَّس جوارى كنَّس
- (٣٢) الصلة والمناسبة بين القسم بالخنس (الأقمار الصناعية) وبين
- ١٢٤ المقسم عليه (إنه لقول رسول كريم)
- الفصل الرابع: القسم بأمارات حضارية فى سورة الطور على
- ١٢٧ وقوع العذاب
- (٣٣) القسم بالطور يتضمن الإشارة إلى فساد البيئة الحادث فى
- ١٢٨ الأرض حالياً
- (٣٤) التفسير اللغوى المحض للكتاب المسطور فى رَق منشور
- ١٣٠ يصدق على الكمبيوتر
- (٣٥) التفسير اللغوى للبيت المعمور يصدق على الحرم المكى
- ١٣٦ الشريف بعد توسعته المعاصرة
- (٣٦) قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوى
- ١٣٨ الشريف بعد توسعته المعاصرة
- (٣٧) البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة فى أماكن استخراجها
- ١٤٢ أو أماكن تكريرها وفى مواضع استخدامها
- (٣٨) العذاب الذى أقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو
- ١٤٤ عذاب القيامة الصغرى المرتقب

الباب الثالث

الأمارات العلمية والتكنولوجية في

المجالات المدنية والعسكرية في الكتاب

- والسنة ١٤٦
- الفصل الأول: وسائل السفر والنقل المعاصرة في الكتاب والسنة . . . ١٤٩**
- (٣٩) التفسير اللغوي للمرسلات عرفنا ينطبق على وسائل
- المواصلات المعاصرة: برية وجوية وبحرية ١٤٩
- (٤٠) مخترعات معاصرة متعددة مصاحبة للمرسلات أنبأت عنها
- الأحاديث النبوية ١٦١
- الفصل الثاني: الأساطيل البحرية الحربية في القرآن الكريم والسنة . ١٦٩**
- (٤١) التفسير اللغوي المحض للنزاعات غرقاً وأخواتها يصدق على
- الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة ١٦٩
- (٤٢) العلاقة بين الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة بعامة
- والأساطيل الأمريكية بخاصة وبين رجفة الأرض ١٧٨
- الفصل الثالث: القوات الجوية والصواريخ المدمرة في الكتاب**
- والسنة ١٨١**
- (٤٣) التفسير اللغوي المحض للعاديات ضبحاً وأخواتها يصدق
- على الطيران الحربي والصواريخ ١٨١
- (٤٤) عصر الطائرات والصواريخ هو عصر المجاهرة بالكفر
- والإلحاد ١٨٦
- الفصل الرابع: القنبلة الذرية وغزو الفضاء في الكتاب والسنة . . . ١٩١**
- (٤٥) التفسير اللغوي المحض لقوله تعالى: (فإذا انشقت السماء
- فكانت وردة كالدهان) يصدق على القنبلة الذرية ١٩١
- الفصل الخامس: أجهزة الاتصال الحديثة وأجهزة الإعلام المقروءة**
- والمسموعة والمرئية في الكتاب والسنة ٢٠١**

- ٢٠١ (٤٦) توسيع دائرة السمع والبصر وعمل العقل بالأجهزة الحديثة . . .
- (٤٧) الاختراعات السمعية البصرية الحديثة حولت الغيب البعيد
- ٢٠٣ الى حاضر قريب
- (٤٨) إذاعة القرآن الكريم دليل على أننا في آخر الزمان حسب ما
- ٢٠٦ ورد عنها في السنة
- (٤٩) التلفزيون والفيديو وإرسال الأقمار الصناعية واستخداماتها
- ٢١٠ جميعا في الفن
- (٥٠) اعمال الدراما في المسرح والسينما والتلفزيون: تأليفا وإخراجا
- ٢١٢ . وتمثيلا من أمارات الساعة ودليل على أننا في آخر الزمان
- (٥١) أفلام الكرتون التي يكلم السباع فيها الإنس دليل على أننا في
- ٢٢٢ آخر الزمان.
- (٥٢) انتشار الصحف بظهور المطابع ومصانع الورق والتوسع في
- ٢٢٣ نشر الكتب والمجلات وآخر هذا كله شبكة الإنترنت
- الفصل السادس: التقدم في التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف**
- ٢٢٧ الطرق وشبكات المياه من أمارات الساعة في الكتاب والسنة . . .
- ٢٢٧ (٥٣) التصريح في السنة بالتقدم العمراني
- ٢٣١ (٥٤) تخطيط المدن ونسف الجبال وعمل الأنفاق من أمارات الساعة
- (٥٥) شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي في مكة وارتفاع
- ٢٣٣ المباني على الجبال من إمارات الساعة
- (٥٦) رصف الطرق بالزفت الأسود أمانة على وقوع العذاب
- ٢٣٥ بأهل الأرض
- الفصل السابع: التقدم في علوم الحياة والطب والجراحة والهندسة**
- الوراثية واستنساخ الكائن الحي من أمارات الساعة في الكتاب
- ٢٣٧ والسنة
- ٢٣٧ (٥٧) حكم الإسلام في تغيير خلق الله تعالى

- (٥٨) الهندسة الوراثية والتدخل لتغيير خصائص الخلية أخطر تغيير
 ٢٤٠ لخلق الله تعالى
- (٥٩) من إمارات الساعة فى العلوم الطبيه وعلوم الحياة ما أطلقوا
 ٢٤٧ عليه استنساخ الكائن الحى الذى حدث أوائل عام ١٩٩٧ م . . .
- (٦٠) التقدم فى مجال الجراحة بعامة والولادة بالقيصرية بخاصة من
 ٢٤٩ إمارات الساعة
- الفصل الثامن: آبار البترول وحقول الغاز الطبيعى واستخداماتها من**
 ٢٥١ أمارات الساعة فى الكتاب والسنة
- (٦١) التفسير اللغوى المحض للبحر المسجور يصدق على آبار
 ٢٥١ البترول وحقول الغاز الطبيعى

كتب المؤلف

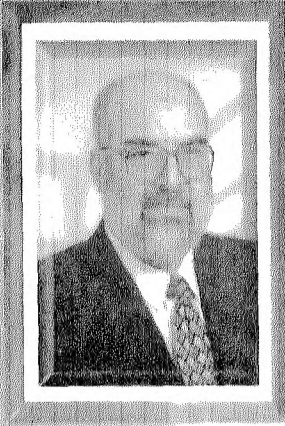
- ١- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . ثلاث طبعات
- ٢- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. ثلاث طبعات
- ٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. ثلاث طبعات
- ٤- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. تحت الطبع
- * وهو الكتاب الذي حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٥- الأصول الاعتقادية للمعرفة في الإسلام. طبعة واحدة
- ٦- الإسلام والعلم التجريبي. طبعة واحدة
- ٧- استخلاف الإنسان في الأرض. ثلاث طبعات
- ٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة في القرآن والسنة طبعان
- ٩- الإنسان والشیطان ثلاث طبعات
- ١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ثلاث طبعات
- ١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية ثلاث طبعات
- ١٢- توفيق الحكيم لمن أستمع وإلى من تحدث طبعة واحدة
- ١٣- مقومات المجتمع المسلم ثلاث طبعات
- ١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل والشيك وتحرير الأقصى طبعة واحدة
- ١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها طبعة واحدة
- ١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به تحت الطبع
- ١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية تحت الطبع
- ١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح تحت الطبع
- «موسوعة أشراف الساعة»
- ١٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. طبعان
- ٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثاني :- «المدخل إلى علم أشراف الساعة بمنهج المطابقة». طبعة واحدة

- ٢١- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث: «الآمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة»
طبعة واحدة
- ٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع: «الآمارات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية»
طبعة واحدة
- ٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس: «أحداث ما قبل المهدي عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس: «المسيح الدجال»
تحت الطبع
- ٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدي عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن: «الملحمة العظمى وفتح أوروبا»
تحت الطبع
- ٢٧- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «بأجوج ومأجوج»
تحت الطبع
- ٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر: «نزل المسيح عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة»
تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

- باسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠ / ٠٣ - الاسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:
- ١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب / ت: - ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر / ت: - ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.
- ٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.
- ٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الاسكندرية.
- ٤- معرض لونا بارك - ش لاجيني - الإبراهيمية - الاسكندرية.
- ٥ - دار الدعوة - ١ ش منشأ محرم بك / ت: - ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات



المؤلف

الأستاذ الدكتور / فاروق أحمد حسن الدسوقي
ولد بالأسكندرية عام ١٩٢٨ م
حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية من جامعة الاسكندرية
بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع وتبادل الرسائل مع جامعات
العالم .
حصل على دكتوراه العلوم الإسلامية قسم الفلسفة الإسلامية من
كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف
الأولى .
حاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٥ م .
عمل أستاذ للعقيدة والثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود وام
القرى من عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م حتى عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

الكتاب

أخي القارئ : هل قرأت في القرآن الكريم ما جاء عن وسائل السفر الحديثة بما
هي ذلك الطائرات وهل قرأت ما جاء فيه عن سلاح الجو ابتداء من المروحية
وانتهاء بالفضائية .

وهل قرأت فيه عن الأساطيل البحرية بقطعها المتنوعة ابتداء من القواصة
حتى حاملة الطائرات ؟ وهل تعلم أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد أتا
بكل مظاهر الحضارة المعاصرة مثل الكهرباء والبتترول وجميع والأجهز
والبصرية والتقنيات التليفزيونية الفضائية وهل قرأت ما نزل في
الاخير للبشرية عن التقدم الطبي والجراحي والهندسة الوراثية واستنساخ
الكائن الحي ؟

وغير هذا كثير كثير من مظاهر التقدم العلمي والصناعي والعمرائي ومع هذا
كله ، فأنت أخي القارئ تتلو هذه الآيات المخبرات بكل هذا ، وتستمع اليها صباح
مساء دون أن تعلم أنها تتحدث وتصف واقعنا الحضاري المعاصر فإذا قرأت هذا
الكتاب الذي بين يديك وتيقنت أن الكتاب والسنة قد تضمننا كل ما تعيشه
البشرية من مخترعات وصناعات قبل حدوثه بأربعة عشر قرناً كمل إيمانك
بصحتها وترسخ يقينك بهما .

فإن لم يكن لهذا الكتاب من فائدة أو نفع إلا استكمال الايمان ورسوخ اليقين بالله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أعظم ما يمكن أن يجنيه انسان من
فائدة مرجوه من أي كتاب يخطه بشر بيده فإذا علمت أخي القارئ أن كل هذا
المخترعات ما هي إلا حجج بالغة وبراهين ساطعة علي أن القيامة الصغرى على
الابواب فلك أن تتصور مدى الفائدة المرجوة منه .